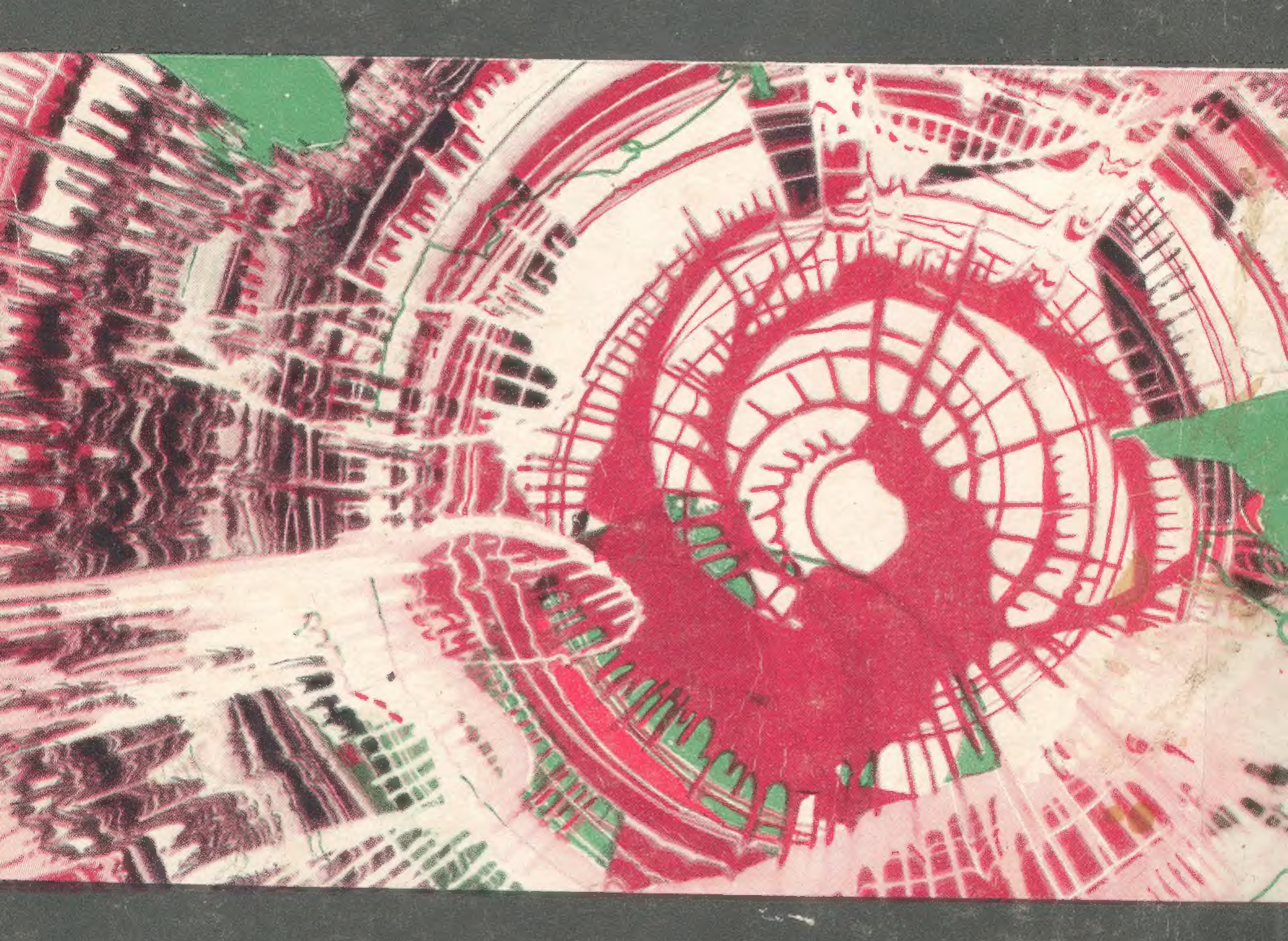
كلام عنّا..
وعن إسرائيل

من ٥ يونيه إلى ٦ أكتوبر



مصطفى بهجت بدوى

كتاب الجمهورية

عدد خاص

يناير ١٩٧٤

كلام عنّا..
وعن إسرائيل
من ٥ يونيه إلى ٦ أكتوبر

مصطفى بهجت بدوى

الغلاف للفنان : حسن عثمان

الإهـــداء

إلى المقاتل المصرى والعربى ..

إعزازاً وإجلالاً ، واحتراماً وشكراً

سعد الشاذلي

تقديم

هل يمكن أن يحتاج « كلام » ـ وهو كثير ـ « عنا وعن اسرائيل » الى « كلام » آخر يقدم له ؟!

على أننى سوف « أوجز » فى التقديم بقدر ما أستطيع !

لست أخفى أن « شبهة السخرية » من « الكلام » قد تكون قائمة ، والكتاب ـ كما يقولون ـ يعرف من عنوانه !

لقد مارست « الكلام » ثم اخترته عنوانا لكتابى ، وليس فى ظنى أن السخرية منه ـ اذا رجحها أحد ـ هى سلبية على اطلاقها ، بل لعلها تحسب ـ ويحسب لها ـ أنها تعنى ضمنا وتحذر من أن يقتصر على مجرد الكلام علاج قضايانا وتربيتنا واعدادنا وقوام مؤسساتنا ودولتنا العصرية .. ومواجهة عدونا الاسرائيلى .

والحق أننا « شبعنا كلاما » .. أو أغرقنا بسيل جارف منه دام طويلا ..

غير أن « صناعة الكلام » قد تكون للكلام « مجردا » و « بليغا » ، وقد تكون ـ بالكلام ـ مستهدفة ما هو أهم وافعـل وابعد من الكلام المجرد البليغ !

ومن المؤكد أنه « فى البدء كانت الكلمة » ؟ ولسوف تبقى دائما ما دامت « عملا خالصا » !

وليس بعيدا عن هذه المعاني ما وقفت اترنم به فى صيف ١٩٧٢ بينمـــا كنت أشـــاهد « الأندلس » « الدارسة » فى اسبانيا :

حالت حضـــارتنا . راحت قرابينا
تحجرت كدمـــوع فى مآقينا ..
ان القـــرون التى دامت ثمـــانية
لم تبق أندلسيا واحـــدا فينـــا
نعم . قصـــائد او كتبـــا منمقـــة
وليس بالـــكلمات الدهـــر يحيينا
لو أن محض قوافى الشعـــر تبعثنا
كنا استعدنا بأبيـــات فلسطينا
لـــكن ارادتنا . لـــكن تفتحنا
لـــكن تجمعنا . لـــكن تفانينا

كان مثل هذا الشعر الذى « يمـــررنى » و « امرره » ، والذى نشرته فى ديوانى الأخير « خماسيات عـــربية أوربية » فى يناير ١٩٧٣ هو القالب على فيما أشعر وفيما أكتب وفيما اقول وفيما أسخـــر « واعذب نفسى به » عبر سنوات طويلة من « النكسة » .

وكأنما كنت ابحث ـ بما يشبه السلبية ـ من « حل » قاطع ايجابى !

او كأنما كانت المسألة اشبه بـ « كلمة طيبة » تحاول أن « تؤتى اكلها » !

وتوالت وتكاثرت المرارات والملاحظات والتأملات التى كنت اعبر بها عن نفسى ، وعن جيلى ـ فيما اظن ـ بين الوقت والآخر فى جريدة « الجمهورية » سواء فى مقالات سياسية او اجتماعية او يوميات او خواطر او استطراد ذكريات خاصة وعامة ..

وتجميع « المرارة » بكثفها ويفجرها ، او ربما يجعل من « الترياقة » الذاتية التى قد تحويها « ترياقا » خاصا وعاما !

ومن هنا جاءت مراجعة ما كتبت وما نشرت خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة بعيدا عما خصصته ونشرته واصدرته فى كتابى السابق « رحلات جادة مرحة » سنة ١٩٧٢ ..

وكان فى تصورى أن كتاب « كلام عنا وعن اسرائيل » سوف يصدر فى النصف الأول من اكتوبر ١٩٧٣ .

وبالفعل دفعت الى المطبعة « باصوله » فى أوائل سبتمبر ٧٣ ، وطلبت أن يعد للطبع خلال رحلة قصيرة « واتتنى » الى الخارج وعدت منها فى التاسع والعشرين من سبتمبر..

عدت لاقرأ فى صحف صباح السبت ٢٩ سبتمبر خطاب الرئيس انور السادات ليلة الذكرى الثالثة للرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

وكانت أهم فقرة فيه وكأنها « كلمة السر » .. (ولا مفر .. « فالكلمة » غالبة علينا وعلى أمرها حتى فى القتال وفى الاشارة اليه !) هى قول السادات فى ختام كلمته

« هناك موضوع وربما تلاحظون اننى لم اتكلم فيه ، وهو موضوع المعركة .

ولقد قصدت ذلك قصدا ..

لقد شبعنا كلاما ..

نحن نعرف هدفنا ، ونحن مصممون على بلوغه . وليست هناك جهود لا نبذلها ، أو تضحيات لا نقدمها لتحقيق هدفنا . لن اعد بشىء . لن ادخل فى تفاصيل أى شىء . ولكن أقول فقط ان تحرير الارض هو المهمة الاولى والرئيسية امامنا.وبعون الله سوف ننجزها ».

وجاء يوم السبت التالى ٦ اكتوبر ، وانتصف النهار ، وكل شىء يبدو كأنما لا شىء ولا جديد تحت الشمس : نحمل مزيدا من هموم هزيمة ٥ يونيو وأوجاعها ، ونتدرع بمزيد من الصبر والعمل والأمل ! كنا لا نعرف — بالضبط — ما الذى يعد ومتى يجىء ! بل أن بعضا منا كانوا حائرين . هل كان الدهر يعد

عـدا « تنازليـا » أم « تصـاعديا » منذ تلك الساعة القاصمة فى صباح ذلك اليوم الأسـود السيء الحظ والسمعة .. ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ومرت ساعتان .

واشار الوقت الى الساعة الثانية بعد ظهر اليوم السـادس من اكتوبر سنة ١٩٧٣ الموافق العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ للهجرة .

وعندهـا ـ فقط ـ ومعهـا وبمشيئة الله وفضله تغير وجه الحياة فى مصر !

وبعد ٦ سـاعات كانت قواتنـا المسلحـة الباسلة ـ التى تتحـرق شوقا للتحـرير منذ ٦ سنوات ـ قد عبرت قناة السويس على طول المواجهـة ، وحطمـت خـط بارليف نقضـه وقضبضه وهيله وهيلمانه ، وتقدمت عبر سيناء تخوض معركة ضارية للتحرير .

وكانت هـذه السـاعات ـ بالذات ـ هى التى تتلهف اليهـا شعبا وجيشـا ، وجاءت على أكـرم واخـلد صـورة للجسـارة والتوفيق و « المصرية » الحقيقية .

ودخل « ٦ اكتوبر » التاريخ ، بحق ، وبثأر مشروع - وباعداد مدرب علمى شاق وصابر .. وبالعناية الالهية .

دخل « ٦ اكتوبر » التاريخ ليدوس تحت اقدامـه ـ بل ليطـرد من تاريخنا ـ ٥ يونيو المنكود .

دخل وكأنه « المسيح المنتظـر » يقتـل « المسيخ الدجال » !

ان ما كتب عن ٥ يونيو كثير كثير .. ومن وجهات نظر مختلفة . ولعلى أكون واحدا ممن مثلوا وجهة نظر الرفض ، والنقد الذاتى ، والمرارة ، والحفز ..

ولربما كان ما كتب عن ٦ اكتوبر هو ـ بقصر زمانه ـ الجزء الأقل ، مع كونه ـ بطبيعته وبمتغيراته وبمعانيه الجليلة ـ الجانب الأهم .

غير أن « فصول » ٦ أكتوبر لم تكتمل ـ مع كونها « كمالا » فى ذاتها ـ ولم تصدر فيها بعد « الكلمة الأخيرة » مع ثقتنا الأكيدة فى أنها كلمة عربية تمثل ارادة أمة عربية وتنتزع نصرا عربيا بمشيئة الله .

وهكذا تأجل صدور هذا الكتاب ليضم ـ بالضرورة ـ جزءا عن معارك ٦ أكتوبر المجيدة ، وعن الهامات العربية التى ارتفعت معها .. ترفرف أعلامها وتعلو كرامتها .

وليحمل الكتاب اسمه الجديد « كلام عنا وعن اسرائيل . من ٥ يونيو الى ٦ أكتوبر » ..

وبقى أن اقرر حقيقتين ..

الأولى :

انني ربما كنت من أكثر الناس ـ والكتاب والشعراء ـ مرارة وأوجاعا .. مما « أقلقتنا » به « مقدمات » ٥ يونيو ٦٧ ، ثم « دهتنا » به « هزيمته » الفاجعة ، ثم « مزقتنا » ولوعتنا « نتائجه » ، وان لم تكسر كلها مجتمعة ارادتنا مجتمعة .

واعلم اننى ملكت حرية الحركة والعمل والتعبير منذ حركة التصحيح فى ١٥ مايو ٧١ ، ولكنى لم أملك الفكاك من مرارة ٥ يونيو التى كانت تصطخب فى أعماقى ، وكأنها كانت « محصلة » للآلام ، وللرفض ، وللعناد ، وللاصرار ، وللكبرياء الوطنى ، وللايمان الأشبه بالغضب الكظيم ، ولليقظة ، وللدعوة بل للالحاح ! كأنها كانت تيارا متدفقا من « الهموم » و « الاهتمامات » تشارك وتتعجل يوم الثأر الموعود !

ولكنها كانت « مرارة » ــ وأية مرارة ــ على أى حال وعلى كل حال !

غير أننى أشهد أمام الله وأمام ضميرى أننى تحررت ــ كلية ــ من هذه المرارة منذ عبور الجيش المصرى وجسارته فى معارك ٦ أكتوبر وتقدمه فى سيناء ، وكأن ميلاده الجديد الذى رد اعتباره يمثل ميلادا جديدا « لنفسيتى » ونفسية الملايين ، ويزيل المرارة !

ولا حتى « حادث » البحيرات « المرة » والدفرسوار ــ على ما فيه ــ قد أعاد المرارة ..

والثانية :

أننى ــ بفطرتى .. ولا مباهاة ، وانما لا حيلة فيما فطرت عليه ــ لا استطيع ان احمل « حقدا » لأى انسان . حتى هؤلاء الذين قد أكون تناولتهم ــ ضمنا ــ فى هذا الكتاب بين بعض « كلام عنا » ونددت بهم ، فيعلم الله اننى

ـ رغم ظاهر حملتي الشديدة عليهم ـ لا أكن لهم أي حقد . ربما اسخر . ربما اكشف . ربما احذر . بل انني في الواقع « اشفق » عليهم ، وارجو صلاح حالهم . أما الحقد .. فلا . لا أستطيع !

غير أن « حقدي » كله متجمع ومحدد ومركز نحو اسرائيل .

وهو حقد كل ما فيه ضروري حميد .

ولا اتصوره الا مبررا بعد كل ما اقترفته اسرائيل من كبائر ومن جرائم مستمرة غير مبررة ، وبصورة لا مثيل لها في التاريخ .

وليست هذه حقيقة جديدة فمن نحص مشاعري ومشاعرنا الانسانية جميعا نحو اسرائيل التي عدمت الانسانية بل آذتها .

انما الجديد الذي اقرره هو أن هذا الحقد الذي بلغ حد التشبع حتى الخامس من اكتوبر ١٩٧٣ قد تضاعف لدى اضعافا مضاعفة بعد ٦ اكتوبر .

لقد ثبت عمليا أن اسرائيل « لم تكن تهزل » ! انها باصرارها على الاحتفاظ بالأراضي العربية المحتلة لم تكن ترمي الى استخدامها كورقة ضغط ومناورات وكسب سياسي فحسب ، وانما من أجل مزيد من توسع « الأمر الواقع » الخبث لتحقيق « استيطان » أخبث !
ونستطيع أن ندرك تلك النوايا الشرسة من

نظرة « متأملة » الى « تحصينات » الجانب الشرقى لقناة السويس ابتداء من الساتر الترابى الذى أقاموه بارتفاع ١٥ و ٢٠ مترا ، الى خط بارليف « الاسطورى » الحصانة لاشعال النيران على طول القناة و « حرق » المقاتلين المصريين لدى اية محاولة عبور شامل ، الى خط بارليف « الأسطورى » الحصانة والاحكام والارهاب والتكاليف .

وهى مسائل تبيناها ـ وتغلبنا عليها تماما ـ عندما تعالت نداءات المقاتلين المصريين البواسل فى العبور على طول مواجهة هذا المانع المائى البالغ الصعوبة ابتداء وانتهاء بامتداد ١٨٠ كيلومترا تردد « الله اكبر . الله اكبر » ، وتؤكد أن المقاتل المصرى « اكبر » من عدوه استعدادا وتدريبا واصرارا وعقيدة ايمان وقتال .

واذا كانت اسرائيل قد « فوجئت » بهذا الهجوم المصرى فى القناة ، وبالهجوم السورى فى الجولان ـ وهى فى الواقع لم تفاجأ بالهجوم ، وانما « فوجئت » بالاقتدار المصرى والسورى وبالروح الفدائية ـ فان اسرائيل لم تستسلم ببساطة ، ولم تسلم ـ طبعا ـ بأن ما نصنعه هو تحرير مشروع لأراضينا المحتلة. انما مضت ـ ومن ورائها أمريكا ـ تتحدى العالم كله بعد أن انهارت « نظرية الأمن الاسرائيلى » المدعاة ! بل وصلت بها « الضراوة الحاقدة الهستيرية » الى الحد الذى دفع « زعماءها »

القتلة المجرمين الى اطلاق التصريحات بأنهم مستعدون ـ دفاعا عن سرقاتهم ، وكعصابات آل « كابونى » ـ الى محاربة العالم كله بما فى ذلك امريكا نفسها !!

تلك هى « طبيعة » و « طينة » العدو الاسرائيلى الذى نواجهه ويواجهنا ، والذى يتصاعد « حقدنا » العظيم تجاهه لأننا نكتشفه أكثر وأكثر مع الأيام ، وفى الحرب و « السلام » !

ومن هنا تزايد « حقدى » نحو اسرائيل خلال وبعد معارك اكتوبر ٧٣ المجيدة وتعمقت أسبابه .

ولعل هذه صورة فريدة « لنفس » يشفى غليل صدرها ، ويلتهب فى الوقت ذاته « حقد نبيل » فى أعماقها !

ولست اخجل من مثل هذا الحقد ، ولا من تقريره منظما مهذبا بناء واعيا متصاعدا ، مادام هو الجناح المكمل لحبى مصر والعروبة والانسانية !

وفى الوقت الذى كان ـ ولا يزال ـ الغرب يعانى من « أزمة الطاقة » التى تسببت فيها اسرائيل الباغية المتعالية ، كنت ولا زلت أشعر بان ثمة طاقة ضخمة ـ غير عادية ـ تلهمنى وتسيرنى ـ بل تلهمنا وتسيرنا جميعا ـ هى « طاقة الحقد » على اسرائيل ، أو بعبارة أخرى

هى « طاقة الحب » لأوطاننا ولكل البشر الذين هم بشر .. وليسوا وحوشا !

بروح هذه الطاقة المصرية العربية كتبت فصول كتاب « كلام عنا وعن اسرائيل . من ٥ يونيو الى ٦ أكتوبر » ..

وبها ولها أضع كتابى بين يدى القارىء العزيز فى مرحلة البعث المصرى العربى الجديد ، اسهاما متواضعا جدا بين ملحمة التحرير والمجد والكرامة التى يكتبها بدمائهم وتضحياتهم وبطولاتهم مقاتلونا الأوفياء النبلاء .

« مصطفى بهجت بدوى »

٧ ديسمبر ١٩٧٣

نوازع القلق قبل ٥ يونيه

نادر في تاريخ الامم ، ان يحدث مثل ما حدث هنا في ٩ و ١٠ يونيو ١٩٦٧

قبلها بايام قليلة ـ باسابيع ـ كانت الصحة النفسية عالية والتعبئة المعنوية اسطورية • كان شعب يحلم بالنصر ويتهيأ له • الصورة تلتمع في الذهن بان تل ابيب ذاتها طوع البنان ، وانها قد تكون فرصة لتصفية الحساب ـ أخيرا ـ اذا تجاسرت اسرائيل مرة أخرى وبدأت الهجوم •

كان الشعب يصدق المسئولين عن قواته المسلحة في ذلك الوقت ، ويطرب لتصريحاتهم التي اعتبرت العمليات الحربية المحتملة في يونيو مجرد نزهة •• وهذه كلماتهم بالضبط دون تحوير • ومسئول الطيران المصري يدلي بأحاديث صحفية بليغة ومليئة بالثقة ، لم يدع فيها شاردة ولا واردة الا غطاها • ولم نكن ندري أنه كان يهتم بالغطاء اللفظي ونسي الغطاء الجوي •

كان الشعب قد عهد بابنائه الى أيد ظنها أمينة ، وسلم مقاليد امور قواته المسلحة الى قادة تصورهم وعوا درس عام ١٩٥٦ ، فلن يفاجأوا بهجوم جوي شامل يدمر طائراتنا ويحرقها وهي قابعة في مطاراتها قبل أن تبدأ المعركة ، فيشل قدرتنا الهجومية الهامة تكتيكيا واستراتيجيا . وأخطر من ذلك ، يشل القدرة على التفكير • هذا

مستحيل ولن يتكرر · لن يعود هؤلاء القادة يبدون كأنما يستعدون للمعركة الفاصلة ، بينما هم فى واقعهم وأعماقهم يركنون الى الدعة والرخاوة والحياة الناعمة . لن يلوحوا بأن فى خزائنهم خططا لسحق اسرائيل ، بينما منتهى خطتهم أن يأمروا قواتنا بالانسحاب الى غربى قناة السويس عند أول لقاء ·

أما فى المعسكر الآخر - فى اسرائيل - فكانت سياسة مرسومة ومدروسة فى عناية ودقة وبراعة : الوجه الخارجى بكاء وصراخ وفزع من قوة العرب ونواياهم العدوانية لإلقاء اسرائيل فى البحر ، وتحت السطح استعداد منقطع النظير جاد ومحكم ومتبتل لهذه المعركة ، ومنذ متى ؟ بالتحديد فور ازالة آثار العدوان الثلاثى سنة ٥٦ ·

اسرائيل كلها شاكية السلاح : تكنة مؤسسة عسكرية ، الرجال ، النساء ، الاطفال لكل منهم دوره فى المعركة التى يعدون لها . كأنها رسالة ودين وهدف لا يحاد عنه ، بل كانها الحياة نفسها وأسلوب تربيتها وتطويعها لأسباب البقاء وأمانى المستقبل ·

ولقد كنا نحن أولى بهذا ، تمليه علينا رسالتنا الخالدة دينيا وتاريخيا وحضاريا ومصيريا ، وتفرضه تجربتنا المريرة سنتى ٤٨ و ٥٦ ·

غير ان اسرائيل - ولا أهون من دور استنادها الى الاستعمار العالمى والمساعدات الامريكية الرهيبة ونفوذ المال والدعاية ···الخ - هى التى كرست وجودها للحرب والعدوان والتوسع ، وخططت مصانعها ومستعمراتها ومدارسها وكل موارد حياتها المغتصبة وحشدتها كلها للمعركة . وغنى عن البيان قواتها المسلحة واداتها الهجومية المباشرة ·

ولأضرب مثلا واحدا لدلالته وشدة أثره فى حرب ٥ يونيو سنة ٦٧ · بعد اضطرار اسرائيل الى الانسحاب من قطاع غزة فى مارس

سنة ١٩٥٧ مباشرة ، ودون اى تباطؤ ، بدأ بن هود قائد سلاح الطيران الاسرائيلي - بملكات الخيال والتصور وترجمتها الى واقع حاسم ومدرب وشديد الكفاءة - يقيم فى النقب ساحات شاسعة لميدان المعركة الجوية القادمة مع مصر : صورة طبق الأصل من جميع مطاراتنا تقام فى اسرائيل . تدريب لا ينقطع بالليل والنهار - أكثر من عشر سنين - للطلعات الجوية بحساب الدقائق والثوانى والمسافات والدهاب والاياب ، وأنسب الطائرات وحمولتها وسعة خزانات الوقود وتعديلها ، والتغلب على انذارات محطات الرادار . الهدف المحدد : تحطيم جميع طائراتنا أو اكبر عدد ممكن منها على الأرض وقبل بداية ساعة الصفر الأرضية ، وذلك بأقل خسائر مستطاعة لطائرات اسرائيل . وقد كان . . بكل نزيف الأسف والهوان . وفى الساعات الأولى المذهلة من صباح ٥ يونيو الحزين .

اننى - كواحد من أبناء هذا الشعب - كنت أشارك فى الحماسة وأمل النصر قبيل بدء حرب ٥ يونيو ،وأتطلع فى رجاء الى المسئولين آنذاك عن القوات المسلحة ، وبالتالى عن كرامتنا وحريتنا وأرضنا ، غير أننى عندما كنت أخلو الى نفسى - بعيدا عن حرارة الحماسة الجماهيرية وعدواها الطيبة - كنت أضع يدى على قلبى ، وأحاول أن أجهض نوازع القلق . ذلك ان السنين السابقة على عدوان ٥ يونيو كانت تحمل اشارات ودلالات باعثة على التساؤل بل المخاوف .

كانت اهتمامات هؤلاء القادة - الذين عزلوا وحوكموا فيما بعد - منصبة على أشياء أخرى غير الذود عن الديار وتأمين سلامة جبهتنا العسكرية واشتياقنا لتأديب اطماع اسرائيل . كانوا هم « مراكز القوى » التى تتهدد الجبهة الداخلية ، والتى تضغط حتى على الزعيم الخالد عبد الناصر نفسه كما صرح هو بذلك سنة ١٩٦٨

مراكز القوى تلك شغلت باستعراض عضلاتها وقوتها . ضغطت لفرض ارادتها على الحياة السياسية . ضغطت لتعيين أنصارها وأذنابها . « طاحت » بمباحثها الجنائية العسكرية فى المؤسسات

بكل وسائل التجني والاستفزاز والامتهان لسيادة القانون ، ونكلت بأناس شرفاء وابرياء لمجرد الهوى واستظهار القوة وخدمة المحاسيب. نصبت سرادقا لتحقيقات ومحاكمات سياسيه وغير سياسيه بعضها وهمي والبعض الآخر ليس من مهمتها التصدى له ! عفن ، وتسلط وصغار ، وسعار ، وكلها امور لاتطمئن •

وكنت أشفق على قواتنا المسلحه من هؤلاء العابثين الذين يتولون قيادتها .. قواتنا المسلحة بجنودها وضباطها الابطال ، الابطال بغير مباهاة تقليديه ، بل بكل صدق معنى البطوله وكفايتها وفدائيتها وتضحياتها • •

وحدث ـ وياهول ما حدث ـ يوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ : هزيمة مروعة لا تنسى . وانسحاب ، وتمزق وخسائر فادحة في الارواح والمعدات دون ان تتمكن قواتنا المسلحه المظلومه من أن تقف وتحارب وتدافع وتواجه قوات اسرائيل التى ـ تكن ـ ولن تكون أبدا ـ اسطورة متفوقة • وخسرنا معركة يونيو ٦٧ لأسباب لاخلاف عليها هى ـ كما صرح احد كبار القادة العسكريين ـ « أخطاء القيادة العسكرية السابقة التى لن تتكرر » •

فماذا فعل الشعب المصرى البرى الأصيل ، وقد نزلت عليه نزول الصاعقة انباء الهزيمه الشنيعة القاسيه غير المتوقعه ومن خلال حدث آخر رهيب وبعيد عن التصديق هو تنحى قائده الصلب ورمز ثورته ؟

كانت معجزة هذا الشعب أنه ـ بفراسته والهامه وعمق رواسب الحكمة والصلابة والحضارة فيه ـ هب جميعه تحركه فطرته لا التنظيمات السياسية ، ليبهر العالم فعلا ويذهله ، ويثبت أنه فوق الهزيمة وأعلى من الانكسار واليأس • خرجت جموعه ملايين تسد منافذ الطرقات يومى ٩و١٠ يونيو ١٩٦٧ تصر على الصمود . وعلى استمرار قيادة الزعيم ، وعلى ضرورة تصحيح الأوضاع والمسار ،

وعلى ازالة آثار العدوان ، وعلى بناء القوات المسلحة من جديد ، وعلى تقبل المزيد من التضحيات فى سبيل الوطن الأعز •

وهو الشعب نفسه الذى انطلق يوم ١٥ مايو مؤيدا تصحيح الانحرافات وضرورة سيادة القانون والحريات •

والاشادة بشعب ٩و١٠ يونيو فى كل مناسبة وطنية وجماهيرية ليس نوعا من التزيد او التكرار . انه نقطة تحول دخلت التاريخ . فاننا ـ ونحن نستعيد ذكرياتنا ، ونتامل حاضرنا ، ونتطلع الى مستقبلنا ـ سنظل نذكر دائما وقفته التى منعت اسرائيل من تحقيق أهم اهداف عدوانها ، ونذكر صموده الذى طوع لمصر أن تبقى هى مصر برغم كل شيء • ويكفى لنتعرف فضل شعب ٩و١٠ يونيو ان نتساءل : ماذا لو كان الشعب دور هزيمة يونيو ٦٧ استسلم للهزيمة العسكرية ولمصيره ، واطلق لاسرائيل العنان ؟

هذا هو المعنى الذى يؤكده دائما الرئيس انور السادات فى خطاباته الى الأمة « أريد ان أرى ، وأن تستمر حيوية شعب ٩و١٠ يونيو » .

وهذه هى ايضا معانى صمود شعبنا ومثابرته وتضحياته خلال هذه الفترة ، والتى عبر عنها الرئيس السادات فى لقاءاته ـ التى تفيض أملا واحساسا بالمسئولية ـ مع قواتنا المسلحة الباسلة بقوله « انه بعد هذه السنوات من يونيو سنة ١٩٦٧ فاننا نحمد الله . ان الصورة امامنا مشرقة وأمامهم قاتمة . أن بناءنا العسكرى والسياسى والاقتصادى يزداد كل يوم قوة • اننا لن نتنازل عن بوصة من أرضنا ولو قدمنا مليون شهيد • وان المعركة لابد آتية ولابد ان نسلم للجيل الجديد دولة مسلحة بالعلم والتكنولوجيا حتى لا يفكر أحد فى الاعتداء عليها » •

اننا لا نهول ولانهون من قدرات اسرائيل . فكلا الامرين خطأ لاشك فيه ؛ وانما نضعها فى حجمها الحقيقى والطبيعى . ومن ناحية

اخرى .. ولخدمة معركتنا المصيرية لا نسرف فى التفاؤل ولا نتخلى عن الصبر والأمل .

قصد السبيل اذن أن نجعل من ايماننا وعملنا وجهدنا وتخطيطنا بعيد المدى رسالات نكرس لها حياتنا ، فهى التى تبلور التفاؤل الى حقيقة غير واهمة ، وهى التى تضعنا فى حجمنا الكبير الحقيقى والطبيعى والذى ينبغى أن يراه العالم ..

واننا لنتوجه بتحية اكبار وعرفان لشعب ٩و١٠ يونيو صاحب السيادة والاصالة ، وضمان وامل المستقبل ■

٧١/٦/١٢

ونحن نبنى الاتحاد الاشتراكى

هل يتعلم الاتحاد الاشتراكى العربى ؟ وهو الذى كان أول من روج مبدأ التعلم من « التجربة والخطأ » وأشاع سياسته ؟! ومبدأ التجربة والخطأ والتصحيح ـ فى ذاته .. ولأمة نامية ـ من مقتضيات الحال وهو مقبول ومعقول .. ولطالما عذبتنا مرارة التجربة وفداحة الخطأ !

هل ينجو الاتحاد الاشتراكى ـ ويجب ان يفعل ذات يوم ـ ويبرأ من كل امراضه الوراثية بعد ان ولد كبيراً وفضفاضا وهزيلا فى نفس الوقت ، ثم استلزم الامر اجراء جراحة جسيمة له سنة ١٩٦٨ ، ثم جراحة جسيمة اخرى فى ١٩٧١ ليصحو ويصح ؟!

والغريب أن الجراحة فى المرتين اجريت لنفس الاسباب .. وكأننا لا نتعلم برغم خطورة المرحلة المصيرية الدقيقة التى تجتازها بلادنا ، والتى تحتاج الى كل الجهد واخلصه فى مواجهة ابشع عدوان واضخم تحد .

وما أشبه الليلة بالبارحة !

يكفى أن نقرأ العبارات التالية فى بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ ، الذى مهد لاعادة بنيان الاتحاد الاشتراكى من القاعدة للقمة ، ليمثل فى الاذهان على الفور الموقف الغريب الذى ترتب عليه من جديد اعادة البنيان فى ١٩٧١ .. تشابه بالحرف الواحد !

« لقد تجاوزت الامور حداً لا يمكن قبوله بعد النكسة ، لان مراكز القوى وقعت فى طريق عملية التصحيح ، خوفا من ضياع نفوذها ومن انكشاف ما كان خافيا من تصرفاتها . وكان ذلك - لو ترك وشأنه - كفيلا بتهديم جبهة الصمود الشعبى . ولذلك فقد كان واجبا - بصرف النظر عن اى اعتبار - تصفية مراكز القوى ، ولم تكن بالمسألة السهلة ازاء المواقع التى كانت تحتلها مراكز القوى وفى اطار الظروف التى يعيشها الوطن » .

على انه يمكن التساؤل . هل اسباب فشل الاتحاد الاشتراكى السابقة تعود الى قيام « مراكز القوى » فحسب ، ام تمتد الى جبهه عريضة أخرى اسمها « مراكز الضعف » ؟! وبتعبير آخر : الم يكن بنيان القواعد من الضعف بحيث يجعلها بلا فاعلية ولا هدف محدد او وضوح رؤية ؟ الم تكن هذه القواعد فى متاهات ، تجد سلواها فى الاستسلام وانتظار التعليمات والتأهب للتأييد ؟ الم تكن كلها جراثيم تخلق الجو المناسب وغير الصحى لنمو مراكز القوى وتسلطها ؟

ونظرة الى بعيد .. لا بد أن نعترف بأن الاتحاد الاشتراكى حير من بنوه عند بدء انشائه .. هل يقصرونه على عدد محدود .. وما هى الأسس والمعايير ؟ .. أم يفتحون الباب على مصراعيه لتندفع الجموع كالطوفان وتتسابق على عضويته وكأنها بطاقة التموين أو تحقيق الشخصية !

وكان الخوف من الأخذ بالراى الاول يستند الى عوامل بشرية ونفسية ومصيرية مؤداها اننا بهذا منذ البداية نخلق حزبا معارضا وقويا وربما منظما ! وكان ترجيح الراى الثانى تبريرا وجواز مرور لخمسة ملايين عضو ، ربما بلغوا الآن ستة ملايين ، يرتعون فى بحبوحة ظل وارف وصفة طنانة اسمها « اعلى سلطة سياسية فى الدولة » ! ومطلوب منها كل شىء ، وكأنه ليس مطلوبا منها اى شىء !

والانتماء لهذا البلد ، والتفانى فى حبـــه ، والعمل له بشتى الامكانيات واصوب الطرف .. مسألة مطلوبة ومعروضة وحقيقية فى كل ابنائه بلا جدال . وليس بالضرورة ان يشتغل الجميع بالعمل السياسى فى معناه المباشر ، كما انه ليس متصورا ان من لا يتخصص فى العمل السياسى سيكتفى بالجلوس الناعم فى مقعد المتفرجين ، وكأن بلده لا يعنيـــه فى كثير او قليـــل . ولكن المسألة ـ كمـا اسلفت ـ كانت محيرة لبناة الاتحـــاد الاشتراكى وآثروا معهـا السلامة .. والتجربة .

وبدات عمليات الترشيح والانتخاب للوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى . وفى المرحلتين كانت ملاحظات الذين يتأملون ويتعمقون واحدة .. فى انتخابات عام ٦٣ وعام ٦٨ .

ولا احد يملك جهاز فحص الكترونيا او غير الكترونى يكتشف النوايا والضمائر ، او يميز الخبيث من الطيب ، وهو لن يوجد . كما ان هذه النزعات لا تخضع للآلات . ولكن بدلا من ان نقتصر على القول بأن لنا الظاهر والله يتولى السرائر ، كان ينبغى أن نتمعن الظاهر ونختبر المعدن ، ونحسن الحكم على التصرفات فى الماضى والحاضر ، وهى مهمة اسلم بصعوبتها : من يحكم على من ؟ ولكنا كنا قدريين متواكلين اكثر مما يجب .

فماذا كانت النتيجة ؟

دخلت الوحدات الاساسية ـ بالانتخاب ـ عناصر من أشرف وأنشط وأكفأ الشباب وغير الشباب تمتلىء غيرة وحماسا للعمل السياسى والخدمة العامة .. هذا صحيح .

غير انه الى جوارها رشحت نماذج غريبة ونجحت واكتسحت ايضا !

من بين هـــذه النماذج من يكرهون الاتحـــاد الاشتراكى ، بل يكرهون مجرد كلمة الاشتراكية لا مبادئها وحدها ، دخلوا ليميعوه

ويحاولوا افساده . ودخل ايضا من لم يؤمنوا بالتنظيم السياسى والثــورة وارادة التغيير ولا احســبهم سيؤمنون ابدا . وتسلل الطامعون فى السلطة والجاه والمناصب وما تدره ! ونجح كثيرون من محترفى الانتخابات والمزايدون . واكتشف الخائفون من الثورة ومن « بطشها » ان فى عضوية لجان الاتحاد الاشتراكى غطاء الأمن .

وأصبحت وحدات أساسية للاتحاد الاشتراكى كقاطرة يحاول البعض تسييرها الى الامام والبعض الآخر الى الخلف ، وفريق ثالث يستميت من اجل اخراجها عن القضبان !

وأصبحت عملة « النفــاق » من اروج العمـــلات واكثرها انتشارا !

وضاعت سنوات طويلة فى الاهتداء الى صيغة مناسبة لتحديد العلاقة بين الادارة ووحدة الاتحاد الاشتراكى ، وتركت المسألة للاجتهادات والنزوات ، كما تداخل دور كل من اللجنـة النقابية ولجنة الاتحاد الاشتراكى ، ونشأت حساسيات أهدرت كثيرا من جهدها . وضاق موضوع « حل مشاكل الجماهير » حتى شــل الوحدة ، واتسع فى أحيان اخرى حتى اغرقها وانحرف بهــا عن الواجب الاساسى .

ولم تكن الصورة قاتمة تماما على اى حال . فقد كان لى ، كما كان لغيرى ، تجـربة لا بأس بها مع الاتحــاد الاشــتراكى فى أكثر من مكان .

غير ان الأمل المنشود هو أن تجىء وحدات أساسية ومؤتمر قومى ولجنة مركزية أوفر صحة وأكثر احساسا بالمسئولية ، بعد ان تأكد للجميع ان وحدة قوى الشعب العاملة فى الاتحاد الاشتراكى هى انسب السبل ــ بل السبيل الوحيد الذى لا رجـوع عنه ــ لمسيرة الثورة والاشتراكية .

وما لم تكن القـدوة الحسـنة التى تلتزم بها القـيادات التى تسفر عنها الانتخابات هى النموذج الثورى أمام الجماهير نقـاء وطهارة وتفانيا ، فان السـلبية واللامبالاة والفشـل هى المصير المحتوم .. لا قدر الله .

اذن فبحرص صادق على القدوة النقية وعلى الوحدة الوطنية وعلى الصراحة والنقـد الموضوعى والديمقراطية التى لا تخـاف ولا تنتظر التعليمات وعلى اليقظة والوعى ـ وكلها رؤوس مسـائل كبيرة وبالغة الاهمية ـ نستطيع القول اننا قد ننجح فى تصحيح الاوضاع وفى بناء الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمـة ، ونقطع السبيل على المتسللين والطامعين والحاقدين والمخربين .

ولكن كيف يعبأ الاتحاد الاشتراكى لخدمة معركتنا المصيرية ضد اسرائيل ، ولتحقيق النصر ، بالعمل الذى لا يهدأ ولا يكل ، والذى يقدر تقديرا ذكيا ومسئولا حجم القضية وحيويتها وأثرها على جيلنا والاجيال القادمة ؟

من الطبيعى والمؤكد ان هذه مهمة شديدة الضخامة تنـدرج تحتها مئات البنود وتتدفق ميادين العمل ، ويلزم الأخـذ بها دون تردد ، ولكن على أن توضع كلها فى أطار هذا الهدف الاعز والاجل ، والذى لن يكون بعيد المنال اذا أحسنا الاعداد له .

واذا كان الرئيس انور السادات فى لقائه بالجماهير وأحاديثه اليها يطالبها دائما ويلتزم أمامها باقدس ما هو منوط بنا اليـوم والغد ، وهو « المعركة أولا والمعركة آخرا » ، فان الاتحاد الاشتراكى العربى ينبغى ان يكون الطليعة ، وأن يكرس حياته واسلوب عمله فى الجبهة الداخلية لخدمة المعركة ورفع مهانة الهزيمـة وتوفير أسباب النصر .

٧١/٦/٢٤

دستور مصر ٧١

باغلى الذكريات واصدق الاعزاز ، بلهفة المشتاقين وأمل وتفة المتفائلين ، توجهت الى لجنة الاستفتاء وأبديت رأيى ــ مع ملايين المواطنين ــ فى مشروع دستور ١٩٧١ لجمهورية مصر العربية .

لقد كان لجيلى الذى تفتحت عيناه على الحياة ــ ودستور سنة ١٩٢٣ وليد ــ ذكريات غالية ، فقد جمعتنا كل أواصر المحبة لهذا الدستور وما يحمله من معانى الحرية والديمقراطية على النحو الذى كان يمكن ان تصل اليه احلام مصر فى تلك الآونة .

احببناه حتى قبل أن نستظهره ، ودون أن نسمح عقولنا الصغيرة بتعمق احكامه ونصوصه . كنا نرى آباءنا يحيطونه باحترامهم ، ويتحدثون عن حقوق الشعب من خلاله وعن الضمانات التى يكفلها والشعارات البراقة التى يرفعها ، فتتسع اعيننا ببريق الدهشة والاعجاب والرغبة فى المعرفة .

ثم لمسنا اللوعة فى نفوسهم والغضب فى احاديثهم حين عبث « العرش » و « الحكام » بآمال الشعب المكتوبة والدستورية ، وراحوا يكرسون طغيانهم وينظمون دستورا جديدا فى سنة ١٩٣٠ ليضع قيودا واغلالا جديدة فى الايدى والاعناق بدلا من أن يرفعها . وكرهنا دستور ٣٠ بينما نسمع مناقشات اهالينا

وثورتهم ، ثم ونحن نخلو الى انفسنا ونمارس ـ وربما لاول مرة ـ قراءة الصحف والمقالات المعارضة النارية والكاريكاتير الجرىء اللاذع !

ومثلما خرجنا ـ بالبنطلونات القصيرة ـ فى مظاهراتنا فتية مع الكبار سنة ١٩٣٥ نهتف ضد الاحتلال البريطانى ، ونطالب بمصر الحرة المستقلة ، خرجنا ايضا نردد هتافات الحياة لدستور ٢٣ والسقوط لدستور ٣٠ !

نشأنا اذن فى هذا الجو السياسى الذى يصطخب بالمناقشات والمظاهرات والحيوية والثورة على الاغلال ، ثم المشاركة فى صنع الحياه لمصر الخالدة وبناء الغد لها والصراط المستقيم وهى فى مفترق الطرق . فلا عجب اذا كنا اعتدنا ـ بل رضعنا ـ عشق الدستور الذى هو « ابو القوانين » !

وكتب لدستور ٢٣ البقاء ، غير أن نصوصا « متسيبة » منه وأخرى مطاطة ، ساعدت أهواء العرش ، ثم زيفت ارادة الامة ، وحكمت بالاقليات والحديد والنار ، واهدرت كل معنى حقيقى للدستور والضمانات والقوانين ! واصبح الدستور اداة ولعبة فى يد الطبقة المستغلة لتتسلط على الجماهير وعلى اصحاب المصلحة الحقيقية فى الدستور وفى هذا البلد . وكانت الثورة الاجتماعية و «الاشتراكية» مجرد رغبات تجيش بها الصدور وكلمات غامضة تظهر احيانا فى بعض الصحف والمجلات وبين السطور لتقتلها المصادرة !

وقبل أن تتبلور وتتالق فكرة الحرية الاجتماعية التى تسير جنبا الى جنب مع الحرية السياسية والديمقراطية السليمة .. قبل ان تعتنق مبدأ « الحرية كل الحرية للشعب ، ولا حرية لأعداء الشعب » اذكر المحاضرات الممتعة التى حرصت على حضورها ـ على قلة ما حضرته ـ وانا ادرس الحقوق فى كليتها بجامعة

عين شمس (ابراهيـم فى ذلك الوقت فى سنتى ٥١و٥٢) والتى كان يلقيها استاذنا العميد الدكتور عثمان خليل عثمان فى القانون الدستورى . وكان شغفه بالدستورية وتبتله وتقديسه لها يجذب القلوب والاسماع والافهام ، ويصيبينا بالعدوى فضلا عن كوننا صرعى هواها اصلا !

وبحكم ان تلك الكلية بالذات فتحت ابوابهـا على مصراعيها فى اكتوبر سنة ١٩٥٠ للشباب والمخضرمين ، للطلبة والموظفين ، لكافة الاعمار من بكالوريا ١٩٢٠ حتى توجيهية ١٩٥٠ ، فقـد كان للجو الجامعى فيها طابع خاص ومذاق متفرد ! ولم يكن الاستاذ المحاضر ينصرف الى مكتبه او يغادر الكلية بعد انتهاء المحاضرات ، وانما كنا نلتف حوله ــ وبالذات المخضرمون ذوو النضوج النسبى ــ فى حلقات ونقف بالساعات أحيانا فى حوار مفتوح حول النقـاط التى فجرتها محاضراته .

وكان للدكتور عثمان النصيب الاوفى من هــذا الالتفـاف السخى ، وخاصة ان الحياة السياسية و «الدستورية» كانت تتميز بالاوجاع التى تكشفت عن مخاض ميلاد ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ . وحول الحرية الاجتماعية والحرية السياسية وما يوفره دستور ٢٣ لهما وما يقصر عنه دونهما ، وما يمكن ان يتطـور اليه بالنسبة لهما او معهما ، كانت تدور المناقشات ولا تهدأ ابدا .. ونعيب فى « الذات الملكيـة » علنـا وبغير توجس أو غضـاضة ومن حولنـا اشـلاء دستور ٢٣ !

واعتذر عن استطرادى فى تلك الذكريات التى قد يكون لها طابع شخصى ــ ببعض العمومية ــ والتى جرفتنى معها قليلا .. غير انها جانب من ذكريات وسعادة المشتاقين الملتقين ــ بعد مسيرة طويلة ــ بالدستور الدائم . أو فلنعـدل عن تسـميته بالدستور الدائم ، فان من حقه ومن واجبنا ان يدوم طـويلا !

ولكن مع تطور السنين والتغيرات الاجتماعية ، له أن يتطور هو الآخر ، ولعلنا عمدنا الى تلك التسمية لنفرق بينه وبين الدستور المؤقت ، فالأوفق أن يعرف بدستور مصر .. وبصدوره سنة ١٩٧١ .

صحيح أن هذا الدستور لا يأتى من فراغ على الاطلاق ، فانه كان لنا دستور مؤقت أكثر من مرة عبر سنوات الثورة . كما ان مبادىء الثورة فى ٢٣ يوليو ٥٢ ، وميثاق العمل الوطنى الصادر فى مايو من سنة ٦٢ ، وبيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ ، تحدد بها كثير من معالم الطريق ، ولكن يبقى دائما أن الدستور شىء آخر وهام ، وانه هو القانون الاساسى الاعلى للبلاد ، واننا أخيرا نلتقى بدستور شامل مكتوب من واقع تجاربنا واحتياجاتنا وطموحنا وتقديرنا للحقوق والواجبات وايماننا بالحريتين السياسية والاجتماعية وكافة ضمانات سيادة القانون ، من هنا نحن نسعد ونعتبره انجازا ذا شأن كبير .

والحق أن دستور سنة ١٩٧١ تميز بمشاركة واسعة النطاق تماما للتوصل الى مبادئه والى صياغته . وعلى تعدد المراحل والمحاولات التى بذلت عبر السنوات التسع عشرة قبله لاعداد مشروع الدستور وتشكيل لجان لبحثه ثم توقفها وبعثها من جديد ، فان هذا الدستور سيبقى وحده أكثر المحاولات جدية وشعبية ، ولهذا كتب له أن يولد بالفعل .

ماذا حدث خلال مائة يوم نبت فى أولها تصميم الانتهاء من وضع الدستور والاستفتاء عليه فى ختامها لاقراره ؟

تحدث الرئيس انور السادات الى مجلس الشعب والى الشعب كله فى ٢٠ مايو ١٩٧١ حديثا طويلا ، عرض فيه الافكار الاساسية التى يرجو ان يتضمنها الدستور الجديد ، ثم عهد الى المجلس باعداد مسودة مشروع هذا الدستور .. وشكلت لجنة تحضيرية للاعداد والصياغة برئاسة رئيس مجلس

الشعب تفرعت منها لجان اربع : لجنة مقومات المجتمع الاساسية ، ولجنة نظام الحكم ، ولجنة الادارة المحلية والقوانين الاساسية ، ولجنة تلقى المقترحات من افراد الشعب وجماعاته وهيئاته ومؤسساته المختلفة .

وكان قوام هذه اللجان اعضاء من المجلس الشعبى ، واستعانت بعدد كبير من رجال القانون والفكر واساتذة الجامعات ، وبكل الابحاث والدراسات التى سبق اعدادها فى السنوات الماضية عن الدستور .

ولم تعمل هذه اللجان داخل حجرات مغلقة ، وانما حفلت أعمالها بمناقشات واسعة مفتوحة وباستطلاع غير محدود لراى الجماهير . وقد تمت لقاءات متعددة بين أعضاء لجنة الدستور وممثلى النقابات والطوائف ، كما انتقلت قطاعات منها الى اعماق المحافظات والريف لتتعرف رغبات وآراء بسطاء الناس وتتعلم منهم وتجرى الحوار ، وتعكس الصورة الحقيقية والمطلوبة ، لينبض الدستور الجديد بتجاربهم وافكارهم وحيويتهم . ومرة أخرى ينتخب الشعب مؤتمره القومى انتخابا حرا بعيدا كل البعد عن شبهة التدخل والتسلط وتزييف الارادة ، ومن أجل سيادة القانون وحركة التصحيح .

ويتناول المؤتمر القومى مشروع الدستور الجديد بالدراسة والتحليل ، ويدخل عليه التعديلات التى يراها أكثر تجاوبا مع متطلبات المرحلة والمراحل القادمة واصدق تعبيرا عن ارادة الجماهير التى انتخبته . ثم تعكف اللجنة المركزية على مناقشة مواد الدستور الجديد لجمهورية مصر العربية مسترشدة بالتقرير الذى أعدته اللجنة الفرعية لصياغة الدستور . وهكذا توفرت كل ضمانات الدراسة الشعبية و «الدستورية» من أجل هذا العزيز الذى يكفل الضمانات الدستورية لشعبنا الأصيل المكافح .»

وبين ما يشكل شبه النص الكامل لهـذه المبادىء الاساسـية لمشروع الدستور كما اقرته اللجنة التحضيرية ، نجد موازنة طيبة بين الأخذ بنظريتين مختلفتين : الاولى تقول بأن الدسـتور ينبغى الا يتضمن الا المبادىء الرئيسية العامة : نظام الحكم ، التشريع ، شكل الدولة ، اجهزتهـا ، كفالة الحقـوق والحريات والواجبات ـ دون التطرق الى تفاصيل هذه المبادىء . والثانية ترى أن على الدستور أن يحدد تماما وبالتفصيل كل هذه الشـئون والقوانين حتى لا يلتبس الامر أو تثور الخلافات .

على اننى لا استطيع مقاومة اغراء التجوال بين هذه النصوص العزيزة التى جاءت معبرة عنا .. عما حققناه وعما نريده ..

فالدولة هى مصر .. جمهـورية عربية نظامهـا ديمقراطى اشتراكى يقوم على تحالف قوى الشعب العاملة ، وهو مستمد من تراثها التاريخى وروح الاسلام . والشعب المصرى جزء من الامـة العربية يعمل لتحقيق الوحدة الشاملة .

وهذا المبدأ الذى له كل براعة الاستهلال وصـدقه ، يجمع فى كلماته المختـارة بعناية بين اعتزازنا باسـم مصر وعودتنـا اليـه عودا حميدا ، وبين حتمية انتسابنا للامة العربية واستهدافنا تحقيق وحدتها الشاملة ، وحرصنا على تراثنا التاريخى والاسلامى المجيد ، والصيغة المعتمدة فى الميثاق الوطنى التى أجمعنا عليها وارتحنا اليها والفناها كأحسن وأسلم تجميع للوحدة الوطنية .. أى بتحالف قوى الشعب العاملة فى نظام ديمقراطى اشتراكى .

وتنص المبادىء الاساسية على أن الاسـلام هو دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية ، وأن الشريعة الاسلامية مصـدر رئيسى للتشريع مع كفالة الدولة لحرية ممارسة الشعائر الدينية للأديان كافة ـ وهو مبدأ مأخوذ من سماحة روح الاسلام ورحابة

افقه . واشهد ان هذا المطلب اجمعت عليه كل النـــدوات التى عقدت لتدارس مشروع الدستور ، والحت عليهـا مئات وآلاف الرسائل التى تلقيتها .

ويتضمن الدستور نصا دستوريا عتيدا وأصيلا منذ عشرات السنين « ان الشعب مصدر السلطات وله وحده كل السيــادة يمارسها بأسلوب الاستفتاء وعن طريق ممثليه » .

ومع النص على سيادة القانون التى هى أساس الحكم ، وأستقلال القضاء وحصانته التى هى ضمان أساسى لحماية الحقوق والحريات .. كان لزاما ان ينص على ضرورة حمــاية المكاسب الاشتراكية وتدعيمها باعتبار ذلك واجبا وطنيا لا رجوع فيه تحت اى اسم او اية صورة . وذلك ما اكده الدستور الجديد ، كما اكد وجود الاتحاد الاشتراكى العربى ومهامه بوصفه التنظيم السياسى الذى يمثل تحالف قوى الشعب العامل من الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والراسمالية الوطنية .

وفى المقومات الاساسية للمجتمع المصرى ينص الدستور على التضامن الاجتماعى وفريضة رعاية الاخلاق والقيــم ، وعلى حق العمل الذى تكفـــله الدولة ، مع التامين الاجتمـــاعى والصحى ومعاشات العجز والبطالة ، وكلها انجازات مشرقة حققتها الثورة وتوسعت فيها ولا تزال ، فلا غرابة فى ان تصبح دستورا . كمـا تحمى الدولة ـ بنص الدستور والقوانين التى تترجم عنه ـ القائمين على الوظائف العامة من الفصـــل التعسفى ، وتكفــل الخدمات التعليمية والثقافية والصحية وتتعهد بمحو الامية .

ويتناول الدستور المقومات الاقتصادية ليسلم ويعزز النظام الاشــتراكى القــائم على الكفــاية والعــدل ، ومنع الاســتغلال وتذويب الفوارق بين الطبقات ، مع احترام الملكية الخاصة وحظر فرض الحراسة الا بحكم قضائى وفقا للقانون ، ويحترم حــقوق

الارث . وفى عبارة مختصرة يعتمد كافة الايجابيات الاقتصادية والاجتماعية التى عشنا مراحلها ويستبعد سلبياتها .

وفى الحقوق والحريات العامة وسيادة القانون تبرز صورة المجتمع الحر الذى ننشده والذى تطلعنا اليه ونحن ندرس القانون الدستورى ودساتير الامم المتقدمة ، وتسد ثغرات التسيب او عدم التنفيذ .

ويتميز الدستور الجديد ايضا باعتماد نظام الادارة المحلية بعد ان اثبت فعالية وجدوى الأخذ بأسلوب اللا مركزية لصالح جماهير الشعب واعماق الريف ، كما يتميز بالنص - وهو نص جديد فى دستورنا - على أن يعهد الى محكمة مستقلة ، هى المحكمة الدستورية العليا - بوصفها الهيئة القضائية العليا فى مصر - بالرقابة على دستورية القوانين واللوائح والقرارت وتفسير النصوص التشريعية تفسيرا ملزما .

وبعد .. فقد أطلت ثم اختصرت ، فمعذرة !

٧١/٨/١٢

المعــركة .. والأمم المتحدة

مــا أرخص الكلمــات ، وما أغلى ما نحن مطالبون به من جهد دائب ومن تضحيات !

فلا الحماس المطلق ـ غير المهذب ـ مناسب للمرحــلة ، ولا الكلمات البليغة وحدها بقادرة على أن تعبر ، وتحرر ، وتصــمد ، ولو كان الأمر كذلك لكنا ـ خلال السنوات النيف والعشرين الماضية ـ قد نجحنا بتفوق ، ووجهنا الضربات القاضية لاسرائيل !

ولطالما أخذ علينا ـ نحن العرب ـ اننا شعب الكلام والحماس « البالونى » واحلام اليقظة ! ومن هنا نقول بضرورة تغيير أسلوب حياتنا !

الحماس الواعى مطلوب ـ ولا شك ـ بقدر ما يدفع للعمل ولا يستنفد الطاقة فيما لا يفيد ، والكلمات المضيئة المحسوبة فعالة بقدر ما تفكر وتوجه وتعمل هى الاخرى عملا كبيرا ، ولا تطيش فتذروها الرياح !

ومن هنا أيضا يجب ألا « نقول » بضرورة تغيير أســـلوب حياتنا ونظل نقولها ونرددها فحسب ، بل نفكر ونتدارس الطريقة المثلى لتغيير هذا الأسلوب الراكد .. متخطين كل المعوقات التى نصوغها نحن أنفسنا ونصنعها أولا وقبل كل شيء !

ولن يسمع أحد شكوانا فى المسائل المصيرية اذا لم ننصت نحن لها أولا وتصحح خطأنا • وفى مقدمة التصحيح الافاقة ، ثم الارتفاع الى مستوى الموقف ، ومواجهته من كافة المستويات ، دون ضجيج أو تزيين أو « تمحيك فى مستويات أخرى » أو ارتباك •

صحيح ان « التوجيه » أمر ضرورى ، ولكن المبادرة هى الأخرى ضرورية من المستويات كلها .

ولنكن صرحاء مع أنفسنا وجادين •• اننا نجتاز مرحلة بالغة الخطورة ، وينبغى معها أن يعرف كل انسان فى هذا الوطن ما هو دوره فى المعركة ، وما هو مكانه فيها ، وما هو أسلوب مواجهته لمختلف المواقف ، وبقى السؤال : كيف ؟ ومن الذى يوضح ؟

فى رأيى أن تلك مهمة القيادات الأدنى فى المحل الاول • أن تتحرك وتتفاعل وتتصور وتواجه وتعطى التجربة والخبرات • لا تنتظر التعليمات من المستويات الأعلى ، فهى لا تستطيع أن تحمل مسئولية الملايين • فقط تسترشد الدنيا بالعليا وتحركها وتشركها فى التغلب على الصعاب وحل المشكلات واتاحة الخبرات .

وما أحكم قول النبى محمد عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » •

مثلا •• اذا أجريت تجربة دفاع مدنى فى أحد المواقع : وكانت فاشلة فيتحتم ألا نخفى فشلها أو نداريه ونخدع أنفسنا •• فالخداع هنا جريمة فى حين أن الفشل جائز ومغتفر • يجب أن نجعل من الاعتراف بفشل التجربة منطلقا للتصحيح وسد الثغرات مثنى وثلاث ورباع حتى تبلغ الكمال .

وفى معنى هذه المسئوليات الموزعة تناول الرئيس السادات فى أحد اجتماعاته حجم المعركة المقبلة ومسئولياتها وأسلوب مواجهتها والسلوك والانضباط الذى يجب أن يسود حركتنا فى مواجهة كل هذه المسئوليات على كل المستويات :

وقرر الرئيس أن كل لجنة من لجان الوحدات الأساسية للاتحاد الاشتراكى هى لجنة معركة ، وأن كل محافظة فى جمهورية مصر العربية هى وحدة دفاعية متكاملة ومستقلة بالنسبة لكل متطلبات المعركة . وعلى كل محافظة استكمال اوجه النقص بالنسبة للدفاع المدنى والشعبى بجهودها الذاتية أوبالتعاون والتبادل بين المحافظات المجاورة .

ولقد أوضح الرئيس أيضا تطورات الموقف منذ وقع العدوان ، وتأييد مصر لكل مساعى السلام التى تتابعت منذ العدوان ، وقبولها مشروع روجرز سنة ٦٩ ثم مبادرة روجرز سنة ١٩٧٠ ثم اقتراحات يارنج سنة ٧١ ، وكيف سارت الاتصالات مع أمريكا حتى وضح للعالم كله ان اسرائيل ما زالت مصرة ـ بتأييد ومساندة أمريكا ـ على تكريس احتلالها للارض العربية والعدوان والتوسع وفرض الأمر الواقع وتهديد السلام ..

وقال الرئيس : « انه أمام كل ذلك لم يصبح هناك من بديل عن المعركة ، وهذا قرارنا الذى لا عودة فيه من أجل تحرير الأرض المحتلة ومن أجل السلام » .

ومع هذا ، بل من أجل هذا ، ولكسب التأييد المعنوى وللحصول على دمغ « طازج » لعدوان اسرائيل المستمر ، ولتعبئة الرأى العام العالمى وتحميله المسئولية ـ يقف وزير الخارجية المصرية أمام الجمعية العامة ويفتتح مناقشة « مشكلة الشرق الاوسط » الازلية !

وتتم هذه المناقشة والصين الشعبية الصديقة تشارك فيها لأول مرة بعد حصولها على مقعدها الشرعى الدائم فى الامم المتحدة ، وانتصارها فى هذا المجال بالصبر الطويل والثقة التى لم يتطرق اليها شك أو وهن ، وبالكفاح الداخلى والخارجى وبتأكيد الوجود العملاق المتطور والحضارى الذى يمثل خمس أو سدس العالم !

ونحن هنا فى مصر ، وبالميل الفطرى ـ ولا أقول التعصب ـ لكل ما هو شرقى ، وبالتعاطف مع الأمم الأصيلة ذات الحضارات المتشابهة والموغلة فى القدم ، نفتح قلوبنا للصين •

ولقد كان من أولى البديهات والانجازات لثورتنا المصرية ، فى سنتها الأولى ، أن حطمت الحاجز المصطنع بين مصر فى عهد الملكية والصين الشعبية . فبادرت بالاعتراف بها ، وأيدت على الفور وبغير تردد حصولها على مقعدها الدائم فى الامم المتحدة •

ولشد ما اثرت فى اعماقى كلمات ، لا تبرح ذاكرتى ومخيلتى أبدا ، قالها فى هذا الخصوص رجل قلما شهدت الامم المتحدة متحدثا وخطيبا مثله • فلقد اتيح لى أن أشهد الدورة الثامنة للجمعية العامة للامم المتحدة فى خريف سنة ١٩٥٣ • وكان الموضوع الذى تبدأ به المناقشة ـ كالعادة التى استمرت ٢١ سنة ـ مسألة قبول الصين الشعبية فى عضوية الامم المتحدة •

وطلب أندريه فيشنسكى ـ رئيس وفد الاتحاد السوفيتى ـ الكلمة • وصعد الى المنبر المهيب وصاح فى الأعضاء : ان هناك لصوصا يجلسون فى مقاعد أحد الوفود !

وخيم الصمت والدهشة على الحاضرين والتفتوا يفتشون فيما بينهم !

ومضى فيشنسكى يقول « نعم لصوص يخلعون على أنفسهم صفة رسمية ، ويمارسون أكبر عملية تزييف ونصب فى التاريخ ! يزعمون أنهم يمثلون الصين وهم لا يمثلون سوى عصابة الفساد والعفونة والرجعية ! كلكم تعرفون حقيقتهم ، وتعلمون أية خديعة تستسلم لها عندما نعاملهم كدولة ، بل دولة من الدول الخمس الكبرى »

وهذه المهزلة الضخمة يجب أن تنهى فصولها الكاذبة السخيفة• يجب أن نطرد شرذمة كاى تشيك المأفونة وندعو فى إجلال وتقدير

الصين الشعبية .. الصين الحقيقية ! أن من العبث بل من العار أن تجتمع الامم المتحدة لتوطد أركان السلام وهى تعادى البلد الذى يضم مئات الملايين من المكافحين الشجعان ! هذه هى قضية السلام الأولى ، وما لم تتخذوا فيها قرارا الآن لصالح الصين الشعبية فان كل ما تجتمع له فى هذه المنظمة لهو لون من الجهد الضائع ! اطردوا اللصوص .. وادعوا الشرفاء ! »

ولم يقدر لفيشنسكى أن يجنى ثمرة كلماته وكفاحه المستميت فقد مات بعد عامين فى سنة ١٩٥٥ ، وظلت الصين الشعبية دورة بعد دورة تكابد من الصراع بين الأمم المتحدة والولايات المتحدة ، وتتقدم خطوة بعد أخرى بتأييد الاتحاد السوفيتى وجميع الدول الاشتراكية والافريقية والاسيوية ومصر والبلدان المتسعة الافق ، حتى قدر لها آخر الأمر أن تفوز بالعضوية الدائمة فى الامم المتحدة سنة ١٩٧١ .

وكان هذا حدثا ضخما وجليلا وبعيد الاثر فى الميزان الدولى الرسمى بالفعل ..

ونحن نتابع فى تقدير حقيقى التقدم المذهل الذى توصلت اليه الصين - أمة مئات الملايين - عبر اثنتين وعشرين سنة .

نقرأ عن التطبيق الاشتراكى الذى خلقها خلقا ، ونقلها من أمة مزقها التخلف والأفيون الى أمة كبرى ناهضة ذات مكانة حضارية وصناعية عالية جدا وذات مقدرة فائقة على حل الصعاب والمعوقات فيزداد ايماننا بأن الاشتراكية هى الطريق السوى .

ونسمع ممن زاروها عن الانجازات والتنظيم وثورتها الثقافية وتقدمها شبه الخرافى بالمقارنة بما كانت عليه فى الثلاثينات وحتى الاربعينات ، فنكاد لا نصدق لولا أنها حقيقة رائعة .

وان نكسب أمة كبرى - تعدادها ٧٠٠ مليون نسمة - الى صفنا أمر ليس بالهين ، وهو ما نعتقد أنه قائم بالفعل وان كل الظروف

مهيأة لاستمراره ونموه والحرص عليه وزيادة فاعليته والافادة منه • بل أننا نشخص الى مزيد من التفهم والتقارب وتبادل الزيارات على أعلى مستوى •

ونحن لم ننس ولن ننسى كيف أن مئات الآلاف من الصينيين تجمعوا وسجلوا أسماءهم كمحاربين متطوعين مع القوات المسلحة المصرية عندما وقع العدوان الثلاثي علينا سنة ٥٦ ، ولا كيف أدانت الصين بكل شدة عدوان ٥ يونيو ٦٧ ، وفضحت الاستعمار الامريكى المتآمر معه •

ومن بين المائة مليون عربى لم ترتفع معنوياته ويطرب ويحس بامتنان صادق وهو يقرأ ما أعلنته الصحف من أن شواين لاى رئيس وزراء الصين أبلغ بترو نيني زعيم الحزب الاشتراكى الايطالى لدى اجتماعه به « أن اسرائيل ينبغى الا توجد على الاطلاق » ، وأن الصين ترفض الاعتراف بوجود اسرائيل ، اذ أن العرب هم الأصدقاء الحميمون للصين ؟

وكالمعتاد ، وبالنوايا الخبيثة ، فان الولايات المتحدة الامريكية تحاول أن تلعب لخلق أى نوع من الاساءة الى العلاقات بين الصين والعرب •

فقد حاولت الدوائر الصحفية والسياسية الأمريكية الصيد فى الماء العكر عندما فسرت البيان الصينى فى الجمعية العامة على أنه احراج لمصر !

وكان نائب وزير الخارجية الصينى قد أكد فى أول بيان يلقيه بالأمم المتحدة عن السياسة الخارجية للصين أن الصين لاتقبل أن تقوم بعض الدول الكبرى بعقد صفقات على حساب الشعوب العربية من وراء ظهرها ، وأنها تؤيد تأييدا كاملا مطلقا كفاح شعب فلسطين لاستعادة حقوقه فى الحياة وفى أرضه ، كما تؤيد الشعوب العربية الاخرى فى استرجاع أراضيها وهى تدين العدوان الاسرائيلى

الصهيونى • ولقد فسرت الدوائر الصحفية والسياسية الامريكية هذا البيان بأنه متعارض مع قرار مجلس الامن ٢٤٢ • غير أن وفدنا الدائم بالامم المتحدة تصدى لهذا التلاعب الأمريكى ، وأبدى أن مصر ترحب دائما بتأييد الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ،ومن ثم فان مصر ترحب بالبيان الصينى وانه ليس ثمة تعارض بين قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، والعمل على استعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين !

وعلى مستوى أكبر وبسياسة مخططة ومرسومة ومتصاعدة ، عبر السنوات العصيبة الماضية ، تمضى أمريكا فى محاولة توسيع شقة الخلاف بين الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية وتفتعل وقيعة أثر أخرى !

وهذا هو ما عرضت له فى كتابى « رحلات » من أن لنا ما نتساءل عنه ويحيرنا فى قضية الخلاف الذى طال أمده بين الاتحاد السوفيتى الصديق والصين الشعبية الصديقة •

وليس هناك تناقض بطبيعة الحال بين أن يكون الاتحاد السوفييتى العظيم من أعز أصدقاء مصر ، وأن تكون الصين الشعبية العظيمة من أعز أصدقاء مصر مع ما قد يبدو بين الدولتين الكبيرتين من خلافات ، فهما فى النهاية المناضلتان القويتان ضد الاستعمار العالمى •

لقد ساعد الاتحاد السوفيتى بلادنا أوفى مساعدة وأنبلها وساندها عسكريا واقتصاديا وسياسيا ، وهو الذى ساهم بالدور الأكبر فى اعادة تسليح قواتنا ، ولم يبخل بخبراته وبتجاربه وهذا الواقع لن نسأم أبدا من ترديده والامتنان له •

كما أن الصين الشعبية أيدت الشعوب العربية تاييدا قاطعا ووقفت معها فى اصرار وتفهم ، بل أن مصدرا صينيا مسئولا قد صرح بأنه « فى ضوء ماقوبلت به قرارات الأمم المتحدة من لامبالاة

فان قضية العرب فى مواجهة اسرائيل تحتاج لما هو أكثر من القرارات أو العقوبات » ولنا أن نفهم من هذا التصريح الهام ما نشاء ، فأن المصدر الصينى رفض ان يضيف شيئاً الى هذا القول !

يقى أننا أشفقنا ولا نزال مشفقين ، وتساءلنا وتحيرنا ومابرحنا متسائلين متحيرين من استمرار هذا الخلاف بين الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية على أية صورة .

ولسنا هنا نخوض فى تفاصيله أو أسبابه ، فليس هو أول خلاف يقوم بين صديقين ولا هو أول خلاف يستعصى على التسوية .

وبعيدا عن الحساسية ، ومع تقدير صادق للدولتين الكبيرتين ، أسمح لنفسى بالاقتراب من هذا الموضوع الموجع الذى نتجنبه .

اذ أن أى خلاف بهذا الحجم والاستمرار بين الدولتين الكبيرتين ـ كما هو معلوم لهما بلا جدال ـ انما هو تفتيت غير مطلوب للمعسكر الاشتراكى ، وبالتالى اقتناص « واهتبال » للاستعمار العالمى ، ودعم له واطالة فى عمره ، ونحن ـ سواء الدول الاشتراكية أو دول عدم الانحياز والدول النامية ـ نتمنى ونعمل على ان نقصف عمر هذا الاستعمار الذى هو الد أعداء الشعوب والذى انجب اسرائيل .

وبالتأكيد نحن لسنا ساذجين حتى نتصور أن تسوية هذا الخلاف يمكن أن تتم ببساطة أو بالكلمات والدعوات المناشدة . المسألة أعمق جذورا وأعقد سياسيا مما نقدر بدليل توالبها خلال السنوات الماضية . لا بد من ارادة ومن جهد كبيرين .. فكلامنا وامنياتنا واخلاصنا فى حث الدولتين العظيمتين الصديقتين قد لا يكون مؤثرا .

ولكننا ـ هنا ـ لا نملك غير الكلمات المخلصة !

٧١/١٢/٢

بلاغ من الجبهة ...

قد يبدو غريبا ـ ولا غرابة فى الحقيقة ـ ان المرء اذا اراد ان يتنفس هواء نقيا ، وان يخرج من صغائره ، فما عليه الا الذهاب الى هناك بنفس خالصة والهة وببصيرة مفتوحة نافذة !

ووجه الغرابة ، فيما يبدو ، أنك ربما تساءلت : كيف يمكن أن يكون ثمة نقاء جو ـ ونقاء نفس ـ وانت تشهد على القرب أو بالأحرى على مسافة أمتار منك « العلم الاسرائيلى » « يرفرف » أمامك فى تحد على الجانب الشرقى من القناة ؟ !

ووصول « العلم الاسرائيلى » الى هذا المكان العزيز القريب فى أرض الوطن هو قصة يونيو الرهيب الغريب الحزين من سنة ١٩٦٧ الذى بعث الحيرة والمهانة والمرارة فى أرجاء الوطن العربى ، وليس فى مصر وحدها .

ولكنك حين تقف هنا على الجانب الغربى فى نهاية سنة ٧١ تقف بين رجال يبعثون على الثقة حقا ، ويرفعون روحك المعنوية بروحهم المعنوية المرتفعة المستندة الى موقف تصميم يتخذونه واستعداد دائب يجهدون فيه وعقل مفكر ينظمهم !

ومن هنا تبدو المفارقة ؛ وتحس انك ـ حيث تقترب من الأرض الغالية المحتلة ـ ابعد ما تكون عن احتمالات التشكك فى المعركة وفى النصر . تنقلت من حياتك الوادعة « المطمئنة » وتتجول

بين قعقعة السـلاح فتصـبح أوفر اطمئنانا حقيقيا ! تطرح عنك اوهامك الجازعة وتغدو اكثر شجاعة !

وقد تفاجأ بأن كل شيء هادىء في الميدان .. الهدوء السابق على العاصفة ! ولكنك تكتشف أن هذا الصمت ابلغ من الكلام ! وان كل شيء هناك ينطق ويتحدث بحساب . المواقع المختفية ! حبات الرمل التى تتطلع فى شوق الى اخواتها فى الضفة الشرقية وفى سيناء ! الجنود الابطال الرابضون ! القـادة الذين تسعد بلقائهم وتعتز ، وتبهر « بنوعيتهم » الفريدة العميقة « وبالتربية » التى صنعتها المحنة !

وخلال ساعات او أيام تقضيها بينهم تتعمقهم ، وتجرى ماشبه الحوار معهم ، تشعر انهم قد اسمعوك بلاغهم .. بلاغا من الجبهة ! وربما كان فحواه ما يلى :

الدرس المستفاد

أولا : ان القوات المسلحة المصرية قد اخذت الدرس ووعته تماما ! نعم لقد ظلمتها قيادتها ظلما فادحا فى يونيو ١٩٦٧ ، لم تمكنها من الدخول فى اية معركة حقيقية ، ولم تتح لها فرصة المواجهة مع الجيش الاسرائيلى ، وانهكت قواها وضيعتها ، وعقدت امامها خطط المستقبل والثأر .

غير ان الحديث عن نكسة يونيو ٦٧ لا يطيب ولا يفيد الا لماما ، وبقدر ما نستنبط منه العبر والعظات والدروس المستفادة . كفانا لتا وعجنا عن هزيمة يونيو ٦٧ ورواياتها السهلة الموجعة ، برغم أننا ما زلنا نعيش نتائجها الرهيبة ونعانى منها . لقد افاضت فيها الاقلام ، ونشرت الكتب العديدة . وربما انصفنا حتى بعض الأعداء ، وربما تحامل وبالغ وافترى البعض الآخر . ولكننا هنا نستعد للغد . نتعاهد على تحطيم اسطورة « الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر » .

.. وإذا لم يكن بد من أن نذكر الماضي ، فأمامنا الأمس القريب .
ها هم أولاء « طاقم » جنود من بين الأطقم الكثيرة التي عبرت القناة في سنة ٧٠ . الجنود أنفسهم الذين صدرت لهم الأوامر بالانسحاب في يونيو ٦٧ . انهم بعد أقل من ثلاث سنوات عبروا القناة وواجهوا العدو وسمعوا صرخاته الفزعة ودمروا معداته وقتلوا جنوده وعادوا بأسراهم ! ومثل هؤلاء كثيرون في اشتباكات مماثلة وبنتائج مصرية ناجحة جديرة بالتأمل ..

لن تتكرر المأساة ، ولن نسمح لها بذلك أبدا .

نشرت مجلة نيوزويك الامريكية انه قد ظهرت على شاشات أجهزة الرادار المصرية علامات تشير الى اقتراب أضخم حشد للطائرات الاسرائيلية منذ وقف اطلاق النيران . وكان أن اصدر قادة السلاح الجوى المصرى اوامرهم على الفور الى طياريهم . ولم تمض بضع دقائق حتى افترشت الطائرات المصرية السماء من بورسعيد الى السويس .. فغير الاسرائيليون اتجاههم وعادوا الى قواعدهم بعد ان اختبروا مدى الاستعدادات المصرية !

ولسوف تضطر الصحف الأمريكية وغير الأمريكية - يوم يجد الجد - الى نشر الكثير عن مدى استعدادنا للدفاع وللهجوم وللمعركة وللتحرير !

لماذا نحارب ؟ وماذا نريد ؟

ثانيا : ان القوات المسلحة في ختام سنة ٧١ غيرها في بداية سنة ٦٧ لجملة أسباب :

١ - أنها قضت منذ يوليو ٦٧ اربعة وخمسين شهرا ، ولا هم لها الا التدريب المتصل وفي جو المعركة ، والتشرب بالأسلحة الحديثة التي اعيد بها بناؤها ، والبعثات الجادة الموفدة الى الخارج ، والتفاعل مع الخبراء العسكريين والفنيين السوفييت

الذين تحتفظ لهم القوات المسلحة بكل التقدير ومشاعر الصداقة كما تحترم موقف الاتحاد السوفييتى الصديق وتمتن لمساعداته العظيمة ، بينما كان التدريب قبل يونيو ٦٧ مسألة جانبية وشكلية !

٢ ـ انها فى هذه المرة تعرف لماذا تحارب وماذا تريد ، وتدرك اهدافها بالتحديد . وهل يمكن أن يكون ثمة هدف اكثر جلالا ووضوحا وحقا مشروعا من تحرير ارض الوطن التى اغتصبت ؟ !

٣ ـ ان قيادتها لا تنفصل عنها ، وهى على مستوى عال من الكفاءة والشجاعة وتحمل المسئولية . وان الثقة متبادلة دون اى شك تدعمها الوطنية المصرية المصيرية .

٤ ـ ان الحشود على أهمية تعبئتها الضخمة ، تختلف نوعيتها عما كانت عليه من قبل . لقد غذيت القوات المسلحة بالمؤهلات : بخريجى الجامعات ، بالمثقفين .. وأن لم يكن ممكنا بأى حال من الأحوال أن يجحد دور وذكاء غيرهم ، فهم مقاتلون على درجة هائلة من الصلابة واستيعاب المهام والأسلحة .

٥ ـ ان المعركة القادمة تمثل اعتبارا خاصا . انها بالدرجة الأولى واجب مقدس للقوات المسلحة هو الدفاع عن شرف الوطن وكرامته ، ولكنها أيضا تمثل الدفاع عن شرف القوات المسلحة وسمعتها وكرامتها التى ظلمت فى سنة ٦٧ ولم تمكن من القتال . انها تريد هذه المرة ان ترد اعتبارها وتبرىء ساحتها بتفوق .

حقيقة العدو

ثالثا : ان الجيش الاسرائيلى له وزنه ... من ورائه المؤسسة العسكرية الاسرائيلية التى تكاد تشكل اسرائيل ذاتها القائمة على فلسفة العدوان والارهاب والاستعمار الاستيطانى التوسعى .. اذا كانت لهذه الموبقات والجرائم فلسفة ! وتدعمه مساعدات لا حد لها من الولايات المتحدة الأمريكية . مساعدات بمختلف انواع

الأسلحة . مساعدات فنية وتكنولوجية . امدادات حتى باستيراد الأمريكيين الى قلب الجيش الاسرائيلى . فلسنا ـ اذن ـ نقلل من « كفاءة » الجيش الاسرائيلى . ذلك عهد مضى ولم يكن قائما الا على شحنات معنوية كاذبة ورخيصة . وقد بتنا الآن نتغلغل ـ بالعلم والقراءات ـ فى تفاصيل الحياة العسكرية الاسرائيلية .

غير أننا ـ كذلك ـ لا نعطى « الكفاءة » العسكرية الاسرائيلية اكبر من حجمها الطبيعى والعادى جدا .. لقد صورتها الدعاية الاسرائيلية والغربية والاستعمارية فى صورة هرقلية خرافية ، وروجت ونسجت حولها الأساطير البالغة الكذب والسخف ، حتى صدقها الاسرائيليون انفسهم فتمايلوا غرورا وصلفا ، فضلا عن ان النصر المذهل المخطوف يدير الرؤوس !

فليقولوا ما يقولون : فنحن نعرف قدرهم كما نعرف قدرنا . والامتحان ـ فى اللقاء الموعود المحسوب ـ هو المحك والفيصل ! وفى كلمة دون تفصيل أو اذاعة اسرار : نحن نثق فى النصر .

نكون أو لا نكون

رابعا : وربما كانت هذه الفقرة امتدادا لسابقتها .

لقد أعلن الرئيس أن قرارنا هو القتال .. ولخص الموقف فى عبارة واحدة هى قوله « علينا أن نقرر : نكون او لا نكون ؟! » .

وهذه العبارة بالتحديد هى التى نضعها نصب أعيننا . ونؤكد ونعمل على ارساء جواب واحد لها . هو « نكون .. فنحن نستحق ان نكون » .

وكما نضعها نصب أعيننا ، نضع كذلك ثقتنا التامة فى قيادتنا السياسية والعسكرية . فى التحديد والتوقيت والاختيار وفى ادارة المعركة ...

الوعى .. والتدريب

خامســا : هــذا الوعى الكبير المثقف الذى قد تلحظــونه فى الأسئلة والمناقشة مع افراد القوات المسلحة هو ابن التجربة ! بنيناه جنبا الى جنب مع التسليح والتدريب .. فاذا رأيتموه على مستوى غير عادى فان ظروفنا ايضا غير عادية ولا نزيد ..

المعركة القـــادمة

سادسا : هل تدركون ـ بالدقة ـ « شكل » المعركة القادمة ؟!

لسنا نخيفكم ،ولكنا كذلك لا يمكن أن نخدعكم .

انها رهيبة وشاملة وبالغة الضراوة والقسوة .

ان « التضحيات » فيها هى الزاد اليومى . استشهاد وجراح وتدمير .

لن تكون « نزهة » كما حاول قادة ٦٧ ان يصوروا المعركة ، وهونوا منها فهانوا وهنا عليهم !

المعركة عبور بكل ما تعنيه الكلمة فى القاموس العسكرى من خسائر اولية شنيعة ، وغارات جوية وضرب للاعماق هنا وهناك ، ومواجهة وصبر واحتمال .. الخ .

ولكن .. ليس لها الا هدف واحد : هو النصر المصرى مهما يكن ثمنه ..

الجبهة الداخليـة

سابعا : الجبهة الداخلية جزء منا لا ينفصم ، بل هى اصل .. كما اننا جزء منها لا ينفصــل .. نحن ابناؤها واخواتها وكل اسرة مصرية ممثلة فينا .

والمعركة القادمة ستشملنا كما تشملها .. نحن فقط المقدمة التى تحمل العبء العسكرى الهام والحاسم بغير جدال ، ونحن نرتفع الى مستوى هذه المسئولية الدقيقة والجسيمة والتى تحدد مصير بلادنا لعشرات السنين القـــادمة .. فماذا عن الجبهـــة الداخلية ؟

لا يخفى علينا مدى ما تكنه لنا الجبهة الداخلية من تقدير ، وما تعقده علينا من آمال وتمنيات ودعوات لله عز وجل ان يحقق لنا ولهـا النصر . وايماننا بالله ايمـان لا يتزعزع وثقتنـا فيـه سبحانه هى القوة الدافعة مع أيماننا بوطننا وبقضيتنا العادلة .

ولكن هل نقول أن لنا ملاحظات على الجبهة الداخلية ؟ !

فى عبارة قصيرة فحسب وبغير استطراد نقول : ان الجبهة الداخلية مطالبة بأن تحيا المعركة بالمزيد من هذه الحياة . بأن تسلك ما يجب ان يسلكه شعب محارب ، سياسيا واقتصاديا وعمليـا وانتاجيا ودفاعا مدنيا ومقاومة شعبية الى آخر جدية الأسلوب التى لا تحتمل غير صدق الجدية فى هذه المرحلة الخطيرة . وهى قادرة على ذلك ومستعدة كل الاستعداد . وما اشد صلابة واصالة شعبنا .. وما أسخى تضحياته !

ولعل هذا ان يكون « مضـمون » البلاغ المسـتوحى من الجبهة ..

كلمة خاصــة

بقيت كلمة خاصة اود تقريرها ، وادلى معها باعتراف صادق صريح ، فلعل الصدق والمصـارحة اعز ما اتمنى ، ولا اسرف فاعتبرهما اعز ما املك !

لقد بدأت هذا الحديث كما اعتدت ان اكتب الشعر ، عندما كنت أفعل فى سالف العصر والأوان !

الخواطر والمشاعر مشحونة ، بيد أنها تتعثر فى متاهات ..
كيف تبدأ ؟ البداية صعبة حافلة بالتهتهة والنسخ والاستدراك وتمزيق الأوراق ! حتى اذا انتظمت انطلقت وعبرت بصدق عما يجرى فى الفكر والقلب !

ولكنى انتهيت بتمزيق ذلك كله ، وبالتخلى عن مثل هذا الاتجاه « الشاعرى » .. الشعر فى هذا المجال وما يشبه الشعر لا ينبغى ولا يليق ، مع كل الاحترام للشعر والشعراء ، بل أنه حتى لا يحسن انتقاء اللفظ وانشاؤه !

فليكن بلاغا مباشرا فهو ما يناسب المجال ..

ترى هل عبرت عن وجهة النظر ام انها كانت اوراقا جديرة بأن تلحق بسابقتها مما مزقت ؟ !

بلاغ ليس من ديوان الحماسة أو من قبيلها ، فما زالت الذاكرة تئن من الكلمات الحماسية « الفارغة » التى أوسعتنا شحنا غير واع « ونفخا » غير حميد قبيل حرب يونيو ٦٧ .

وقد اختلفت الظروف ..

ورغم عناد اسرائيل ورفضها المستفز لكل قرارات الأمم المتحدة فان الظروف تختلف وستختلف - بغير تبسيط كما أسلفت - الى ما هو خير لنا وأفضل بمشيئة الله .

٧٢/٨٢/١٦

نموذج لاكتساب الثقة

ليس اقتناصا لموضوع نملأ به قليلا عن الدائرة المفرغة ، الضيقة الواسعة ، التي لهثت انفاسنا وبحت اصواتنا وذابت اقلامنا فيها . ولن نبرح نفعل ونكرر ، لخطورتها الداهمة بوصفها قضية القضايا التى اذا حسمناها وكسبناها فقد كسبنا كل شيء !

ولا هى كلمة مناسبات بالمعنى ، مع انها تنتهز المناسبة وتثير تجربتها الماثلة وما حولها وتحاول أن تتعمق مضمونها وجوهرها ! فما احوجنا للامل المستنبط من التجربة والمضمون والجوهر !

المناسبة : عيد السد العالى . وهو يقع فى التاسع من يناير من كل عام .

والتجربة المشرقة المشرفة ـ كما نرى ـ مصرية عميقة ، وناجحة جدا ، وذات دلالات !

ولقد مر هذا العيد ـ والسد العالى بالفعل حقيقة قائمة وكاملة وعظيمة ـ وكأنه ليس شيئا مذكورا فى حياتنا !

توارى العيد الذى كانت تقوم له الدنيا وتقعد منذ سنوات ! لا تحقيقات تبحث ولا موضوعات كتبت ، ولا صور نشرت ، ولا ارقام ولا يحزنون ! أو بالاحرى يحزنون ، فلعل بعضنا قد شغلته الاحزان والهموم فى آثار النكسة حتى صرفته عن ضرورات

واهتمامات كهذه ، هي في ذاتها ليست خروجا من الهموم فحسب بل سبيل أيضا لقهر النكسة .

لقد انفقنا على السد العالى ما يزيد على ٧٥٠ مليونا من الجنيهات : ووهبناه حبات قلوبنا ودافيء اشواقنا وبارع جهدنا حقبة من الزمن ليست بالقصيرة . وكاد في مرحلة هامة من حياتنا يمثل حجر الزاوية فيها وسدها العالى بالفعل !

فهل كان احتفالنا به في صحافتنا وفي غيرها حصيلة أعلانات ، نفدت ميزانيتها باتمامه فاختفى منها وأصبح مجرد اثر في اسوان ؟! لا ، فالصحافة اكرم على نفسها ورسالتها والتزامها نحو الوطن ونحو الجماهير من أن تنشر ما تقوله الحملات الاعلانية المدفوعة وتغفل ما سواها .

هل كان حماسا موسميا يتفق مع سلبيات في الطبيعة المصرية نتطلع جميعا الى ترشيدها وتطويرها لتأخذ بالمنهج العلمي والعصري ؟

لا .. انما الواقع انه ربما كانت اهتماماتنا بالتبصير والاستعدادات للمعركة المصيرية قد استغرقتنا ، بينما قد نرى ــ اذا تمشينا مع اتساع الآفاق ــ ان تجربة السد العالى هي في صميم معركتنا .

ولسنا ننشد حرق البخور للسد العالى أو التشدق بنشر الاحصاءات والبيانات عنه ، وانما يحسن بل ينبغى ان نضعه في اعتبارنا دائما تفكيرا وتأملا وتحليلا لاكتساب مزيد من الثقة بالنفس وشحنات صادقة وعملية ــ لا وهمية ولا بالونية ــ للانطلاق وللتغلب على الصعوبات والمعوقات ، ولتحقيق الاهداف بالغة ما بلغت هذه الاهداف .. ومن باب أولى اذا كانت طبيعية ومشروعة وفاصلة كتحرير الارض !

اذن فنحن ما زلنا في الدائرة نفسها ، ولا مفر منها ... أليست قضية القضايا كما قدمت ، وكما هو الامر الواقع ؟!

النموذج امامنا ممتاز ومتكامل ونصب اعيننا وملك ايدينا ».

وما اوثق الصلة بين العمل على توسيع رقعة الارض المزروعة وتحرير الارض ، وما اكثر اوجه التشابه بين معركة بناء السد العالى ومعركة القناة وسيناء وفلسطين !

وانما نتوقف عند تجربة السد العالى كنموذج ، ونمر على تجاربنا المختلفة فى التصنيع والاصلاح الزراعى .. الخ برغم جلالها وانجازاتها ، لأن تجربة السد العالى هى التى تنفرد بالشمول وبالعمق وبكمال التشابه ..

الحقيقة اننى لست اجد عملا كبيرا رسمنا له واقدمنا عليه ، فلقى ضراوة تشكيك مرسوم طويل من اعدائنا مثلما لقى مشروع السد العالى ، تماما كما يحدث اذ نحن نتأهب لمعركتنا ضد اسرائيل .

قالوا انه مشروع خيالى . اتهموا فكرته وتصميمه وهندسته . حاربوا تمويله ، وقصة دالاس وسحب تمويل البنك الدولى والتواطؤ والاحراج الخ ، اشهر من ان نذكر بها . من اجله اممنا القناة ، ومن اجله تآمرت اسرائيل مع حليفتيها الغربيتين وشنوا العدوان الثلاثى المهزوم . طعنوا فى قدراتنا وزعموا اننا سنعجز عن تنفيذ السد أو اكماله . روجوا ان النيل سيكتسح ما انجزناه فى منتصف الطريق ويجرفه امامه ويغرق مصر العليا .

ولم يكن التشكيك ــ فى السد المفترى عليه ــ من اعدائنا الخارجيين والتقليديين فحسب بل ثمة ضعاف نفوس فى الداخل بل اعداء للشعب ولمصالحه الحقيقية ــ وما اشق التسليم بعداوتهم وخبث نواياهم ! ــ حاربوا المشروع وشككوا فيه .

ولم تكن التحديات هينة بل بالغة الصعوبة ، وكأنها مستحيلات تتطلب معجزات !

غير اننا عبأنا قوانا وجندنا انفسنا واسترخصنا التضحيات واعلنا الطوارىء وكرسنا الجهود مجتمعة والأموال والمعدات بغير حساب . واهم من ذلك كله اننا استلهمنا انبل ما فى اعماقنا واكثره اصالة وشهامة وحسما لنبنى السد .

وانتصرنا انتصارا حقيقيا ملموسا لا بدعايات مبالغ فيها ، ولا بمحض الصدفة والظروف ـ بل على العكس ضد كل الظروف المناوئة ـ ولا بقرارات من الامم المتحدة !

انتصرنا بانفسنا وكفاحنا ومثابرتنا ..

وبنينا السد وفى موعده المحدد ، وبثمـــاره المرجـوة التي سوف تطير الحملات المجددة عليها لب المتشككين ، كما أطارت روعة البناء وشموخه صوابهم !

وصحيح ان وقوف الاتحاد السوفيتى الى جانبنا فى تعاون صادق ورائع ومشكور يقدم خبراته ومساعداته لبناء السد ، كان وقوفا عظيما ودائبا وحاسما ، ولكن اصح من ذلك اولا واخيرا اننا بنيناه بارادتنا ورجالنا واموالنا لكرامتنا ومستقبلنا . تماما كما يحدث الآن ، اذ يقف الاتحاد السوفيتى الصديق معنا فى معركة التحرير بمساعداته السياسية والعسكرية والاقتصـادية ولكننا نحن الذين سنحارب معركتنا لكرامتنا ومستقبلنا ..

ولقد دخل السد العالى فى تاريخنا الحـديث من اوسـع أبوابه وامجدها كملحمة بطولية موحية يجب ان نتأسى بهـا .. وكلما ادلهمت الخطوب والمحن نأخذ الدروس والثقة منه . وكلما تجمع ضباب التشاؤم او اليأس بددناه ونفذنا ببصيرتنا من خلاله حتى ننتزع التفاؤل والأمل والانتصار آخر الأمر ..

وليست هذه عبارات انشائية كما قد تبدو ؟ فنحن نتحدث عن واقع حى وقريب وتجربة اصيلة وسخية عشناها يوما بعد يوم

وسنة بعد اخرى ؟ وما زال ابطالها وجنودها المعروفون والمجهولون بيننا ، لا نقرا عنهم بالحروف الهيروغليفية أو فى كتب المؤرخين التى تحتمل الصدق أو المبالغة ! ونحن بالاخص فى هذه المرحلة الدقيقة والعصيبة من حياتنا أكثر ما نكون احتياجا للثقة بالنفس وعدم التهيب ، أو بالاحرى الثقة الدافعة الى العمل الواعى الدائب بغير تردد ، والعمل الدافع الى الثقة بغير جموح !

ان امريكا التى امرت باستئناف صفقات الفانتوم وشحناته الى اسرائيل فى بداية سنة ١٩٧٢ وفى صفاقة مثيرة وضد كل منطق وعدالة وقرارات دولية ، هى ذاتها امريكا التى امرت بسحب تمويل السد العالى فى سنة ١٩٥٦ وضد كل الاعتبارات العاقلة !

وان حملات التشكيك والتخويف التى تشن علينا والتى تفيض بها صحف امريكا وغيرها والتى تكرر مع تصريحات المؤسسة العسكرية الاسرائيلية — فى صلافة — اتهامنا بالعجز عن تحرير ارضنا ، و « تخويفنا » بما سوف ينتظرنا اذا « تجاسرنا » واستأنفنا القتال — هذه الحملات تذكرنا بتلك التى صبحونا ومسونا بها ونحن نشرع فى بناء السد العالى !

ولست ازعم ان المثل الذى يضرب فى قصة كفاحنا الموفق لبناء السد العالى ، هو صورة طبق الأصل من القصة التى لم تكتمل — ولم تصبح مثلا عظيما بعد — لتحرير ارضنا .. فلا شىء طبق الاصل على الاطلاق !

ولكن الشىء الذى يجب أن يعلمه أعداؤنا أن « المثل » الذى حدث فى يونيو ١٩٦٧ — ونعرف انهم يسخرون ويلوحون به — لن نسمح بتكراره ثانية .. وتلك قصة أخرى اسهبت واسهب الكثيرون فى تناولها ، وأن لم يزح عنها الستار بالقدر الكافى بعد !

وكما يلزم ان نتعلم من تجاربنا الصامدة السعيدة ، يتحتم ان نفيق من اخطائنا المنهارة الفاجعة !

ورب قائل يتساءل : السد العالى عملية سلام وبناء ، بينما تحرير الارض قتال وحرب .. أو ليس التشبيه اذن فيه من الافتعال والتعمل والتزيد ما لا يناسب القد والمقاس ؟!

وفى الواقع ان هذا قد يكون تساؤلا ملتويا لكلمات تنادى بأننا « شعب غير محارب بطبيعته » وتلك من أرذل ما يروجه أعداؤنا فى حملات التشكيك .

وتاريخنا الذى امتدت معاركه آلاف السنين يسفه هذه الأراويج والدعايات المسمومة .

ثم ان تقسيم العالم الى شعب محارب وشعب غير محارب اسطورة كاذبة وخادعة وخبيثة ، فلا يوجد شىء من هذا القبيل . وانما الصحيح انه يوجد شعب أو لا شعب .

والشعب الحى الذى يتعرض جزء من أراضيه للغزو لا بد أن يحارب ليحررها ، ولا بد أن ينتصر .

والشعب الذى يبنى حياته فى السلم يستطيع أن يحمى بناءه فى الحرب .

ولسنا اقل من غيرنا برغم كل المعوقات التى كانت قد تراكمت ، وبرغم صعوبة المهمة وشدة تضحياتها .

والمبادىء والرجال والظروف التى قام بها وعليها ومن خلالها السد العالى هى التى تلوح وتسود الآن فى المعركة ، وان كانت ـ بطبيعة الحال ـ تتطلب تأكيدا أشد .

وقد أسلفنا الاشارة اليها ..

التحديات نفسها وأشد :

- متطلبات التخطيط البعيد المرسوم الذى لا يخطىء فى الحساب .

الارادة الصلبة التى يغذيها بعث انبل وأصل ما فى الأعماق ويلهمها وهى هنا تواجه معركة الحياة أو الموت .

الدولة العظمى الصديقة التى تؤيدنا وتؤازرنا ، كانت — ولا تزال بصورة اقوى — هى الاتحاد السوفييتى .

المعدات الحديثة والتدريب والاستعداد للبذل .

التعبئة والتجييش وتكريس الجهد . وقد لزمت هذه المسائل الحيوية المراحل الاخيرة لبناء السد العالى على نطاق محدود ، وهى بالقطع الزم للمراحل الأخيرة من التأهب لخوض معركة تحرير الارض على نطاق شامل للجبهة الداخلية والقوات المسلحة الباسلة .

الثقة بالنفس ويظللها ويدعمها الايمان بالله والايمان بالوطن والايمان بالشعب .

ومرة اخرى اكرر ان بناء السد العالى نموذج ممتاز وملهم . لقد صنعناه على اعيننا فلنضعه نصب أعيننا !

والذين يصنعون مثله يكسبون الثقة دون ادعاء ، ويكسبون الحرب دون خوف !

« ولاتهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » .

٧٢/١/١٣

يوميات أحداث عصيبة

ليس هذا تحليلا سياسيا ولا فلسفيا لأحداث جسام عشناها خلال أسبوع عصيب . ربما هو خلجات نفس . كلمات بين اليوميات والمذكرات والذكريات . تسجيل ايجابى لبعض جوانب ما جرى ، لكن اعادة النظر فيه تنبه وتفيد .. انطباعات مواطن جمعته والشباب والدولة محبة هذا الوطن العزيز والحرص عليه ..

الثلاثاء ١٨ يناير ١٩٧٢

هؤلاء الشباب .. ابناؤنا .. طلبة الجامعات ، كم تبارى اعداؤهم فى الداخل والخارج للتشهير بهم واهدار وطنيتهم والاستخفاف بغيرتهم وتشويه براءتهم والتنديد بتطلعاتهم فى كلمات مبتسرة متسرعة سطحية ! لم يفهموهم . والعيب ليس فى غموض الشباب ، ولكن فى الذين عجزوا عن فهمهم ، فهم لم يملكوا لا سعة الافق ولا رحابة الصدر ..

قالوا ان كل تفكير الشباب محصور فى الهجرة الى الخارج حيث فرص الثراء فى أوربا وامريكا وكندا واستراليا . وهذا غير صحيح .. فلا هو هم كل الشباب ولا هو كل تفكيرهم ، وانما الصحيح ان قلة منهم فى مرحلة التكوين - وتكوين الافكار -

يتسامعون عن قصص نجاح مصرية فى الخارج فيفتنون بها ! وقلة أخرى نادرة قد يتمردون على فرص المستقبل فى مصر فيعقون ـ بالكلام غير المسئول ـ هذا البلد الكريم المحتاج الى جهد كل فرد ، ويكفرون بفضله ونعمه !

وقالوا ان شبح « التجنيد » الثقيل يقض مضجعهم ! فهم يتفننون فى أساليب التهرب من التجنيد ، لانه فى نظرهم الطامة الكبرى التى تعوق فرص المستقبل والانطلاق .»

وهذا ايضا غير صحيح : فلا هم تهربوا ولا تقاعسوا ، ولا الدولة قصرت فى رعايتهم وحفظ حقوقهم . ربما اقلق بعضهم أن مدة التجنيد تبدو غير محددة ، وهذا وارد .. فلا مصادرة على احلامهم الذاتية ، بل ان ما اذكره ـ وشهدته ـ ان المسئولين عن التجنيد مشغولون بايجاد الحلول المناسبة الموفقة بين امتداد فترة تجنيد الخريجين امتدادا مرسلا بلا أجل محدود فى ظل المعركة القائمة والمستمرة ، وبين « تسريح » هؤلاء الى الحيـاة المدنية والاستدعاء عند الاقتضاء »

وقالوا استهوتهم تقاليع الهيبز وموضاتهم وشعورهم فحاكوها وقلدوها تقليدا أعمى . وأتحدى أن تزيد نسبة هؤلاء الهيبيين عن واحد فى المائة .. هذا اذا وجدوا على الاطلاق فيما بين شباب جامعاتنا . قد يطيل البعض منهم ـ قلوا أم كثروا ـ شعورهم .» ومع هذا فمن قال ان قصر الشعر عنوان الرجولة والالتزام وان طوله بصورة أو باخرى دليل الميوعة ؟ ! أليست هذه قشورا لا ينبغى معها أن نحكم بالظواهر ؟ ثم لماذا نحرم عليهم ما احللناه لانفسنا فى صبانا ؟ . حبا فى الاعتراض ولزوم السمع والطاعة والسلام ؟ ! الم نطل السترة ونقصرها وتصرفنا فى « تنية البنطلون » و « الريفير » وفقـا لآخـر صـيحات الموضـة نحن الرجال ايضا ؟ !

كل هذه أمور لا تستحق الجدل الطويل . فالمهم الجوهر .. حتى الشعور المرسلة .. الم تكن سمة الفرسان المحاربين القدماء ؟ هل أقول ان محمدا رسول الله ، عليه الصلاة والسلام — وهو من هو — حدثتنا كتب السيرة عن شعره الطويل ؟ ! فلنقل ان « الموضة » أصبحت التهجم على شعور الشباب وسوالفهم — في استخفاف — حتى لأذكر انني عند زيارتي للجبهة واجتماعي بالجنود البواسل في ندوة سألني احدهم لماذا لا نندد بالشباب كما يجب في صحافتنا لأنهم يطيلون شعورهم ؟ ! وبصرف النظر عن أن الصحافة قست عليهم فيما تكتب وترسم من كاريكاتير ، فانني دافعت عنهم بالمنطق المتقدم ، وبدا لي ان الجنود اقتنعوا !

وقالوا طوتهم حمى كرة القدم ! ورغم انني طالبت بالغاء دوري الكرة بعد احداث الشغب ، وناديت بتكريس الجهد للفوز في المعركة لا الدوري ، الا انني أدافع عن الاهتمامات الرياضية تحت ظل كل الظروف ، فانها بالتأكيد من عوامل التربية والاعداد ، بشرط أن تعد للتربية لا للحماقة والتعصب والرذالة ! وفوق هذا وذاك فان لشبابنا — في غالبيته — اهتمامات اخرى جادة ولم ينقسم بعد — وكأنها مسألة المسائل — الى اهلي وزمالك !

وقالوا .. وقالوا ، وقصارى القول انهم وصفوهم ودثروهم بالسلبية واللامبالاة ..

وجاءت احداث اليوم ، ليؤكد الشباب أن مصر حية — فيهم وفينا — لا تموت . هؤلاء هم شعلتها الخالدة .

نبض كقرع الطبول سوى انه غير اجوف ، بل يفيض بالحيوية .

ماذا جمعهم الا هذه العزيزة الغالية التي تسترخص الأرواح من أجلها . لا بالقول ولا بالشعر ، بل بالفعل كلما استطعنا الى ذلك سبيلا .

تبهم خطاب الرئيس السادات : تأملوا ، فكروا فى المصير ، فى الجبهة الداخلية ، فى عار الهزيمة التى طالت وهوانها ، فى الاعداد للمعركة وفى المعركة ذاتها .

ليس لهم من عدو الا اسرائيل وامريكا .. بوضوح لا لبس فيه .

تحركوا بالغضب بالانفعال بالتمزق بالتمرد بالتفكير ضد هذين العدوين المتنمرين بنا .

تحركوا بالحب لهذا البلد الذى هو قبلتنا وحياتنا .. ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا .

تحركوا بالحب ايضا لهذه الثورة التى تفيأوا ظلها : نمتهم ورعتهم ، وعلمتهم ، واسبغت عليهم من مبادئها الاصيلة والمجددة ما فتح عيونهم أكثر وأكثر على الحرية السياسية والاجتماعية ، واولا وقبل كل شيء على حرية الوطن ذاته .

وتحركوا كذلك بالمحبة للرئيس انور السادات رمز الثورة وقائد حركة التصحيح . واقول بالمحبة للرئيس لا توخيا للباقة واللياقة او تطويعا للحديث ، وانما اعنى ، واثق فيما اقول ، تحركوا ليكونوا من بين جنوده ودعائمه فى التغيير والتحرير .

نعم .. اسف نفر قليل جدا منهم اسفافا كثير النزق قليل الحياء ، حتى ليبدو انهم محتاجون للتربية من جديد ، ولكن الاغلبية الساحقة المتجمعة لم تكن هؤلاء القلة .

ومع هذه الحيرة وهذا الفراغ السياسى والتنظيمى بين الطلبة ظل الموقف ملبدا ، ولعلى لا أجاوز الحقيقة اذا قلت انه وجد صدى أو كان صدى لحيرة وفراغ سياسى وتنظيمى فى المستويات التالية ..

على أن احدا لم يعترض الطلبة بالقسر أو القهر .

وسرحت فى ذكريات بعيدة « حاكت » فى نفسى ولا بأس أن يطلع عليها الناس !

أوائل سـنة ١٩٤٦ ، وكنت بعـد ملازما فى مدفعية الجيش المصرى . انتهت الحرب العالميه . ما زالت قوات الاحتلال البريطانية جاثمة فوق صـدورنا : فى القـاهرة ، فى قنـاة السـويس ، فى شرايين الحياة .. تضغط ، تصادر الحرية ، تسيطر على اقتصادنا وسياستنا ، تتحدى مشاعرنا الوطنية ، ثم تلعب مرة أخرى — لا نذكر رقمها — لعبة المفاوضات والجلاء ! وكان الشباب بالأخص يتأبون ويمورون ويفورون . وكنت على موقعى فى الجيش أشارك الشباب بالكتابة والشعر — تحت اسم مستعار — فى صحف مصر الفتاة .

وفجأة تجمع طلبة جامعة فؤاد (القاهرة) واضطرمت الأمور وتوتر الموقف وتم اسـتدعاء قوات الطـوارىء من الشرطة ، ومن الجيش المصرى كذلك !

وما شأن المدفعية لتصبح بين قوات الطوارىء ؟ لست أدرى . ولكن بغير مقدمات وبغير امكانية فكاك عن هذه المهمة الثقيلة المتناقضة ، وجدتنى مع « بطارية » الجنـود امام قهـوة سـان سوسى بالجيزة !

ما هو المطلوب منى بالتحديد ؟ لم أعرف ولم أرد ان اعرف ! على راسى خوذة ، وعن يسارى مسدس خال ، وعن يمينى « كفة » الطلقات .. ولكن الطلقات — وعن عمد منى — « مبرشمة » داخل علبة كرتون لم تفض ويستغرق فضها وتجهيزها عشر دقائق ! فما أشبه مسدسى بمسدسات الأطفال !

وأمام السيل المتدفق المحتدم بالغضب على الانجليز والوزارة غير الوطنية الضالعة معهم ، بدأ الالتحام بين الطلبة من جانب والشرطة والجيش من جانب آخر ، بينما كنت مستغرقا فى تأملاتى حول القضية المصرية وتاريخ الاحتلال البريطانى وقصـة كفاحنـا الطويلة ! ووسط هذه المحنة المضاعفة لم أصنع شيئا ، وكأننى

عمود من أعمدة النور فى شارع الجامعة يمكن ان يتحطم ولكنه لا يحرك ساكنا !

والتفت نحوى ضابط شرطة فى يده مسدسه ويطلقه فى الهواء قائلا : ماذا تنتظر يا حضرة الضابط لتخرج مسدسك ؟ قلت فى اسى حقيقى : انتظر مع أصوات الطلقات والقنابل الحارقة نهاية هذا الاشتباك الحزين على خير !

والغريب انه انتهى على خير فعلا ، بلا ضحايا وحتى بلا جرحى وبلا خسائر .. اللهم الا فقدان احد جنود « بطاريتى » لبندقيته في الزحام ، وتوقع علينا جميعا بسببها « تكدير شديد » بحجز قشلاق لمدة أسبوعين !

ودارت الأيام ، وما برح الانجليز سادرين فى هواية الوعود بالجلاء دون أن يجلوا الا عن القاهرة ليتربعوا فى منطقة القناة . والغيت معاهدة ٣٦ . وبدأت معركة الفدائيين فى القناة سنة ٥١ . وكنت قد اصبحت فى ذلك الوقت طالبا بكلية الحقوق بجامعة ابراهيم (عين شمس) حين فتحت ابوابها على مصراعيها للحاصلين على الثانوية من سنة ٢٠ حتى سنة ٥٠ كهولا وشبابا ، موظفين وضباطا وطلبة ! واصبحت معهم ومنهم بالفعل ، واقرب اليهم بالشباب وبالمشاعر .

وثار الشعب والجامعة ضد المستعمرين وضد طغيان وانحلال فاروق وضد عجز الحكومة . ولم تكن ثورة الشباب لتخسر شيئا على سبيل القطع ، فالوطن لا يملكون منه شيئا ، ورأس الدولة أجير لأعدائها ومأفون ومسخر ضد ارادة الشعب . ولم تصادفنى ـ لحسن الحظ ـ مهام ثقيلة هذه المرة . على العكس ، ازدادت جرعة الكتابات والقصائد فى صحف « الاشتراكية » وشاركت بجهد متواضع فى تدريب المتطوعين والفدائيين .

وانما تتدافع هذه الذكريات الى الخاطر والى السطور فى يوم ارجو ان يسفر عن خير كثير ، وان تتجنب معه كل سوء .

من المؤكد ان الصورة الآن مختلفة تماما عما عرضت له آنفا ؟ والموقف ليس هو ما كان عليه منذ ربع قـرن . فقط ذكرتني تجمعات طلبة الجامعة برابطة فرعية خالية !

الموقف جد مختلف . نحن قد ملكنا زمام أنفسنا الآن : اجلينا الانجليز ، وتحررنا سـياسيا واقتصـاديا ، واجتماعيا ، ولكننا ووجهنا بما هو أكثر مرارة ، فنحن نتعذب منذ سنوات طالت ـ ولا شك ـ بمحنة العدوان والصهيونية والامبريالية الامريكية . وهذا قدرنا ، أن نظل ممتحنين تحيط بنا المطامع فلا نستسلم .

الموقف بالغ الصعوبة ، ولكنه مختلف في أسلوب تناوله عما كان يحدث عام ٤٦ وعام ١٩٥١ . فحكومتنا الآن ليست فقط وطنية مائة في المائة ومعبرة عن ارادة الشعب ، ولكنها تطالب الشعب ايضا ان يتحرك معها ويلبي لخوض معركة التحرير . وراس الدولة كافح للثورة وسجن وشرد لأن مصر تيمته حبا وفداء . وجاء بالثورة ولم يفتر . وآمن بالثـورة والاشـتراكية والديموقراطيـة والحريات . وأكد ايمانه بكل القيم التي نتعبد في محرابها ، اذ أرسى خلال الأشهر الماضية ، ومنذ مايو ٧١ ما ارسى . ولكنه ـ ولنكن صرحاء مع أنفسنا ومع الواقع ـ يواجه قرارا بالغ الصعوبة ، وهو بالتالي في موقف لا أظن ان أحدا ينكر دقته .. ان هزيمة يونيو ٦٧ جسيمة ومهينة ، والتركة مثقلة ، ولكن هدف التحرير ـ رغم كل شيء ـ حق وواجب ولابد ان يجيء وأن يتحقق بمشيئة الله . ولست أظننا نختلف في ضرورة ضبط حساباته وعدم المغامرة قبل التثبت منها . فأمانة المسئولية والمصير لا تحتمل المغامرات .

يبقى السؤال الحائر القلق : متى هو ؟

ولعل هذا هو صميم تساؤلات الشباب .

لنعط كل ذي حق حقه . لا نقصد ، وليس في البال ، أن نخطب الود هنا أو هناك .. فنحن جميعا ـ الدولة والحكومة

والشعب والشباب والشيوخ ـ فى معسكر واحد ومصير مشترك .
ان الحديث تلقائى وانطباعى ويعكس الاحساس والتقدير .

ولكن الاحلام وتحقيق الاحلام عادة تبدأ من هنا .. من الشباب .

شجرة الحرية رويت من هنا .

ارادة التغيير تتدعم من هنا .

بذور ثورة ٢٣ يوليو زرعت هنا .

هم سند وليسوا عبئا على الاطلاق .

الأفكار البريئة الصافية اللامعة الحاسمة نتبناها ونطلقها بل نطبقها ، والشطط نهذبه .

ماذا قال الشباب فى تجمعاتهم ومؤتمرهم الذى عقدوه .

أوصوا بتأكيد الاصرار على القتال باعتباره حلا وحيدا للموقف ، وبادانة الولايات المتحدة الأمريكية . طالبوا باتخاذ موقف حازم ازاءها وضرب مصالحها فى المنطقة . طالبوا بضرورة البدء فورا فى عمليات التدريب العسكرى الجاد والصارم للطلاب ، وباعطاء الاولوية للانتاج الحربى ، وايقاف انتاج واستيراد الكماليات وتحمل أصحاب الدخول الكبيرة العبء الاقتصادى الأكبر للمعركة .

وفى اليوم والوقت نفسه كان الرئيس السادات يجتمع بمجلس الوزراء الجديد ، ويطلب قرارات حرب فى كل الميادين وأن نبدأ على الفور فى اتخاذ الاجراءات اللازمة لقيام اقتصاد الحرب . ويعلن ان مبدأنا هو : كل شىء من اجل المعركة ، ولابد ان نوفر لمعركة المصير كل ضمانات الحرب . ويوضح أن أمريكا دخلت المعركة ضدنا بكل ثقلها ، واصبح للمعركة أبعاد جديدة يجب ان نستعد لها .

كما عرض الرئيس لوجوب ممارسة الديموقراطية فى ظل سيادة القانون وأشار الى ما يحدث فى الجامعة فقال انه اذا كان هناك بعض الطلبة يريدون مناقشة الاوضاع السياسية ليعرفوا الصورة الحقيقية لأبعاد المعركة الجديدة على ضوء المعلومات والأنباء التى وردت من الخارج عن توريد مهمات عسكرية لإسرائيل، فعليهم بالمناقشة وباتباع الأسلوب الجامعى وان يعلموا جميع الحقائق .

الاربعاء ١٩ يناير سنة ١٩٧٢

على الفور اجتمع مجلس الوزراء واصدر قرارات بالغة الأهمية تسير فى خط واحد مع مطالب الشعب والشباب . نظم قبول تطوع طلبة الجامعات والمعاهد العليا للخدمة العسكرية . قرر زيادة ساعات التدريب وتوفير الاسلحة والذخائر اللازمه له مع اعداد ١٤٠ ساحة ومركزا فى جميع المحافظات فورا لتدريب المتطوعين من الشباب على أعمال الدفاع المدنى . حظر استيراد الكماليات . ضغط الانفاق الحكومى مع احكام الرقابة عليه . حد من مزايا كبار المسئولين . الخ .

قد لا تكون هذه القرارات كل المطلوب فى مرحلة وضع الدولة فى وضع الاستعداد النهائى للمعركة .

ولكنها ــ كما أعلن ــ ستتلوها اجراءات أخرى للأخذ بمزيد من سياسة التقشف واقتصاد الحرب .

قد يتشكك البعض فى التنفيذ ، ولكن بالممارسة الديموقراطية علينا المراقبة والمتابعة والمحاسبة .

وعيبنا التقليدى للأسف الشديد اننا نتحمس ونتكهرب ونهتم فى البداية ثم نهبط ، بينما الموقف لا يصح معه التراخى والقدرية ولا يحتمل . وقد انتصر علينا عدونا فى هذه الزاوية بالذات .

وبدأ لفيف من الطلبة الاعتصام فى جامعة القاهرة .

ومع الضغط ومع بعض التصرفات النابية توتر الموقف .

ووجهنا ـ وسط هذه الأحداث ـ كلمات عاقلة اشدنا فيها بحركة الطلاب والشباب ، وناشدنا ان تقابل بصدر مفتوح مايجرى فى أوساط الشباب الآن ، فذلك بداية الطريق للاستفادة من طاقاتهم .

اشدنا فى صدق بالتيار النظيف الذى يسود شباب جامعاتنا لانه يمثل نقاء فى الوجدان المصرى . وقلنا كما ينبغى أن تفهم ونعذر التمزق الذى عذب شبابنا منذ النكسة ، وأن تتفهم تطلعاتهم الوطنية الصافية ، فان الشباب من واجبه ومن حقه أن يفهم ـ بأفق واسع ـ الموقف الدقيق الذى تجتازه بلادنا . ودعونا أن تبقى الجامعة دائما منارة للعلم والأمل والحيوية وأن يحفظ الله مصرنا الغالية .

ولم يكن دعاؤنا الله أن يحفظ مصر دعاء منبريا ، بل كان يمثل خفقات الصدور التى لو شققناها لوجدنا تراب مصر الزكى فى سويدائها ، والقلق عليها يهزها هزا .

ماذا ينتظرنا لو تمزقت الجبهة الداخلية ـ لا قدر الله ـ والعدو الاسرائيلى متربص ومترقب منذ ١٠ يونيو ٦٧ يوم التمزق والانهيار الداخلى ؟ وكان أقوى أسلحتنا ـ بلامراء ـ الصمود والوحدة الوطنية .

هل فكر أحد أو تصور العاقبة ؟ فلنفكر فى مصر ومصر وحدها لتسلم مصر وتنتصر مصر .

الخميس ٢٠ يناير سنة ١٩٧٢

الاعتصام ما زال مستمرا .

ابرق اتحاد الطلاب بجامعة الاسكندرية الى الرئيس يعاهدونه ان يكونوا جبهة واحدة صامدة وراء قيادته . رد الرئيس السادات معبرا عن تقديره لفهمهم العميق للظروف التى نواجهها وتحتم

علينا ارتياد مسالكها الوعرة الى النصر • وقرر الذهاب اليهم والاجتماع بهم فى القريب .

ولست أملى على احد اى شيء . وربما أكون قد رجوت والتمست ان يتحقق لقاء بين الرئيس وطلاب القاهرة اليوم قبل الغد . ان يذهب وفد يمثل الطلبة الى سيادته ليعبروا عن قلقهم كما ينبغى ان يكون التعبير للأب والراعى ورئيس الجمهورية ، وأن يتساءلوا ، فيفتح لهم صدره ويبصرهم ويتجاوب معهم .

ماذا لو انهم سلكوا هذا المسلك منذ البداية ؟ هل هو ما يسمى نزق بعض الشباب ؟

ومرة اخرى حييت الحركة الطلابية والشباب الذين هم عمادنا والأكثر قدرة على المواجهة وعلى تحقيق النصر . وعرضت لقرارات مجلس الوزراء قلت : بقى ان نتيقظ للاجراءات التنفيذية لاعداد الدولة للحرب الضارية الطويلة والتى تحتم علينا أن نخوضها فى مواجهة اسرائيل والامبريالية الأمريكية . نتيقظ للاجراءات التنفيذية ونساندها ونتابعها نحن جميعا ، ولا موجب للعصبية او الانفعالات او الانحرافات .

الجمعة ٢١ يناير ١٩٧٢

بعث مجلس اتحاد جامعة القاهرة برقية للرئيس اكدوا فيها ثقة جماهير الطلاب فى قيادته ، وحيوا الديمقراطية التى تتبعها فى اعطاء الحركة الطلابية الحرية التامة فى تعبيرها وتحركها الصحى الشريف من اجل صلابة جبهتنا الداخلية ودعوا سيادته للقاء طلاب الجامعة . وصرح السكرتير الاول للجنة المركزية بأن الرئيس ، وقد اطلع على برقية القاهرة ، يوافق على الاجتماع بهم ويرحب دائما بالالتقاء مع ابنائه الطلبة الذين يقدرون مصلحة الوطن العليا .

ولا زال الاعتصام مستمرا ==

السبت ٢٢ يناير سنة ١٩٧٢

توافد بعض طلبة جامعة عين شمس على جامعة القاهرة .

ليس كل المجتمعين يتبعون نفس الاسلوب ولا تربطهم نفس الافكار . ولكن للتجمع جاذبية تشد وبريق يبهر .. لست انكر . قد يلد الحوار قيادات طلابية جديدة وقادرة . فلتأخذ فرصتها بالطريق المشروع وعندما يحين الوقت .

بعض الاصوات اصبحت اكثر ارتفاعا . بعض الشعارات ذات التلميحات المثيرة معلقة فى شارع الجامعة .

الصحافة البائسة الظالمة والمظلومة « ملطشة » الجميع !

ولا زال الاعتصام مستمرا ..

الأحد ٢٣ يناير ١٩٧٢

رئيس الوزراء يلقى بيان الحكومة فى الجلسة الخاصة التى عقدها مجلس الشعب . مرة اخرى وأمام ممثلى الشعب يؤكد اعداد الدولة للمواجهة الشاملة ، ويعلن - كما طالب الشباب - بأن مصالح امريكا يجب الا تكون آمنة فى منطقتنا . ويقول أن شبابنا وهو يتحفز للمعركة ويستعجل يومها له الحق فى أن يقلق . ولكن عليه أن يحيل هذا القلق الى طاقة عمل . وعلينا جميعا أن نعاونه فى ذلك وأن نستعيد ثقته وايمانه . ان الشباب بوطنيته وحماسته وايمانه وفدائه يريد المعركة ونحن معه ، ويريد تحرير الأرض ونحن معه ، ويريد اعداد الدولة كلها للمعركة ونحن معه ، ويريد اقتصاد حرب ونحن معه ، ويريد الاشتراكية ونحن معه .

توافد ممثلون للطلاب الى مجلس الشعب عقب الجلسة الخاصة ببيان الحكومة . اجتمعوا بأعضاء المجلس ودار حوار خلال الاجتماع طرح الطلبة خلاله تساؤلاتهم لدعم الجبهة الداخلية واتباع اقتصاد الحرب . واستمرت المناقشات ثلاث ساعات .

آخر الليل . فضت قوات الأمن المركزى اعتصام الطلاب فى جامعتى القاهرة وعين شمس ..

مسألة تقديرية ..

الاثنين ٢٤ يناير ١٩٧٢

يوم كئيب .. كئيب ، اشفق منه . اصلى من اجل مصر .. كنانة الله فى أرضه .

بدات العطلة واجازة نصف السنة ، ولكن قامت بعض المسيرات والمظاهرات من الطلاب طافت بالشوارع ورفعت بعض الشعارات وحدث بعض الصدام .

تم الافراج عن الطلبة المحتجزين ـ الذين فض اعتصامهم ـ وبدأ التحقيق مع ٧٠ طالبا .

اصدر مجلس نقابة الصحفيين بيانا رأى فيه ضرورة تفهم الحركة الطلابية الاخيرة على انها جزء من مسيرة الشعب منذ ٢٣ يوليو ٥٢ واستمرارها بقيادة الرئيس انور السادات ، وانها مرتكزة على المبادىء الأساسية للثورة ومواثيقها . واكد المجلس التطابق بين ما نادى به الطلبة من استعداد للمعركة وبين ما نادى به الرئيس السادات من ضرورة دعم الجبهة الداخلية ، وما اتخذته الحكومة من اجراءات اقتصادية .

واضاف المجلس وهو يتناول قضية الصحافة المثارة « ان التقييم العادل لدور الصحافة فى الأعوام الماضية أنها كانت أداة الاتصال الفعالة بين الثورة وجماهيرها ، وانها كانت اداة التبشير بالأفكار الاشتراكية وأفكار معاداة الاستعمار . لكن مجلس النقابة لا ينكر وجود ظواهر سلبية عاقت الصحافة عن القيام بالمرجو منها مما يتطلبه العلاج » .

واختتم المجلس بيانه بقوله « ان القضية المطروحة ليست قضية الكلمة الحرة فقط ، لكنها قضية القول والعمل معا . ومن

« لابد أن توضع الصحافة فى الأطار الصحيح لها ، انها أداة تعبير وليست اداة انجاز ، وهى فى هـذه الحدود لا بد أن تلعب دورها كاملا شريفا ومخلصا فى ظل مبادىء الثورة » .

بيان مناسب ومدروس للغاية . قد لا يبرىء الذمة ١٠٠٪ ؟ ولكنه يقول كلمة .. وكلمة خالصة لوجه الله والوطن والثورة .

الثلاثاء ٢٥ يناير ١٩٧٢

يوم منتظر ، وكان لابد ان يجىء . الرئيس يشرح الموقف فى اجتماع كبير يحضره ممثلو جميع الهيئات والنقابات والاتحادات وبالأخص طلاب الجمهورية واتحاد الجامعات ، وليوضح وليرد على الاستفسارات .

وقام حوار ديموقراطى حر بين الرئيس والقيادات السياسية والعمالية واتحادات الطلبة . اكد الرئيس السادات ثقته فى سلامة القاعدة الطلابية وأعلن ان وراء الأحداث الأخيرة مخططا مقصودا . تساءل الرئيس : لمصلحة من يجرى كل هذا ونحن نواجه معركة ضارية ؟ فان أقصى ما تتمناه امريكا واسرائيل ان تحدث « فرقعة » فى الداخل او انشقاق فى الجبهة الداخلية . ان كل شىء يعد من أجل المعركة . والجبهة الداخلية يجب ان تجهز لمعركة طويلة بأبعاد جديدة بعد التحرش الأمريكى . اوضح الرئيس لماذا لم نبدأ تنفيـذ قرار بدء المعركة . أعلن انه لا بد من سيادة القانون وايضا احترام القانون . لا بد من الممارسـة الديموقراطيـة مع النظام والانضباط .

وبعد خطاب الرئيس بدأت الكلمات والمناقشات ، وكان ممتعا حقا وعظيما وصحيا ان نتابع هـذا الحوار الديمقراطى السليم بين رئيس الجمهورية وبين المتحدثين .. وأعطيت الكلمة بعد العظيم المغربى سكرتير اتحاد عمال جمهورية مصر . وقد اعجبنى ، ولعله أن يكون حاز اعجاب الحاضرين .. تدرج فى الحديث بأسلوب

مثالي ولبق وبالغ الأدب والمحبة مؤكدا الثقة الكاملة والخالصة فى قيادة الرئيس متسائلا فقط ــ واضاف « وقد اكون مخطئا » ــ عن ضرورة فض الاعتصام بالشرطة .

تلاه الاساتذة والطلاب ورؤساء الاتحادات وغيرهم واوضحوا وبينوا ما شاهدوه وما لاحظوه وما استقراوه خلال تلك الأيام العصيبة .

وكان حديث ثروت ابراهيم طنطاوى الطالب بكلية طب المنصورة وعضو اتحاد جامعة القاهرة رقيقا يقع فى القلب ويتحدث من القلب فأفسح له الرئيس صدره .

على انني وددت ان احيي بالأخص طالبا مشرفا تحدث حديثا موضوعيا نقيا مهذبا ودافع عن الحركة الطلابيـة ــ كما دافع الرئيس ــ بايمان لا يتزعزع وبالنفاذ الى لبها والى مفهومها وبالتبرؤ من كل ما يشوبها .

ولم يتره الرئيس السادات حقه قال له : أنت تتكلم كلاما معقولا ، ويجب أن تستمر على هذا النهج .

كان هو الطالب محمد عز الدين السعيد ، رئيس اتحاد جامعة عين شمس الذى استهل كلمته فخطف التقدير الشامل باقتراح بليغ ومؤثر فى قوله « اننى اقترح بداية ان يرسل هذا المؤتمر برقية عاجلة الى قواتنا المسلحة على الجبهة تؤكد لهم سلامة جبهتنا الداخلية ووقوفنا وراءهم صفا واحدا » . وصفق الجميع فى حرارة .

اقتراح جاء فى وقته وفى مكانه .

وعلى كثرة ما سمعت من اقتراحات ارسال برقيات فى ظروف مختلفة ، فاننى لم يسعدنى مثله .. بعد نظر وحسن اختيار وتقدير واحساس بالمسئولية .

وبعد ان استرسل فى الشرح المتزن الذى أملاه الاخلاص لا الهوى ولا الفرض ولا المزايدة ، وأوضح المشاكل ، وناشد الرئيس ان يكون للشباب على مستوى الجمهورية تنظيم واضح حتى لا تقع التراكمات وحتى لا يسهل انحراف الطلاب وراء تيار قد يكون معاديا لهذه الأمة ـ تقدم فى هدوء موضوعى بمطلبين أو ثلاثة .

أولا : الافراج عن الطلبة . وأنا اعلم ان فى سلطة رئيس الجمهورية اصدار العفو بعد المحاكمة . ارجو ان ترعوهم بنظرة العطف وان تجرى المحاكمة سريعا . فاذا كانوا عملاء لاية جهة اجنبية فنحن على استعداد لصفعهم . واذا كانوا يعبرون عن آرائهم مهما تكن هذه الآراء متباينة فنرجو أن يشفع لهم النقاء الثورى والطهارة فى شبابنا .

ثانيا : لا شك ان الايضاحات التى بينها السيد الرئيس اليوم للموقف ولخطاب ١٣ يناير شافية ومقنعة وردت على الكثير من التساؤلات ، وهو ما نسعد به حقيقة . غير ان هناك مزيدا من الاستفسارات ، ونحن نرجو ان تسعى القيادة السياسية لتوضح هذه الاستفسارات .

ثالثا : لقد حدث اعتداء بالضرب على نائب رئيس اتحاد جامعة عين شمس من جانب احد العاملين بالأمن المركزى . ومع رجائى ضرورة تقديس مكانة الحرم الجامعى ارجو أن يتناول التحقيق هذه الواقعة .

وقال الرئيس : « اذا كان الأمر يتعلق بازالة الضباب ووضوح الرؤية فأنا على استعداد فى أى وقت . أنا أذهب للفلاحين فى بلدنا واجلس معهم على القناية . لما جامعة اسكندرية ارسلت لى برقية قلت انا جاى . القضية هى أن يتم هذا بأسلوب منظم وليس بروح التحدى . ان لكم الحق كمواطنين قبل ان

تكونوا طلبة فى آن تسألوا وتستوضحوا كافة الحقائق . ومن المؤكد ان هناك جرائد حائط يتم طبعها واعدادها خارج الجامعة وذلك لشحن الطلبة » .

واضاف الرئيس « سوف أطلب الى وزير الداخلية التحقيق فى واقعة اعتداء البوليس على نائب رئيس اتحاد جامعة عين شمس والتى أثارها الأخ فى كلامه » بل توجه بالحديث الى وزير الداخلية أمامنا وأمر بالتحقيق على الفور .

فى نهاية الاجتماع الطويل (٥ ساعات) حيا الحاضرون ـ وفى مقدمتهم الطلاب ـ الرئيس احسن تحية ، وصفقوا له طويلا كما فعلوا خلال حديثه واثناء المناقشات .

اذيع الحديث مساء اليوم فى الاذاعة فاحدث رد فعل طيبا .

الاربعاء ٢٦ يناير ١٩٧٢

اليوم عيد الأضحى ، وليس ذكرى حريق القاهرة منذ ٢٠ عاما .

وقفت المظاهرات ، أصبحت النفوس أكثر هدوءا ، ولكنها يجب أن تغدو اكثر اشتعالا واعدادا وعملا ضد عدونا الصهيونى المحتل .

الدروس المستفادة : ضرورة معالجة الفراغ السياسى فى شتى الميادين بتنظيم سياسى قادر وواع ومتحرك فى الاتحاد الاشتراكى .. اهمية الوضوح . قيمة الا ننسى وألا نشغل بمرور الأيام ، وان نقلل من الكلام فهو الذى يستهلكنا كما نستهلكه ، بينما العمل يحمينا ويقوينا ويطورنا ويجعل للتخطيط معنى وخطوات تقدمية متعددة . حتمية المعركة والاجراءات السياسية والاقتصادية والعسكرية المطلوبة لها .. اجراءات قاطعة وجادة لتعبئة الجبهة

الداخلية وسلامتها وتوفير أسباب النصر لقواتنا الباسلة فى الجبهة ، وللمواجهة الشاملة .

وبعد ..

فقد اكون بسطت الامور ولم انفذ مع التفاصيل الى التحليل الوافى .

وقد لا اكون تعرضت لكل الوقائع والاحداث .

ولكن الذى اقطع به ان مصر فى كل سطر وفى كل كلمة وفى كل نفس يتردد .

٧٢/٢/٣

.. وتعيشي ياضحكة مصر

هل اكبح جماح القلم ؟ هل اتحفظ فى عبارات الثناء والتقدير ؟ هل اؤثر التانى حتى لا تتهم عواطفى بالعفوية او بعدم الانضباط ، بينما افكر واصدر عن موضـوعية حقيقية فيما اعتقد ؟!

ربما كان هذا كله مطلوبا ، وخادما لشباب جماعة السـينما الجديدة يحميهم من ردود فعل « الثورة المضادة » التى قد تثار وتثار وتكيد .. او ربما كان التحفظ عاصما لهم من احتمـالات الغرور !

ولكنى غير مستطيع ان احبس صيحة اعجاب ! غير قادر على ان اكتم الشـهادة !

اننى ـ كبطل الفيلم محمود مرسى وهو ابن مدينتى وزميل دراسة على اى حال ! ـ اكاد اشعر باننى « اخون » فيلم « اغنية على الممر » والجهود المشرفة والمشرقة التى وراءه اذا امتنعت عن ابداء الشهادة ، مثلما قال بطل الفيلم ـ وكل ممثليه ابطال فعلا ـ انه يحس لو انسحب من موقعه « كانى خنت الاولاد اللى ماتوا هنا » . ولقد « استقتل » العاملون فى هذا الفيلم الفـريد المبشر بمولد سينما جديدة وهادفة .

وليست لشهادتى قيمة خاصة بالطبع .

غير ان لهذا الفيلم قيمة خاصة وعامة تستحق ان يتذوقها ويقف الى جانبها كل صاحب قلم ، بل وكل متردد على السـينما

لنقضى على سلبيات اسطورة « الجمهور عايز كده » ، ونمضى فى طريق ايجابيات حقيقة ما يريده الجمهور وما يراد له ونثبت ان الدنيا تغيرت او يجب ان تتغير !

مثلا ، وبغير تحامل ولا مسايرة للحملات التى شنت وتشن على المخرج حسن الامام . هل من المعقول ان تكون قصارى اهتماماته هى حياة الراقصات والكباريهات لتشغل اكثر من ٧٥٪ من أفلامه ؟ هل عقمت الافكار ، ليقدم هو نفسه خلال أسبوع فيلمين فى وقت واحد عن حادث « تاريخى » هو مصرع الراقصة امتثال فوزى ، وحوادث أخرى عن راقصات اخريات ؟!

وقد يبدو غريبا للبعض ان رأيى فى حسن الامام .. ليس سيئا بل انه كمخرج « للروائع » ــ وهو اللقب الذى يطلق عليه دعاية احيانا وتشنيعا احيانا أخرى .. ويحبه على الحالين ! ــ قد يملك « التكنيك » الجيد ، ولكنه يخطىء الفكر الجيد .. وأهم من ذلك انه ــ للأسف ــ لا يملك القدرة على التطور الذى يساير متطلبات العصر !

فالعثور على فيلم ، كفيلم « اغنية على الممر » وسط ركام وطوفان من الافلام المخيبة للامال اشبه بالعثور على جوهرة فى الوحل ! لقد فاتتنى ــ كالعادة ــ مشاهدته فى نادى السينما ، ثم لم ألب دعوة حضور حفل افتتاح عرضه ، حتى انتزعت انتزاعا لرؤيته فى عرض خاص فخرجت مبهورا لانه اخرجنى من الحاحات وحصارات « التيشيس » ! ومضبت أنشد مع ابطاله « ابكى . انزف . اموت . وتعيشى يا ضحكة مصر » !

اقول الحق . لقد شعرت ان هذا الفيلم قد تم تاليفه لى وكتب حواره لى ، وانتج واخرج ومثل وصور لى ، وعندما اقول « لى » فانما أعنى لى .. كمصرى . فهذا الفيلم ببساطة ــ والبساطة وعدم التشنج وعدم التعمل أجمل ما فيه ــ هو تعبير عن الامل وعن الرفض وعن الارادة وعن امكانية انتزاع النصر !

وودت لو « قرر » على الساحات الشعبية وعلى جبهة القتال !

واذا كان « اغنية على الممر » هو باكورة اعمال جماعة السينما الجديدة فان الالتزام بمثل هذا المستوى الطيب ـ والارتقاء به ايضا ـ قد اصبح مسئولية جسيمة على عاتقها ادعو الله الا تنوء بها ، والا تبتلى بشياطين خارجة أو داخلة « تـكعبلها » على الطريق !

واذا كان « اغنية على الممر » هو اول فيلم طويل يخرجه على عبد الخالق ـ ومعذرة لكونى اخص الاخراج ، فمرة اخرى لست اقلل من جهد اى عامل به فى كافة المجالات بل على العكس ـ فان السينما الحقيقيةتفتح له ذراعيها تظلله وترويه وتمد له أسباب الحياة والنمو ليتحول البرعم الى شجرة يانعة مثمرة فى «مشتل» السينما الذى نتمنى أن يتحول الى جنة يانعة لا تعبث فيها الحيات والثعابين ولا تفسدها اغراءات اية فاكهة محرمة !

لقد شدنى على عبد الخالق بأسلوبه الناعم المتفتح فى الاخراج وفى الاسترسال وفى « الفلاش باك » الذى أحسن استخدامه وبرع فى توقيته عامة عندما راح كل بطل من ابطال الفيلم يتكشف ويكشف امامنا واقعه الاجتماعى واحلامه وصراعه من أجل الحياة لتعميق الصورة والمضمون ، وسط معركة يونيو ٦٧ التعسة .

وتحية لهذه الطاقات الشابة التى تفهم مجتمعنا ، وتنقد مجتمعنا وتحاول أن تصلح مجتمعنا من خلال اللقطات والتعبيرات والفن الممتع الآسر الهادف .

واترك النقد والسلبيات لغيرى ممن هم اقدر واكثر تخصصا ..

وهكذا لم استطع كبح جماح القلم ..

وربما هو واجب الامانة ان اقول كلمة . ولعلى لو كنت اجتزأت بالصيحة التى اطلقتها بعد مشاهدته لكانت افضل وأوفى ! حتى لم اقلها بالعربية وانما بالاصطلاح العامى « برافو » !

٧٢/٣/٨

عن المقاومة الفلسطينية

في ليلة حافلة عاصفة مشحونة تقارعت وتصايحت فيها اجراس ودقات آلات « التيكرز » لوكالات الانباء المختلفة - وبضراوة محمومة - نقلت « الأمر الانذارى » بالسفر الى بيروت لحضور المؤتمر الأول لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين خلال الفترة من ٦ الى ٩ سبتمبر « ايلول » ١٩٧٢ .

الدعوة دعوة المقاومة الفلسطينية . و « الجو » كله - وعلى مستوى عالمى - هو جو المقاومة الفلسطينية !

ذلك ان اليد التى كانت تدق فوق راس الذين يدقون آلات التيكرز كانت يد « منظمة ايلول الأسود » !

ولم تكن قد مرت أربعة أيام على تصريح نقلته وكالات الأنباء عن « اليعازر » رئيس هيئة الاركان الاسرائيلية يعلن فيه أن حرب اسرائيل ضد الدول العربية « تعتبر فى حكم المنتهية » ، وأنه لم يبق سوى أن تقضى اسرائيل قضاء مبرما على اى اثر « لعصابات الارهاب الفلسطينية » وتصوروا .. ان الذى يخلع هذه الصفات على أصحاب الارض والحقوق خريج مدرسة الارهاب الاجرامية الصهيونية الغاصبة !

الليلة هى ليلة ٦/٥ سبتمبر ١٩٧٢ ، والحادث الشهير المدوى الذى اقام الدنيا - لا الدورة الاوليمبية فحسب - هو حادث احتجاز

ثمانية من فدائيي منظمة ايلول لأحد عشر لاعبا من الفريق الاسرائيلي المشترك في الاوليمبياد بمدينة ميونيخ بالمانيا الغربية كرهائن مقابل الافراج عن ٢٠٠ من ابطال المقاومة الفلسطينية المعذبين في سجون اسرائيل •

واذا كنت في بعض حوادث اختطاف فدائيي فلسطين للطائرات اتحفظ بعض الشيء من الناحية الانسانية العامة ، مع تسليمي بأن الظلم الذي حاق بفلسطين وباهلها المشردين قد يطوع ويحل لهم أي عمل لتأكيد وجودهم وقضيتهم في هذا العالم المتحير الظالم الأصم الأبكم الاعمى ، فانني ــ وفور علمي بتفاصيل الحادث صباح يوم ٥ سبتمبر « ايلول » لم املك ــ صراحة ــ سوى تأييده دون اية تحفظات !

وتعليل التأييد الكامل من وجهة نظرى العربية والانسانية معاً ــ وفرق بين هذا الحادث وحوادث خطف الطائرات ــ يرجع الى كون هذا العمل انما اتخذ وبطريق مباشر تجاه المجرمين الحقيقيين المباشرين دون تعريض حياة أى احد آخر سواهم لأية مخاطر أو اعتداءات ، وأن المطلب مشروع مائة في المائة : الافراج عن هؤلاء الرهائن مقابل الافراج عن مائتى مناضل فلسطيني مسجونين وضائعين في ارض ضائعة !

غير ان هذا المنطق البسيط العادل ما كان ليخترق حواجز « العنصرية » والتحيز التي برع في اصطناعها الصهيونيون واسرائيل بين الدوائر العالمية ــ والغربية على الأخص ــ ووجدت ارضا ممهدة لاقامة الحواجز !

وكما توقعت تماما ــ وبحكم الممارسة والحوادث المماثلة ــ كانت ردود الفعل ••

* في مصر والعالم العربي : اعجاب غير خاف مصحوب باشفاق كنت تسمعه في شوارع القاهرة وبين كافة الاوساط •

ويدور حول الخوف من أن يتعرض الفدائيون لخدعة كما وقعـــوا فى حادث طائرة اللد على يد ممثلى الصليب الاحمر المـزيفين الذين كانوا فى حقيقتهم جنودا فى السرطان النازى الجديد الذى هو جيش اسرائيل •

* فى اسرائيل : غضبة « صلفية » كاسحة ، واجتماع فورى لمجلس الوزراء الاسرائيلى « وفرمان » « لاقوى » دولة فى العالم بالغاء الدورة الاولمبية ! وغنى عن البيان رفض اسرائيل الافراج عن أى من رجال المقاومة الفلسطينية مقابل اطلاق سراح الرهائن ، فهو أمر متصور •• اذ أن أى تسليم من جانب اسرائيل بانهـــا تخضع للتهديد قد يشجع ــ فى رأيها ــ على المزيد من عمليـــات المقاومة • اسرائيل وحدها هى التى تملك تهديد العرب بل العالم مجتمعا ، ولا يسمح لأحد ــ أيا ما كان ــ أن يتجاسر ويهددهـــا بأى شىء !

* فى المانيا الغربية : شيك على بياض ! والشيك الذى هو « على بياض » وان كان « ظاهره » موجها للفدائيين العرب فان « تظهيره » موجه لصالح اسرائيل !

وبصرف النظر عن أن حكاية الشيك المفتوح لعبة مكشـوفة « لاتخيل » على أبسط البسطاء ، فانها لتدلل على أن الهــدف ليس حماية أولمبياد ميونيخ وسمعة المانيا الغربية و ••• و •• الخ ، وانما الهدف الحقيقى هو التأكيد لاسرائيل أن « حياتها » عنـد المانيا الغربية لا تقدر بثمن ! انه لم يخرج عن كونه « غزلا » فى اسرائيل ولاسرائيل من أحط وأدعر أنواع الغزل وأكثرها مهانة • ان المانيا الغربية « الرسمية » ــ صنيعة الاستعمار الامريكى وطوع أمره ــ قد أنفقت خلال السنوات العشرين الماضية على اسرائيـل « دم قلبها » ممثلا فى رقم مذهل من مليارات الماركات الالمانيـة الصعبة !

والمدهش أنك اذا خلوت الى أى المانى غربى حر أو شبه حر « وغير يهودى طبعا » ، لقال فى اسرائيل أضعاف ما تقول أنت ، ولتمنى لا أن يلقى بها الى البحر وانما أن تلقى اليه معلقة فوق أعواد المشانق ! نحن أقل تعصبا ضد اسرائيل رغم اننا اذا تعصبنا ضدها فلنا ألف عذر وعذر لاننا جوزينا منها ومن يهودها جزاء سنمار على أطيب معاملة لاقاها اليهود فى حياتهم وتاريخهم طولا وعرضا . بينما الآخرون (الالمان) بدأوا بالتعصب السافر والاضطهاد النازى لليهود • فلما هزمت النازية وقامت المانيا الامريكية الجديدة ابتزت أموالها أفحش ابتزاز ، وان كان هذا ليهون تماما اذا قيس بالثمن الغالى الذى دفعناه - نحن العرب - من دمائنا وأرضنا المغتصبة وقصة ربع القرن الأخير كاملة وبغير ذنب جنيناه •

* فى « الرأى العام » الغربى والعالمى : استنكار لهذه « الوحشية » وللاعتداء على « حرمة » الرياضة والرياضيين • ولا يهم أن يكون هؤلاء « الرياضيون » المزعومون جنودا فى هذا السرطان التوسعى الشرس الذى هو جيش اسرائيل ، ولا أن يكونوا قتلوا وذبحوا العرب وطردوهم من ديارهم • فمن هم هؤلاء العرب ؟ ومتى نريح البشرية و « الانسانية » من شرورهم وهمجيتهم ؟

* * *

فى هذا الجو المتوتر المشحون وصل الوفد المصرى الى بيروت للمشاركة فى المؤتمر الاول لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ولتستقبله فى مطار بيروت وفى الفندق كتائب المقاومة الفلسطينية •• ولا حديث للجميع بطبيعة الحال الا حادث ميونيخ وتطوراته ونتائجه واحتمالات ردود فعله الخ •• فهو حديث العالم ، حيث استطاع - على حد تعبير أحد قادة المقاومة - وفد غير رسمى من فلسطين التى رفض تمثيلها فى الاولمبياد أن يمثل فلسطين أقوى تمثيل ويؤكد وجودها !

وطال بنا الحديث حتى مطلع الفجر ●●

وهكذا بدا الكتاب والصحفيون الفلسطينيون أعمالهم ، وقبل افتتاح مؤتمرهم . فماذا يمكن أن يحمل جدول أعمال المؤتمر أهم مما نتناوله بالحديث ؟

على أننا ما كدنا نمسك بايدينا صحف الصباح البيروتية - صباح الاربعاء ٦ سبتمبر ١٩٧٢ - حتى القيناها جانبا كاسفى البال . فقد كانت « مانشستاتها » جميعا تروى قصة الخديعة ونجاحها ولكنها تضيف أن جميع الرهائن الاسرائيليين قد تمكنوا من الفرار اثناء هجمة « البوليس الألمانى » بينما لقى الفدائيون العرب مصرعهم . اذن فلسوف نظل الشعب المخدوع المغلوب على أمره !

وتلك كانت الرواية الاولى التى ابرقت بها وكالات الانباء ، ونقلتها عنها صحف لبنان الصباحية .

غير انه سرعان ما تكشف التصحيح وعلمنا من محطات الاذاعة آخر الانباء : خان « البوليس الالمانى » كلمة الشرف واطلق « قناصته » الرصاص على الفدائيين العرب اثناء استعدادهم للسفر بالرهائن بالطائرة الهليكوبتر ، ولم يجد الفدائيون الابطال مندوحة عن ان يبادلوا الكتيبة « الالمانية » اطلاق النار ، ولما اشتد الخناق عليهم ابوا الا ان يستشهدوا ويقتلوا معهم الرهائن الاسرائيلية وفجروا طائرة الهليكوبتر وانتهت حياة الاحد عشر اسرائيليا عن آخرهم ، واصبح جليا لكل منصف ان الالمان هم الذين يتحملون - وحدهم - مسئولية قتل الرهائن وهذه النهاية الدموية ، بينما الفدائيون اثبتوا حرصهم على حقن الدماء فحتى التهديدات الزمنية بانذار الساعات المحددة لم ينفذوها بقتل واحد من الرهائن كل ساعتين اذا لم يستجب لطلبات الفدائيين بل مضوا يؤجلونها ساعة بعد أخرى ●

وانتشر النبأ « المذاع » بين أعضاء المؤتمر واعضاء الوفود المدعوة : لم يبق واحد من الرهائن حيا ، ولم تنجح الخدعة • قتلوا جميعا •

ودبت الفرحة بيننا جميعا ، وشفي غليلنا • حتى ولو كان الثمن مقتل خمسة من الشباب الفلسطيني الشهداء ، فلم نخدع هذه المرة •

ولقد يبدو أن الافصاح عن مشاعرنا ـ فيما اكتب ـ صراحة زائدة ، ولكنني ـ علم الله ـ أكره التفاق فى هذه المسائل وفى غيرها حتى ولو ظن انه من حسن « السياسة » !

ونقولها بأعلى أصواتنا ومن أعمق أعماقنا •

نحن لسنا قتلة ، بل نحن مقتولون ! نحن لسنا دعاة حرب بل طلاب سلام وحق وعدل ••

نحن نكره بل نمقت سفك الدماء • واقولها عن نفسي وعن الآخرين أننا ـ من رأسنا حتى أخمص قدمنا ـ نعشق الانسانية ونهفو اليها وتطيب لنا الاعمال الانسانية •

ولكنهم فى الغرب لا يصدقوننا أو لا يريدون أو لا يراد لهم أن يصدقونا !

على العكس بلغت الغضبة الغربية المحمومة ضد العرب ذروتها بعد هذه النهاية المأسوية لحادث ميونيخ •

وبدا على سبيل اليقين اننا لا نتحدث نفس اللغة •

ووجدتني مرة أخرى أعود الى مناخ عملي عشناه نظريا فى بيروت فى مايو ۱۹۷۲ عندما حضرت ندوة اعلامية كبرى بين الشرق والغرب ضمت رجال الصحافة والاعلام العرب الى جوار رؤساء تحرير الصحف الامريكية والغربية ورجال الاذاعة

والتليفزيون الغربيين فى حوار طويل يحاول تقريب المسافات ووضع النقط على الحروف والبحث عن النغمة الصحيحة ! ولقد عرضت لندوة الاعلام المذكورة بين الشرق والغرب فى فصل من كتابى « رحلات جادة مرحة » الذى صدر فى النصف الثانى من سنة ١٩٧٢ ، عنوانه « لماذا لا يفهموننا .. ولماذا لا نفهمهم ؟! »

* نعم .. لماذا لا يفهموننا ولماذا لا نفهمهم ؟!

لماذا تقبل على كرامتها دولة كبيرة « محترمة » كالمانيا الغربية أن تخضع كل هذا الخضوع المخزى لاسرائيل · تتلقى منها الاوامر والتعليمات. تترخص فى استقلالها الذاتى وسيادتها وتسمح باستقبال كتيبة اسرائيلية أو سرية أو فصيلة من الارهابيين الاسرائيليين المتمرسين ليقودوا ويؤدوا دور الخديعة والكمين للفدائيين العرب فى ميونيخ ؟ لماذا تتلف كل شىء حبا فى سواد عيون اسرائيل ، ولانها هى وامريكا اعتادتا دائما أن تقولا معا : كن فيكون ؟ وحتى بعد اعتراف اسرائيل رسميا بان الخطة خطتها والكمين كمينها والقناصة الملعونين قناصتها لم تحاول المانيا الغربية أن تنفى ذلك ولو من باب « السياسة والكرامة » بل كانما سعدت بهذا الرضاء السامى من جانب اسرائيل وامريكا . وكأنها بهذا التفريط والخضوع تريد ان تكفر عن « سيئاتها » القديمة « وعقدة الذنب » الهتلرية التى اذلتها وابتذلتها واصبحت لدى اسرائيل دائما الورقة الرابحة والتجارة التى لاتبور ؟!

لماذا يدين العالم الفدائيين ويستشيط غضبا عليهم وهم لم يطلبوا الا اطلاق حرية عدد من المناضلين الشرفاء الأبرياء ، بينما لا يدين هذا العالم الظالم المانيا الغربية المتفذة واسرائيل المخططة وامريكا المسيطرة وقد كان تعاون هذه الدول الخبيثة فى الخدعة هو السبب المباشر والوحيد لسفك دماء الفدائيين والاسرائيليين الرهائن على السواء ؟

بل لماذا يتعالى صياحهم واحتجاجهم وتقوم قائمتهم وقد قتل أحد عشر اسرائيليا من المجرمين المدربين « رياضيا » على الاجرام ثم يقتل عشرات ومئات الاطفال والنساء والشيوخ الابرياء العرب فى غارات انتقامية اسرائيلية وحشية على جنوب لبنان وفى أعماق سوريا كرد وردع اسرائيلى باغ متكرر جرى فى اعقاب حادث ميونيخ مباشرة فلا يحرك ساكنا هؤلاء « الانسانيون » فى شتى انحاء العالم الغربى ، بل لعلهم باتوا بذلك قريرى العين ناعمى البال سعداء الخاطر ؟

الأن دم بنى اسرائيل هو الدم الغالى الازرق ودم العرب لا قيمة له ولا وزن ولا حرمة ؟

أم لأن اسرائيل اشترت العالم بنفوذها المالى الرهيب ؟

أم لأن الحضارة الغربية ـ ابنة العنصرية والتعصب ـ تمقت ـ بالفطرة الشيطانية ـ العرب وأمة العرب ومسيرة العرب ؟!

ولماذا أولا وقبل كل شيء طال صمت العالم على عدوان اسرائيل وتوسعها وعلى أبشع عملية اعتداء واغتصاب وحشية فى التاريخ ابتداء من سنة ٤٨ مرورا بالعدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ وانتهاء بعدوان اسرائيل واكتساحاتها الاجرامية التى عكرت صفو السلام وميثاق الامم المتحدة ـ ولا خلاف ولا جدال ـ فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ؟

وماذا يمكن أن يفعل العرب التعساء الا أن ينفجروا غيظا واعمالا فدائية أبى الرأى العام المنحاز لاسرائيل الا أن يعتبرها ـ وهذه لا تلك ـ تعكيرا لصفو السلام واعمالا عدوانية غير مشروعة .

تلك اذن قسمة ضيزى !

ولكنه هو هو المناخ الخانق غير المفهوم الذى يلف قضيتنا .
ويظل السؤال « لماذا لا يفهموننا ولماذا لا نفهمهم » قائما بغير رد أو بالف رد ورد !

وما لم نثبت لهم اننا على مستوى الموقف واننا فى النهـــاية قادرون على أن تكون لنا ارادة حية قوية مسموعة .. فلسوف يظلون لا يفهموننا .

وهذا هو منطق العصر رضينا عنه أم لم نرض .

* * *

ولنتنفس بعيدا عن هذا الجو الخانق .

لنعش مع المقاومة

ما علينا من أن المؤتمر هو للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، فهم نوعية خاصة . ليسوا تجار كلام . ليسوا ابراجا عاجيـــة مكتبية ، ولا فلاسفة دردشات مقاه ! انهم يحملون المدفع اساسا وبين كل معركة واخرى وفى فترات الاستراحة يحملون القـــلم ليترجموا عن المعركة وروح المعركة واناشيد وتنظيم المعركة . قد يكون بينهم شعراء كثيرون (تقدم للمشاركة فى مهرجان الشعــر بالليلة الختامية اكثر من خمسين شاعرا ! ولهذا الغى اكتفـــاء بالمشاعر المتأججة التى فى النفوس والتى فى الجو العام !) ولكنهم لا يقولون ما لا يفعلون . ان بينهم سجلا حافلا ناضرا من الشهداء شعراء وأدباء وفنانين وكتابا كان آخرهم الشهيد المبرور العظيم غسان كنفانى .

واشهد ان المقاومة الفلسطينية هى أصفى وأزكى وأسمى ما انجبته آلام مخاض السنوات الاخيرة فى العالم العربى .

بل اننى لازعم ان هذا التنظيم الفدائى الذى يحمل كلّ سمات وصفات الثورة الحقيقية لو كان قد تقدم ربع قرن وبصـــــورته المنظمة المتفانية الخالصة الحالية لما ضاعت فلسطين ولما وقعـــت النكبة فالنكسة .

ولكن الحديث عن الماضى لا طائل وراءه ، وأمامنا الحـــاضر والمستقبل العريض المحفوف بالصعاب والذى عرف الطريق الصحيح

والتى تجيء المقاومة والثورة الفلسطينية بين مقدمة الآمال المعقودة عليه .

ولست أزعم أن كل شيء على ما يرام داخل المقاومة الفلسطينية او فى مسالك منظمة التحرير . على العكس فان الثورة الفلسطينية تجتاز أشق مراحلها وتتعرض لمحاولات الضرب والتصفية المستمرة وبالتحديد منذ أيلول الاسود فى سنة ١٩٧٠ . يكفى ان نعلم كيف نكل بهؤلاء الثوار فى الاردن حتى تجاوز عدد القتلى والجرحى عشرين الفا من خيرة ابناء هذه الأمة التى يساوى ظفر الواحد من ثوارها الصادقين قصور وجاه أعدائهم !

ولن ينسى التاريخ أبدا كيف أن بعض هؤلاء الفدائيين الابطال هربوا من نير الضفة الشرقية الى الضفة الغربية حيث قوات الاحتلال الاسرائيلية ، بمعنى أنهم فضلوا سجون اسرائيل الجهنمية على « جنة » محل اقامتهم !

هذه واحدة وما أفدحها ..

والثانية ان ثمة خلافات مؤسفة كانت وما تزال بين منظمات المقاومة بل داخل التنظيم الواحد .

ولعل جلسات وردهات المؤتمر الاول لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين شهدت طرفا من هذه الخلافات . وربما وصلت الى قمتها - وكالعادة - مع اجراءات انتخابات الامانة العامة للاتحاد ، فلم يكن من الميسور الاتفاق على انتخاب خمسة عشر عضوا من بين الثلاثمائة والخمسين الحاضرين الذين يمثلون الجمعية العمومية . وارتفعت الاصوات اكثر مما أدلى بالاصوات وتبودلت الاتهامات أشد مما تبودلت الخطب والترحيبات ! وتوالت الاستقالات والانسحابات والطعون فى سلامة الانتخابات .

وكان مما يثير علامات الاستفهام والتعجب أن أعلى الأصوات ارتفاعا باتهام الانتخابات بالتزوير هم ممثلو المنظمة التى

اجتهـدت القيـادة السـياسية واسـتقتلت لادخال اثنـين من مرشـحيها بـين الخمسـة عشر المنتخبـين وذلك « بالضـغط واصدار الاوامر » لنفر من الفائزين بالاستقالة كحل سياسى ـ أعجبنى وأيدته على أى حال وان كانت هـذه القضية الصغيرة لا تساوى ـ لادخال ممثلين للمنظمة الغاضبة المذكورة جاء ترتيبهم مع فرز الأصوات متأخرا قليلا عن الخمسة عشر الأوائل ! وكأن عدم الرضا « عدوى » من القضية الـكبرى الاصيلة القائمة بين العرب واسرائيل نقلها هؤلاء ومؤداها : يرضى القتيل وليس يرضى القاتل !

على أننى ما أكاد اجلس الى نفر من هؤلاء الشباب ـ ولا يهمنى الى أية منظمة فدائية ينتسبون بل لا أذكر اسماءهم الحركيـــة وغير الحركية بالتحديد ـ حتى أنسى كل هذه الخلافات المحتدة وأحتملها واغتفرها .. فالهدف النضالى واحد ومشترك ، والمصير واحد ومشترك ، والوسائل بصورة أو بأخرى واحدة ومشتركة .. والشعور « اليسارى » نحو قضية فلسطين ومستقبل العرب واحد وأسميه يساريا لان القاسم المشترك الذى يجمعه هو الوقوف بصلابة ضد أية رجعية عربية وكذلك الادراك الكامل لدور أمريكا والغرب والامبريالية العالمية ..

شباب وجدت فيهم كل ما تمنيته من التدفق ورجاحة العقل وعدم الالتواء مستعدون للبذل وللتضحيـــات فى كل دقيقـة يسترخصون كل شىء فى سبيل النصر فهم لن يخسروا اكثر مما خسروا ..

وهم نموذج فعال متحرك لمواجهة تحدى اسرائيل ولاثبات أن الشعب العربى حى لم يمت ولن يموت .. فاليوم مقاومة وغدا ما بعد المقاومة .. وهذه المقاومة هى أشد ما يزعج اسرائيل التى

تزعم أننا انتهينا لتصدق ذلك ويصدقها العالم .. وعسى أن نصدق نحن كذلك فلا نجد مفرا من التسليم .

غير أنهم مطالبون بتعميق المودة فيما بينهم ، وبحسم مخاطر الخلافات - واحتوائها على الاقل - حفاظا على الثورة الفلسطينية والثورة العربية .

وهم مطالبون بادئ ذى بدء بالضرب داخل اسرائيل نفسها والأرض المحتلة أكثر من ضرب مصالح واتباع اسرائيل فى أوربا وغيرها ، فان الضربات الداخلية أشد ما يزعجها ويجعلها تعيد النظر فى غرورها وتسلطها . ولقد جرى حديث طويل فى هذا الخصوص بين « أبو عمار » وبينى لست فى حل من الاشارة اليه . ولكننى مع اقرارى لمصاعب المهمة آمل خيرا .

ولقد حملت معى الى بيروت أصول ديوان شعرى الجديد « خماسيات عربية أوروبية » الذى عدت به الى الشعر بعد غياب طويل ، والذى عبرت فيه عن مشاعرى العربية ازاء القضية العربية التى ليس قبلها ولا بعدها شيء وهى : نكون أو لا نكون .

وكنت قد اتفقت على نشره من بيروت . وقد استكمل كل شيء .. قصائده وعناوينه ورسومه ومقدمته ولم يبق لأسلمه الى الناشر الا الأهداء ...

ولم أتردد بعد هذه اللقاءات المليئة بالحيوية مع الجيل العربى الثائر الجديد . وأمسكت بالقلم وخططت الاهداء .

« الى يوم يحسبه أعداؤنا عصيا بل متعذرا مستحيلا ، لانهم يريدونه كذلك . ولكنه - ياوطنى الحبيب المعذب المأمول - ليس أسطورة مستحيلة ، الا اذا أردناه نحن كذلك . ان هذا اليوم هو منثور فينا مفتت بيننا ، فلو تنبهنا وتماسكنا وتحركنا لتجمع وأقبل وأسفر . الى يوم النصر الكبير الشامل الذى أتوق الى رؤيته

يعينى حتى ولو انتزعه من ضمير الغيب .. فاذا لم يقدر لى أن أعيش حتى أراه ، فليشهده وليحققه ابنى محمد وابنتاى ناجيـة وآمال واجيالهم المصرية والعربية . وقبل أن تقوم الساعة يارب . »

نعم ! قبل أن تقوم الساعة يارب .. فما ندرى متى تقـوم الساعة ، فقد تكون قريبة .. والامة العربية تخجل أن تلقى وجه ربها ـ يوم يرث الله الارض ومن عليهـــا ـ وهى على مـا هى عليــه !

ولم أتردد ايضا فى ان أخصص « ايرادَ » الديوان للمقاومة محبة واعزازا .

٧٢/٩/١٤

هذان الراحلان العزيزان

ذكريات هي عندي من أعذب وأغنى الذكريات .. وهي بالتأكيد من علامات الطريق في حياتي ، وان كنت عادة لا افصل بين حياتي وحياة بلادي ما دمت اتعلق بحبها واذوب في ترابها . ولقد حاولت أن اركز واكثف طرائف حول هذه الذكريات وان اضعها في « باقة ورد » حنونة مهداة ليوم اول سبتمبر « المناسبة الاولى » الذى مر عليه - بعد سنة ١٩٤٢ - ثلاثون عاما ، وليوم ١٧سبتمبر (المناسبة الثانية) الذى مر عليه بعد سنة ١٩٥٢ عشرون عاما . واني لأتصورها ورودا وزهورا « خفيفة » - وربما ذات ثقل .. معا - « ترفه » عن القارىء وتجذبه وتفتح له مجال التأمل في نفس الوقت .

وتداعت ذكريات المناسبة الأولى من وحي حفل اجتمعت له « فلول » « دفعتي » بالكلية الحربية في نادي القوات المسلحة في شهر سبتمبر ١٩٧٢ احتفاء بمرور ثلاثين عاما على تخرجنا .. وما أسرع مرور الأيام !

ولك ان تتخيل ما يمكن ان « التقطه » من صور عن مفارقات وقفشات ونوادر وملاحم الكلية الحربية خلال سنتين ، ثم ذكريات امثالها عبر اثنتى عشرة سنة في الجيش .. وقفة هنا ووقفة هناك .. بسمات في عنابر الكلية الحربية ، واخرى في اجمل واجف بقعة توليت فيها الدفاع الجوى سنتي ٤٣ و ٤٤

فى « الشط » (تحتلها اسرائيل الآن فى سيناء ، وآه ..) ، وحكايات شبتى . ومتابعات لنماذج عديدة لامعة ومغمورة من دفعتى وما فعلت بنا السنون الثلاثون .

والمناسبة الثانية التى تتم يوم ٧٢/٩/١٦ عشرين سنة ، لها حفل خاص جدا قد لا يذكره ولايحتفى به أحد غيرى ، وان كان ـ فى الحق ـ علامة ليست بالهينة فى تاريخ بلادنا وثورتنا وصحافتنا ، واعنى بها صدور العدد الأول من « مجلة التحرير » .. اول صحف الثورة ومجلاتها التى صدرت بعد اقل من شهرين اثر قيام ثورة ٢٣ يوليو وبالتحديد فى ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، وكان لى حظ المشاركة فى تأسيسها وتحريرها ، وفى ظلها اكملت دراستى الجامعية « بالحقوق » ، وهويت ثم مارست الصحافة .

وللعدد الأول منها بالتخصيص ذكريات من أعز واسخى الذكريات .. ويكفى انه ـ وما تلاه ـ بلور تجربة شباب متحمس وصقلها ، ولقى استجابة شعبية ثورية متحمسة وواسعة الانتشار ، وترجم عن احلام اشتراكية مبكرة جدا قبل القوانين الاشتراكية بحوالى تسع سنين .

غير أن باقتى الورد والزهور الحنونتين لهاتين المناسبتين الموحيتين الناضرتين الجليلتين توارتا لتفسحا المجال لدمعتين وباقتى ورد حزينتين (كورونتين بشريط بنفسجى ملتاع) .

ففى أسبوع واحد من سبتمبر ١٩٧٢ فقدت مؤسسة دار التحرير اثنين من قدامى العاملين بها ومن روادها الاحباء الأوائل .. وشيعت جنازة أولهما ـ وهو المرحوم انطون زهران ـ فى الثالث من سبتمبر ، وشيعت جنازة ثانيهما ـ وهو المرحوم طلعت شعت ـ فى السادس من سبتمبر .

واذا كان ثمة مثل شعبى يقول « الحى أبقى من الميت » ، ففى هذا المجال يكون العكس أصح : الراحلون أولى من الباقين .

ولقد تجتمع فى وقت واحد أفراح واحزان .. فهكذا الدنيا بين وقت وآخر . فاذا اجتمعت هذه وتلك فالأحزان غالبة .. عندى على الأقل ، ولست أحب دائما الا أن أكون على سجيتى .»

ولا أخالنى هنا قادرا على رثاء الزميلين العزيزين وبكائهما على ما لهما فى قلبى وقلوب أسرة « التحرير » وكل من عرفوهما من مكانة عالية .

فقط احاول ان اعبر بكلمة وفاء اذا استطعت .. فقط اتحدث عنهما .

هل تأذنون ؟

ومن الغريب - أو ربما ليس غريبا - انهما لقيا معا وفى نفس السن تقريبا (ما بعد الخمسين بقليل ، تلك السن الخطرة) نوعية النهاية نفسها وطريقتها : الذبحة التى هى الضربة القاضية وكانت « الهجمة الثانية » بعد انذار سابق منذ سنوات لأولهما وشهور لثانيهما . ولعلها نهاية غير غريبة ، فانها مرض العصر ونهايته .

ولا تفسير ولا تعليل .. وأخشى أن أقول أيضا ، ولا يمنع حذر أو رقابة .

لا الانكباب على العمل والجهد فيه بقاتل . نعم ، لقد كانا معا نموذجا مثاليا للاخلاص والتفانى ، ولكن هناك أمثلة عديدة تؤكد ان آخرين ليسوا أقل انكبابا عاشوا الى ما بعد التسعين ، وآخرين تخففوا وماتوا فى شرخ الشباب .

ولا الطبيعة الناعمة - وعدم الانفعال - مانعة ، بينما الطبيعة المحتدمة وحدها هى المهلكة .»

فانطون رحمه الله - على عكس طلعت رحمه الله - كان يعمل فى هدوء وبغير احتداد .. غير انهما « ذبحا » بنفس الطريقة .»

ولقد عرفت انطون زهران منذ اليوم الأول الذى أعددنا فيه لاصدار جريدة المســاء ، اى فى اكتوبر ســنة ١٩٥٦ .. كان له ـ على شبابه الناضج فى ذلك الحين ـ تاريخ طويل عريض بين مطابع « اروتاتيف » تلك التى تطبع الصحف اليومية بطريقة سريعة عملية وافرة الانتاج تناسب ملاحقة آخر الأخبار وملاحقة عشرات ومئات الآلاف من القراء على السواء فى مواعيد الصدور اليومية . عمــل بكافة الصحف تقريبا : فى الزمان والجورنال ديجيبت والاهرام والأساس والبلاغ الخ .. وعلم نفسه بنفســه وبفطنته وبطموحه واكتسب ـ سريعا ـ خبرة واسعة اهلتــه لمناصب قيادية فى هذا الفن .. فن الجنود المجهولين . وعندما كنا نطلق عليــه لقب المهنــدس أو الباشــمهندس ونعلم انه لم يحصل على شهادة أو بكالوريوس الهندسة كنا لا نتجنى عــلى الشهادات او الحقيقة ولا نجنح الى المبالغة . لقد كان مهندسا بالفعل ، وفى دماثة خلق ووداعة ملائكية وفى تبسيط للمصاعب والمشكلات لا تفيد « الكروتة » وانما تعنى وتثبت انه قادر على ايجاد الحلول بعلمه المكتسب وبدرايته .

« عشرة » لا يهون على المرء انقطاعها وانما يشق عليــه .. طويلة لم تنقطع حتى فى تلك الفتــرات التى تباعدنا فيهــا ولم نعمل معا .. لانه كان مثلا للوفاء فى زمن قد يكون الوفاء عز فيه .. رحمة الله عليه . والعزاء فيه ان ابناءه واخوانه ســوف يذكرونه دائما ويترحــمون عليه مع كل دورة ماكينـــة ما بقيت تدور ، ولسوف تدور .. فهكذا سنة الحياة ..

***

اما فجيعتى فى رفيق الدراسة الثانوية والحياة العسكرية والزمالة الصحفية فلست ادرى والله ماذا اقول فيها .

اتساءل ـ واتحسر ـ فقط كيف يبدو لى وجه الاسكندرية ـ مدينتى الاثيرة ـ دون ان اطالع وجه طلعت شمعت ؟

لقد انتهى بى الامر الى أنه كان يمثــل لى الاسكنـــدرية ، كانما كنت لا اذهب اليها إلا لاراه واجلس اليه واداعبه وتطول سهراتنا واحاديثنا حتى آخر الليل .

وتزداد حسرتى اننى لم استطع وداعه والسير فى جنــازته ، بل تلقى العزاء فيه .

كنت قد ذهبت لعيــادته اثر اصــابته بنوبة الذبحة الخطيرة الاخيرة فى أواخر أغسطس ١٩٧٢ .. وكان يقيم فى القسم الخاص الحــديث الاجهــزة الــدقيق العنــــاية فى المستشفى الاميرى بالاسكندرية وكلية الطب فيها ، والذى أطلق عليه « قسم ابحاث عبد الناصر » ، وقد افتتح فى نفس الشهر ، ولعل طلعت كان أول مرضاه .

الزيارة ممنوعة . كنت اذهب لاطمئن من بعيــد واتابع مع زوجته الكريمة الحالة وسير العلاج .

وفى آخر زيارة لى فى ٢٩ اغسطس ١٩٧٢ ، وكان كما قيل قد بدأ يجتاز مرحلة الخطورة ، سمع صوتى فصمم على مقابلتى . ودخلت اليــه اغالب دمــوعى واتحــامل على نفسى . وحاول الاستطراد فى « الحكى » معى فأوقفته . قلت له : تسمعنى فقط . ومن الآن فصاعدا يجب أن تسمع كلامى ســــواء فى المسائل الصحية (وكان قد ضرب صفحا عن التزام العــلاج فى الاصابة الاولى) أو المسائل الروحية .

وفارقته سريعا ـ أو لعله هو الذى فارقنا سريعا ـ على وعد للسيدة زوجته أن احضر له ادوية هامة من بيروت تعــذر الحصول عليها ـ مستوردة ـ فى مصر .

وعدت فى اليوم التالى الى القاهرة ثم سافرت الى بيروت مساء يوم ٥ سبتمبر ١٩٧٢ .

ولم اقرأ الصحف المصرية ـ بتدقيق ـ فى بيروت ..

وعندما عدت الى القاهرة يوم ١١ سبتمبر بادرت الزميل عبد الحميد حمروش العضو المنتدب لدار التحرير بدعوته للسفر الى الاسكندرية فى أجازته فى اليوم التالى وأكدت عليه الا ينسى تسلم الأدوية التى أحضرتها لطلعت من بيروت ليسلمها اليه .

ونظر الى عبد الحميد والدموع فى عينيه ولخص الموقف وطير لى النبأ الفاجع فى كلمتين : لا داعى . هكذا ..

وتحولت فرحة العودة فجأة الى التياع .. « اندهيت » .

وفى ثانية ، كان شريط طويل من الذكريات عمره أكثر من خمس وثلاثين سنة يمر فى خاطرى اسرع مما يفعل رجال الفضاء ، ووجدت نفسى فى الفضاء فعلا حاضرا وغائبا .

ومع ذلك فلم تكن طبيعتنا واحدة ولاطرائق تفكيرنا . وليس بالضرورة أن نصطفى صديقا وتكون لكما نفس المشارب بغير اختلاف وكانكما صورة متماثلة . بل ربما العكس هو الاغلب والأصح .

وفى السنة الاخيرة الحت عليه نزعة تصوف ملحوظة . ولم ارض عنها كل الرضا . وان كنت قد عجبت لها ــ واعجبت بها ايضا من زاوية خاصة ــ اننى بذلت جهودا متصلة طوال سنوات ادعوه الى الصلاة فيعدنى ثم يعدنى ، واخيرا تجىء تلك « الطريقة » فينشرح لها صدره ويحرص على الصلاة .

بل انه راح يدعونى للايمان بطريقته ويحثنى لاشهد معه « صلاة جمعة » يجتمع لها أهل تلك الطريقة ، واستجبت له .

وصراحة لم يعجبنى الحال ، لا تحيزا للمذهب « السنى » الذى أؤمن به فلست فى النهاية متنطعا ولا مغلق التفكير ، وانما لان « الحال » بالفعل لم يكن ليسر كثيرا بكل المقاييس السنية وغير السنية . طقوس وتفسيرات وكرامات يكثر الحديث عنها الخ .. ما انزل الله بها من سلطان .

ومضيت اناقشه طويلا . ولم يبد عليه الاقتناع يقنعني بشيء بطبيعة الحال .

ولكنني أشهد أن روحه اكتسبت شفافية غير عادية ، وانسب ذلك الى اصالته وفطرته السليمة وليس للطريقة المذكورة . وزهد في الدنيا .. بل تمنى الموت . وكل انسان تمر عليه لحظات يبرم فيها بالحياة ويضيق بما تحفل به من « معكننات » ومن بعض نفوس شريرة خبيثة هنا وهناك ، ولكنها تكون عادة تمنيات الذي يرغب في البعد والفرار ايا كانت النتائج .

غير ان معنى « تمنى الموت » لدى طلعت شعث كان ذا طبيعة خاصة وخالصة .

كان يتمنى ان يلقى الله .. حبا في الله ...

وادعو الله ان يكون هذا التمني الصادق هو جواز مرور طلعت شعت الى الجنات ، وأن يتقبله الله في عباده الخالصين ويرحمه رحمة واسعة .

٧٢/٩/١٦

تعالَوْا إلى كلمة سواء

ليس من عادتي أن أشفق أو أمسك عندما تبدو الكلمات ـ والرأى ـ ضرورة .. وربما رسالة !

غير أننى ـ وللحق ـ احس هنا بالاشفاق من التعبير بالكلمة ، وأكاد أمسك عنها .

ولا يعود الاشفاق او بوازع الامساك الى اننى أتساءل فيما اذا كان ما اعرض له اشبه بالسير فوق حقول الغام قد تنفجر من تحت اقدامى . وليس لفرط « شجاعة » او لوفرة « فدائية » ـ ولا ادعيهما ـ أن أعتبر « انفجار الالغام » من تحتى أمرا لا يهم ما دمت أؤدى رسالة ، حتى ولو كان قصارى جهدها ان تقول « اللهم قد بلغت » ! فتلك هى ضريبة ـ بل طبيعة ـ المهنة فى أصولها الصحيحة والمتجردة . هذا فضلا عن أن الألغام « هنا » ربما كانت وهمية ومبالغا فيها !

وانما يجىء الاشفاق من تساؤل آخر هو : هل طرح مثل هذه القضية ومواجهتها علنا مما يفيد ويحسم ، أم انه يضر ويزيد « البلبلة » ؟

والقضية التى أتناولها هنا ليس لها الا عنوان واحد هو «البلبلة» فليس سرا انه بين « اوساط » هنا وهناك قد دار نقاش فحواه

هو : هل معاودة « الاتصال » بالاتحاد السوفيتى لدعم معركتنا « اجراء » سليم ام غير سليم ؟! وهل « الوعود » الجديدة من جانب موسكو سوف تنفذ ام لا ؟

وعودة الى سؤال « الاشفاق » من « البلبلة » وهو المدخل على الموضوع ، وان يكن قد طال مدخلا ، اقول ان اخشى ماخشيته أن تكون مشاركتى فى هذا النقاش المثار نوعا من «تسجيل» البلبلة والمشاركة فيها ، دون أن أملك القدرة على «الاتيان» بالقول الفصل الذى يحسم المسائل ، لان احدا لا يملك هذه القدرة السحرية الفاصلة !

غير اننى ـ من جانب آخر ـ ارى ان «السكوت» عن «محاولة» الاقناع بوجهة النظر المناسبة والعادلة والموضوعية ـ فيما اظن ـ موقف غير حميد .

ومن هنا « استخير الله » واكتب واشارك من موقع الاعزاز والولاء والبنوة لمصر .. ولمصر وحدها !

منتهى أملى ، ونحن نتحدث عن «الوحدة الوطنية» ، بل نحن فى اشد الاحتياج اليها فى كل آن ومكان ، ان نفكر بالعقل ، وأن نضع « الأولويات » فى ترتيبها الصحيح ، وأن نتجرد من كل هوى . عندئذ لا تلتبس علينا الامور ، ويصبح الحق حقا لذاته ويغدو « الأبيض » بريئا وناصعا وكاشفا فلا اختلاف عليه ، مع تسليمى بأنه مطلب غير هين !

وما أحسبنى سأجىء بشىء جديد .

مجرد استقراء لأحداث السنوات الماضية .

تجميع مكثف لاتجاه أكده الرئيس انور السادات كثيرا ، والمنطق ابداه غيرى وأبديته عشرات المرات .

والقضية قضيتنا نحن ، وليس احد سوانا .

القضية ببساطة ليست « روس او لا روس » وانما هي « تحارب او لا نحارب » ؟ نداقع عن كرامتنا أم نمضي في الهزيمة حتى آخر الشوط .. اى الاستسلام ؟ وفي كلمتين أكثرنا استخدامهما ــ والمطلوب ان نستشعرهما بكل الهاماتهما ــ «نكون أو لا نكون» ؟! وكيف ؟

نعم ، تعالوا الى كلمة سواء : نكون أو لا نكون ؟ فلا وسط .

اما المرحلة التي « عشناها » طويلا ومنذ هزيمة يونيو ٦٧ ، فهي مرحلة انتقال بين أن نكون أو لا نكون . وهي مرحلة حافلة بالايجابيات وحافلة بالسلبيات كذلك .

وما هي حكاية الروس بالضبط وبالدقة لدى الذين يصيبهم ذكر الروس بالحساسية بل العصبية بل التشنج أحيانا ؟!

انهم يكرهون «الشيوعية» التي يمثلها الاتحاد السوفيتي كراهية التحريم . ولا بأس من أن نكره « الشيوعية » ، بل انني اعتقد تماما أن مصر ــ والملايين من ابنائها .. وأنا واحد من الملايين ــ ابعد من أن تصبح شيوعية في يوم من الأيام . ولكن ما شأن هذا بمعركتنا ومصالحنا ؟ ولماذا ــ بمركب نقص غريب ــ نتصور أن النضال المشترك الذي يجمعنا بالاتحاد السوفيتي ضد الاستعمار يمكن أن يقودنا الى الشيوعية ؟ الم تتحالف امريكا وبريطانيا والغرب كله مع الاتحاد السوفييتي في مقاومة الغزو الهتلري ، وبانكساره وهزيمته بقي كل على مبادئه . وربما استفاد كل من التعرف والانفتاح على الآخر ، ولكن «الجوهر» لم يمس .

وهم في صدد العلاقة مع الاتحاد السوفيتي يلحون ويحذرون من الاعتداء على « الدين » حتى ولو كان بعض هؤلاء لا يعرفون منه الا قشوره ، وربما لايؤدون فريضة واحدة ! ومرة اخرى تشم هنا رائحة غير طيبة مقصودا بها الاثارة . واقول ــ وأجرى على الله ــ لعلها قد تثار وليس وجه الله الكريم هو المقصود بها . والا فمتى

لمحنا من الاتحاد السوفيتي مجرد شـــبهة استخفاف بالدين في بلادنا ، بله الدعوة للتخلى عنه .

والنظرية « المادية الجدلية » قـد تطفح بهـا كتبهم ونشراتهم ولكنها لا تجد عندنا اذنا مصغية .

ومع هذا ففي ميدان العلاقات الدولية ليس يهم ان يكون هذا ابيض أو اسود أو احمر ، متـدينا او غير متـدين ، لنبحث عن اتفاق مصالحنا الخاصة معه ، وعما يمكن ان نفيد منه في مرحـلة من المراحل ، والا لأصبح الأمر من قبيل العبث والنزوات والتقوقع السخيف بل ايذاء النفس ! حتى « ديننا » نفسه لا يقول بهذا ، والامثلة التاريخية وفيرة في الدعوة المحمدية الشريفة وفي صدر الاسلام .

وهم يتصورون ان اى دعم سوفيتي لمصر معنـاه احتـــلال سوفييتي لمصر ! ومع ان وصف السفير السوفييتي في القاهرة بأنه «المندوب السامي» ــ ولو على سبيل «التنكيت» ــ يبدو امرا بالغ السخف ، ويحمل هذا النعت الكاذب معنى الاعتـداء المشين على الارادة الوطنيـــة المصرية ، الا انك تجد «بعضهم» ــ كراهيـة في الروس واستعداء للمشاعر ضدهم ــ يصفونه بذلك ، وكأننـا في العشرينات والثلاثينات أيام « السلطة البريطانية » ويحسبون ذلك هينا ، وهو عند الله عظيم ! وهم يأكلون «قمح» السوفيت المحول لنا ، ويأبون الا أن يأكلوا «لحمهم» أيضا ويلعنوهم بالليل والنهار . يلمسون «الاكتفاء الذاتي» في المنتجـات الصناعيـــة المصرية التي أسهم فيها السوفيت بقدر ملحوظ ثم يتحسرون على «كماليات» لم تعد تجيئنا من أسواق الغرب لابتزازنا وابتذالنا !

ولست اقول هذا دفاعا عن السوفيت بطبيعة الحال ، وانما الذى يعنيني ــ بما أقـوله هنـــا ــ كابن من ابناء مصر ان ادافع

عن مصر .

هل « عقدة » فكرة الاحتلال السوفيتى لمصر حقيقية أم مصطنعة ؟ اغلب الظن أنها « تشد » عمدا وبسوء نية لدى فئة قليلة جدا ، ثم يرددها من خلفهم فريق آخر بخفة وبحسن نية !

ولا أجد ثمة دليلا واحدا يؤيد «أراجيف» الاحتلال السوفيتى لمصر لا فى عهد عبد الناصر ولا فى عهد السادات .

وعندما انتهت حسابات الرئيس السادات الى ما انتهت اليه فى ١٨ يوليو ١٩٧٢ اتخذ قراره من واقع الارادة المصرية بانهاء عمل الخبراء السوفيت «وبالوقفة الموضوعية مع الصديق» فكيف أذعن «المحتلون» للامر ورحلوا فى ايام ؟

وعندما اخذت « الوقفة الموضوعية » تحقق أهدافها . أو بدأت فى ذلك على أسس اكثر تفهما واقترابا لمطالبنا ، عادت أصوات تهمس أو ترتفع : الروس عائدون .. أو بالاحرى «الاحتلال الروسى» لمصر سوف يستأنف نشاطه ! اى احتلال ؟ اذا كان « مظهره » و « جوهره » عودة الخبراء فهم لن يعودوا مرة اخرى واذا كان مظهره وجوهره عودة التسلح وقطع الغبار وبذل كل الجهود لازالة آثار العدوان ، فهل هذا من قبيل الاحتلال ؟!

ان التسليح وتجهيز ضباطنا وجنودنا الذين هم ابناؤنا وأعزاؤنا وارواحنا الغالية وأمانينا المعقودة فى القوات المسلحة المصرية ، بأقصى ما نستطيع من معدات التحرير ، هو الشيء المطلوب فكيف نتوانى فى ذلك ، كيف نرد يدا تقدم لنا السلاح ؟ أم ان هذه مسألة « ثانوية » لدى الذين لا يرضون عن « تحسن » العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ؟ أم تراهم يريدون من الروس أن يحاربوا لنا معركتنا لتأكيد صداقتهم لنا وحسن نواياهم ؟

وبطبيعة الحال هم يسارعون ويتصايحون ويرددون معنا « المعركة معركتنا .. ولا نريد من احد أن يحارب عنا » ، ثم

يرفعون معنا شعارات «الاعتماد على النفس» ولكنهم قد يقصدونها « هلامية » و « مائعة » و لايكلفون خاطرهم بأن يدركوا انه حتى « الاعتماد على النفس » محتاج الى تجييش وتسليح ، وان الاتحاد السوفيتى قد أثبت فى الماضى ـ وسوف يثبت فى المستقبل ـ انه المصدر الاقدر والاخلص فى تحقيق ذلك . فاذا ضيقت عليهم الخناق راحوا يطعنون فى «نوعيـــة» الســــلاح الروسى بينما الاحصاءات ـ حتى الامريكية منها ـ تدلل على تفوقه . المهم كيف نحسن استخدامه غير ان أسطورة «الاحتلال الروسى» تحتل رءوسهم وباصرار غير مفهوم .

لقد كتبت حول «ملف» العلاقات المصرية السوفيتية كلمات مماثلة تدور فى مدار النقاط الثلاث الماضية .

قلت : ان فكرة « الدين » ليســت مطروحة بالدرجة الأولى ولا بأى درجة سياسية واجتماعية فى مجالات الصداقة مع الاتحاد السوفيتى . وبروح مصرية مؤمنة ومتدينة أقول انها بالفعــل لا ينبغى ان تثير مناقشات واسعة أو شـبه واسـعة تشـغل و « تشوشر » .

اننا مسلمون مؤمنون ولسوف نظـل كذلك . ونحن ايضـا ـ بالفطرة وبالمصلحة الحقيقية لجماهيرنا ـ اشتراكيون . حاولنا التطبيق الاشتراكى وصادفتنا سلبيات ومعوقات ، ولكن يتعين ان نستمر ونستمر ، فلا خيار ، ولا مفر ، وللخير . ونحن ـ انتماء لمصر وللعرب وولاء ـ لنا اتجاهنـــا الوطنى المتحرر ، وسنظل ابدا مستقلين غير تابعين .

وعلاقة مصر بالاتحاد السوفيتى فريدة فى نوعها بما شهدته تلك العلاقة فى تمويلنا ومساعدتنا فى التصنيع وبناء السد العــــالى والتسليح والمساندة السياسية والاقتصــــادية والعســكرية على مختلف المراحل والمستويات قبل النكسة وبعدها .»

أقول دون جنوح الى المبالغة او التزيد ان هذه العـلاقة هى خير علاقة قامت بيننا وبين أى دولة خارجيـــة كبرى على مـر العصور .. على الأقل خلال أكثر من مائة عام . انها ـ طبعا ـ ليست « عشرة على عشرة » ، فلا شىء فى العلاقات بين الدول يحصل على النمرة النهائية ولكننا بأمانة وصدق لم نشهد أطيب منها على الاطلاق . والا فلنسأل أنفسنا : مع من قامت لنا علاقات أفضل ؟! مع تركيا التى احتلتنا وأذاقتنا بأسها وصلفها واستغلالها وتخلفها أيضا ؟! مع فرنسا التى طمعت فينا واستطعنا سريعا تنحيتها عن مصر ؟ مع بريطانيا .. والتاريخ المصرى ممـــرور بالاحتـــلال والاستغلال والتلويع البريطانى ، وبقتال متجدد وثورات متواليـة لطرد الانجليز ؟ مع أمريكا ؟ اظن اننا برغم كل ما فعلنا تحببا واملا فى امريـكا الى حد التزلف فى عهـود مختلفة ، فان دولة ما لـم تناصبنا العداء كما ناصبتنا أمريكا ! ونحن لا نستطيع أن نعيش فى معزل عن العالم ، ولا نرغب فى معاداة أحد . ولكننا لا نجد من بين دول العالم الكبرى غير الاتحاد السوفييتى الذى يقف الى جوارنا تضامنا وصلابة وتأييدا ومساعدة .

نحن لسنا دولة تابعة لأحد ، ولن نكون بمشيئة الله ابدا .. هكذا تاريخنا كله برغم تعدد المعوقات ، وتواليها . هكذا طبيعتنا وارادتنا . هكذا اعان عبد الناصر . هكذا اصر أنور الســادات . غير أننا ـ مرة أخرى ـ محتاجون الى مساندة والى صديق كبير ، وكان الاتحاد السوفييتى .

ومن عجب اننى سمعت تعليقـا من « البعض » على هــذه العبارات الواضحة يقول : انك بما عرضت له من الاحتلال التركى والفرنسى والبريطانى لمصر قد « لففت » معنى الاحتلال الروسى لمصر ببراعة شديدة !

على اننى أبدا لا يخالجنى شك فى صدق الانتماء المصرى لدى الغالبية العظمى من هؤلاء المتوترين العصبيين . انهـــم وطنيون

عاشقون لتراب مصر غيورون على هذا البلد العريق . وفى هذا نتفق تماما .

وهم ليسوا محتـاجين لشهـــادتى على أى حال ، ولست استهدف بهذا الاستطراد الخالص أن « أكسبهم » بكلمة عارضة ، ولكننى اعنى ماأقول . وان كان « كسب » هؤلاء الى وجهة النظر التى ابدىء فيها وأعيد هو الهدف الأصيل فى دعوتى : أن تعالوا الى كلمة سواء .. حبا لمصر .

غير ان العواطف «الجامحة» تحتاج الى «وقفة موضـوعية مع النفس» ، وبكل الصفاء والحب للنفس ولمصر واهبة النفس ، وبكل الادراك لابعاد محنتنا ولما يتهددنا من مخاطـر ، وبكل التفكير فى الأسلوب الجاد المخطط للخلاص والتحرير .. وليس الأسـلوب العشوائى او على طريقة « ما يحصل يحصل » .

ان عبء التحرير ثقيل جد ثقيل ، ولكن لا مفر من أن نتحمله ونحمل مسئولياتنا .

ان الحرص على قيادة الرئيس انور السـادات ، اذ يتـأكد فى هذه المرحلة الدقيقة جدا من تاريخ امتنا ، فهو حرص على مصرنا وحفاظ عليها وحب لها وأمل فيها . وهذا الاحساس عند الملايين تشترك فيه العاطفة والعقل وسلامة التقدير .

والرئيس السـادات لم يفرط ولن يفرط ابدا فى حق من حقوق هذا البلد وهذا الشعب ، وهذه من أشد واشهر خصائصـــه الوطنية .

والرئيس السادات مؤمن بحتمية المعركة ايمانا بشرفها وادراكا لكون اسرائيل لايجدى معها الا ان تذوق بأسنا .

قد تكون «التركة المثقلة» و «الظروف» اضطرته الى تأجيـل موعد البدء .

قد يكون الحرص البالغ على حياة كل فرد من جيشنا وشعبنا .. فعندما تراق الدماء فينبغى الا تذهب سدى وبلا ثمن فادح يدفعه العدو ، وبغير نصر مرتقب نتطلع الى تحقيقه . قد تكون العلاقة مع الاتحاد السوفييتى وما شابها فى مرحلة من المراحل .

ولهذا كانت «الوقفة الموضوعية مع الصديق» مفيدة على أى الحالات .

والذين يحبون مصر ، ومصر وحدها ، كانوا يتمنون أن تسفر تلك الوقفة عن وضوح للرؤية وفهم وتقدير لموقفنا وطلباتنا ، أن يعود السوفييت الى استئناف تزويدنا بمزيد من الاسلحة والدعم والتأييد ، فنحن الرابحون بالدرجة الاولى .

والذين خفيت عنهم دقة الموقف وجديته ومصاعب المعقبات كانوا يستخفون بالعلاقة المصرية ـ السوفييتية ، بل لعل « احلام » البعض ذهبت الى ابعد من ذلك .. الى نسف العلاقات وتحطيم الكبارى ، وهى احلام « مراهقة » جدا لو فرض ان تحققت ـ وهو فرض مستحيل غير مبرر ـ لكانوا هم أول من يبكى عليها ، ذلك لاننى لن أبرح أشيد بوطنيتهم الاصيلة .

ومن اجل هذه الوطنية الصميمة ، من اجل مصر ، ناشد انور السادات الذين يؤيدون والذين يعارضون ـ وقد انتهى الراى الى تأييد الصورة المتجددة للعلاقات المصرية السوفييتية ـ ناشدهم الالتزام والعمل دون حاجة الى الاخذ والرد و « البلبلة » . لمجلس الشعب وللجنة المركزية حق المساءلة والمتابعة ، ولكن فلتأخذ المرحلة الجديدة فرصتها ، وللمرة المائة حبا فى مصر التى من اجلها وحدها نحيا ونضحى ونموت .. أو هذا ما يجب بالفعل ..

اى : تعالوا الى كلمة سواء ..

ويطول بى الحديث لو رحت أدلل على أهمية الرأى الموحد وضرورة الوحدة الوطنية فى القضايا الاساسية .

وكما قلت فى البداية ، لست اضيف جديداً بل أكرر معنى مطلوبا تأكيده وادعو «الجامحين» من هنا وهناك ان يفكروا بالعقل لا بالهوى والعاطفة ، فى شأن محتاج الى كل عقلنـــا وصبرنا .. وايماننا فى المحل الاول .

ترى هل تسهم هذه الكلمة ـ على تواضعها ـ فى « تذويب الفوارق » بين بعض الآراء المتعارضة لتكون « صلاتنا » فى اتجاه « القبلة » تماما وبغير انحراف .. فى اتجاه « مصر » ؟ هل تساعد على وقف « البلبلة » التى اشهد انها آخذة فى التوقف ؟

هذا ما قصدته ، وهو منتهى املى فى هذه القضية الفرعية ، ومن اجله كتبت : « تعالوا الى كلمة سواء »

ولنفرغ الى القضية الاساسية :

التفكير فى المعركة .. وهى الحل الوحيد .

تصورها ، الاستعداد لها ، البناء لها والابتكار ، والتوعية بها .. وعشرات بل مئـات البنـود تندرج تحت هذا البنـد الكبير : المعـركة .

وهذه التفاصـــيل الجـــادة تحتمل المناقشات والمساجلات تجرى لا على الورق ولا فوق المنابر ، وانما المهم بالعرق والجهـد والفكر والقلب . وهذا مؤداه عمل ووعى بابعاد المعركة وتضحياتها مع حماية مرافقنا وزيادة انتاجنا فى الجبهة الداخلية ، ويعنى ايضا ـ وفى المقام الأول ـ تعبئة شاملة متبتلة مدربة وتامة التسليح فى جبهة القتـال .

هنا ـ اى فى مجال المعركة ـ نتحـــول الى شعب محـارب فعلا . والشعب المحارب لا تشغله «البيزنطيات» ولا «التطلعات»

ولا «التفاهات» . الشعب المحارب .. يحارب فقط .. يأكل وهو يحارب ، ويعمل وهو يحارب .. ويستمتع وهو يحـــارب .. ويحارب حتى ينتصر .. ولا بديل مهما طال الزمن .

واسمح لنفسى بأن أورد بعض عبـارات من حـديث شيق وداقىء وعظيم للرئيس السادات .

قال السادات : « ومن الدروس المستفادة عالميا ان فيتنــام يوم قامت بهجومها الكبير قبيل بدء زيارة نيكسون لموسكو التى تمد فيتنام بالسلاح ، بدأ أن نيكسون سوف يلغى رحلته للاتحـاد السوفييتى ولكنه لم يلغها ! ذلك ان العالم الآن عالم فرض القوة .. ذهب نيكسون الى الاجتمـاع ببرجنيف واضطر الى استئناف مباحثـات باريس لان شعب فيتنام يثبت ارادته فاســتجابت الاطراف المعنية » .

« ونحن الآن فى لحظة قدر : هل نحن موجـــودون أم لا ؟.. التضحيات نقبلها . تدمير المصانع والغارات على العمق نتحملها ، فاذا لم نفعل فلن يتحرك أحـــد . نحـــن لســـنا مع أمريــكا ولا مع روسيا ، بل نحن مع مصر . نحن بعد الوقفة مع الصديق نستأنف وأى شىء يجد نوضحه . سيحدث صيد فى الماء العكر ، ولكن لابد أن نكون واعين وواضحين . نبدأ مرحلتنا القادمة على بركة الله . ونحاول ان نشق كل الطرق الممكنة لمعركتنا ، لانه لا سبيل اطلاقا الا أن نثبت وجودنا » .

او ليس من واجبنا أن نفكر فى هذه المرحـلة الجليـــلة التى اشار اليها الرئيس السادات وأن نتدبرها ، وأن نراجع انفســنـا جميعا فيما صنعناه وفيما لم نصنعه ؟

٧٢/١١/٣

الاحساس بالزمن .. والسباق معه

مطلع اى عام جديد قد يقتضى التأمل والمراجعة واجراء حساب الارباح والخسائر .. ولعام ١٩٧٣ محل خاص . وللمحل دلالة !

ففى هذاالعام قطعت « دولة اسرائيل » خمسة وعشرين عاما ، اى انها تسلخ ربع قرن من الزمان ، وتحتفل بيوبيلها الفضى فى مايو ٧٣ ، وترسى الطابق الأول او « القشرة » الأولى من التاريخ .

ولست احصى الاعوام لمجرد الذكرى ، فما أكثر ما نتذكر .. وان كان نوعا من « التذكر » يجمع مزيجا من « التشنج » و « الخدر » و « النسيان » !

الحساب اذن ليس حساب عام واحد فحسب ، ولكن « قضى الأمر » وأصبح حساب ربع قرن ..

والكلام عن اسرائيل طويل لا ينتهى . وما احسب ان أقلامنا وحناجرنا ومطابعنا كفت عن تناولها عبر هذه السنوات (وما الجدوى ؟ وماذا كانت النتيجة ؟) . واذا كانت اسرائيل قد فرضها الاستعمار على المنطقة ، لم فرضت نفسها بنفسها ـ حتى انها هى التى أصبحت « تصنع » الأخبار بالأخص منذ يونيو ٦٧ ـ فلا غرابة ولا مفر من ان تكون « حديث » كل يوم .

ولطالما الح على تساؤل : لماذا لم تدرك مصر والبلاد العربية عامة فى « العشرينات » أبعاد مخاطر قيام دولة اسرائيل ، اى لماذا لم « نسبق بفكرنا » و « تصورنا » الموقف قبل قيام اسرائيل بربع قرن ، مع ان « بوادر » المخطط الصهيونى الاسرائيلى « لتهويد » فلسطين كانت قد تجمعت ؟ !

والأجابة المباشرة السريعة — وقد تبدو البديهية — هى ان مصر والبلاد العربية كانت تشغلها قضايا استقلالها الوطنى ونضالها ضد الاستعمار .

وكأنما — وما أعز سعة الأفق والادراك والحسابات — التصدى لجرثومة الشر المبيت ليس نضالا حقيقيا وواعيا ضد الاستعمار !!

وفى رأيى — مع الاعتذار عن الراى وعن الحسرات فى العشرينات ! — ان هذا التصدى كان ممكنا ومجديا ، سواء من الناحية السياسية أو الشعبية او النضالية ، لو أن « قضية فلسطين » كانت تمثل لدينا من النظرة العربية — بل حتى الاقليمية الوقائية — جانبا ولو جزئيا مما كان ينبغى ان تتضح به أمامنا .

غير اننا حتى فى معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ كانت تصدمنا صيحات من يتصايحون : ما لنا نحن وفلسطين ؟ ! بل الأدهى و « الطامة الكبرى » هى أن ثمة اناسا — على قلتهم — بعد كل ما حدث وبعد ضياع فلسطين « بالكامل » واحتلال اسرائيل لاجزاء عزيزة وغير يسيرة من أراض عربية أخرى .. ما زالوا لم يدركوا أبعاد المخاطر واهوالها ، وما برحوا يرددون « النشيد الاقليمى » الغبى الانتحارى : مالنا نحن وفلسطين ؟ ! أو فلنترك اسرائيل وشأنها .. لتتركنا وشأننا ؟ ! و « المصيبة » انها لم تتركنا وشأننا ولن تتركنا ابدا .. والمصيبة الانكد أننا تركناها — عادة وفى الأغلب — لشأنها !

على ان للمسألة وجها آخر هو فى حقيقته « جوهر » هذا الحديث .

يندرج هذا ـ وبصورة قد « تتعسف » ولكن ليس كثيرا ـ على ربع القرن السابق لقيام دولة اسرائيل ، ويتفاقم و « يدمى » مع ربع القرن الذى مضى على قيام اسرائيل حتى الآن . اما المستقبل فهو الباقى لنا ـ ارجو ـ وقد آن الاوان ووجب بعد نصف قرن أو يزيد ان نفهم معنى المستقبل وندرك قيمة الوقت والزمن وخطورة ربع القرن القادم !

« جوهر » القضية من هذه الزاوية ـ وثمة زوايا وجواهر عديدة لقضية المصير ـ ان الاحساس بالزمن وتقدير عامل الوقت والاعداد الملتزم للغد ووضع الحسابات الخ .. كل هذه تكاد تكون « مفقودة » لدينا للأسف الشديد !

ولن نتهم احدا الا انفسنا واسلوب تربيتنا التى درجنا عليها والتى أصبح من المحتم ان تتغير واقولها ثانية لو يفيد : يجب ان نغير أسلوب تربيتنا ومسلكنا ، وذلك لسبب بسيط هو أنه قد ثبت فشله !

ومع صعوبة الاجابة على السؤال التالى وهو : ـ من الذى يقوم بالتربية الصحيحة وكيف ؟ ومع كونى لا اجيب هنا عليه ، الا انه لا يستعصى على الحل اذا صدقت النية ، فامامنا نماذج غير قليلة لامم لسنا ادنى منها بأى حال استطاعت ان تخوض التحديات وان تنتصر على نفسها وعلى اعدائها .

والغريب .. ان التنديد بعدم الاحساس بالوقت والزمن الذى نشكو منه ، والنصح باحترامه وحسابه .. قائم فى لغتنا العربية . فكلنا يذكر المثل الذى تعلمناه ـ وما تعلمناه ! ـ وهو « الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك » ! وغيره كثير . فالعيب اذن ليس فى « اللغة » ولا فى « الدين » كما يحاول بعض « المستشرقين » ان « يحللونا » او كما يعمد بعض « المستشرقين » أو « المستغربين » « المتمردين » من بيننا الى تعليق اخطائنا وتخلفنا على « شماعاتهما » ! وانما يرجع ذلك العيب الى عوامل

كثيرة يأتى فى مقدمتها الافتقار الى سلامة التربية والسلوك والقدوة الحسنة !

الالفاظ عندنا فقدت مدلولها وأوشكت ان تبتذل ، ان لم تكن تعدت هذه المرحلة ..

ونحن تكرر انفسنا فى مختلف البلدان العربية وفى عديد من المواقع والمناسبات .. ثم لا شىء ! هل السبب اننا أشبه بالقدريين والمتواكلين وان « بساطنا أحمدى » ؟ ولماذا ؟ والى متى ؟!

ولقد يبدو ان هناك شبه انفصال « مزعج » بين الأقوال والأفعال وفى قضايا هامة ، ومع تقديرنا لكل الظروف ، غير ان « عيبنا » التقليدى للأسف أننا « نتحمس » ونتكهرب فى البداية « ثم نهبط » ، بينما الموقف لا يصح معه التراخى ولا يحتمل .

أو ليس مما يضاعف الأسف ان هذه العبارة الاخيرة بذاتها أبدبتها فى فصل كامل من « رحلاتى مع الأوجاع » ، وانني خرجت من بين الدروس المستفادة للأحداث « بضرورة معالجة الفراغ السياسى فى شتى الميادين بتنظيم سياسى قادر وواع ومتحرك ، وبأهمية الوضوح وبقيمة الا ننسى والا نشغل بمرور الأيام ، وبحتمية المعركة والاجراءات السياسية والاقتصادية والعسكرية المطلوبة لها .. الخ » ثم ماذا ؟

ثم عودة الى موضوع « الزمن » .

نأخذ مثلا : تعبير « سباق مع الزمن » الذى تردد كثيرا فى كافة العواصم العربية والخطب العربية بمناسبة خوض « المعركة » مع اسرائيل ...

وقد تشعب من هذا سؤال آخر هو : هل الزمن يجرى لصالحنا أم لصالح اسرائيل بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وبعد « ثباتنا » و « صمودنا » و « استعداداتنا » ؟

وفى مرحلة متقدمة « حماسية » تصورنا ان الزمن مسخر لصالحنا .

ومر « الزمن » على البلدان العربية ، ونخدع أنفسنا لو زعمنا ان لنا الأولوية فى « السباق مع الزمن » .

على العكس ، بدأ وكأنما لم نخض السباق فعلا . كدنا ـ مع مرارة الاستعارة ـ نصبح كمن « يلعب فى الوقت الضائع » على حد التعبير الكروى الشهير ، أو بالأحرى كدنا نكتفى باضاعة الوقت ومرور الزمن ! اعتمادا على أى شىء ؟ على الكثافة السكانية العربية مرة أخرى ؟ انها لم تفد .. ولن تفيد وحدها .

هل هى « قسوة » مشاعر وخواطر من جانبى وميل لتعذيب النفس وايذاء الذات ؟!

ليتها كذلك فحسب ، أو ليت « المرارة » تحركنا بأقوى من حركة الزمن وتجعلنا نفيق ... اقول هذا غير جاحد اى جهد بذل ويبذل فى مختلف المواقع ولكن السؤال : هل جهدنا بالقدر الكافى ، وهل هو يتناسب مع خطورة الموقف والزمن ؟

الحضارة استنبطت شيئا اسمه « التخطيط » ، والتخطيط رد الجميل فضاعف الحضارة وزادها ازدهارا وهو يقرؤها فى كتاب مفتوح !

واين موقعنا نحن من التخطيط ؟

انه لن يتأتى لنا ـ وهو ضرورة حتمية ـ الا مع نمو الاحساس بالزمن ودخولنا ـ بالفعل ـ فى سباق مع الزمن .

والحضارة التى كنا من بناتها ـ قديما ـ قد جاوزتنا كثيرا ولا غنى لنا عن ان نلحق بها بصورتها الحديثة فلا مفر : أما التحضر أو الاحتضار ..

ان الدنيا كلها تتقدم تقدما مذهلا باسلحة التخطيط والعلم والحضارة والسباق مع الزمن . ومع تسليمى انها كلها عناوين

ضخمة ـ وما أكثر تفريعاتها وشرحها وما أصعب البدء الصحيح بها والاستمرار ـ الا ان قدرتنا الحقيقية هي في مواجهتها وليس في ترديدها ، لان مواجهتها تعني المواجهة الفعالة لاسرائيل (ونحن ـ قبل أمريكا ـ الذين عززناها وتركنا لها الميدان خاليا لتفعل ما تشاء) .. وان كانت مواجهة اسرائيل ـ في سباق الزمن ـ هدفا مرحليا أيضا .

ومن الضروري الا نياس . فقط المسالة محتاجة الى « بداية جديدة » : على مستوى الأفراد . على مستوى المؤسسات على مستوى الدولة . على مستوى الدول العربية .

❋ ❋ ❋

وفكرة « البداية الجديدة » تعاودني . ويلوح ان بداية العام الجديد ـ عام ١٩٧٣ مع آلامه وآماله ـ هي التي تطرحها .

وفي هذا الخط ، اذكر ان منظمة فتح طلبت مني كلمة « احتفالا » بعيدها الثامن الذي استقبلته في اول يناير ١٩٧٣. ولم املك الا ان اكتب اليها الكلمات التالية التي قد يكون من المفيد ـ لتكامل الصورة ـ ايرادها :

والأوجاع والاحزان تخيم ثقيلة على الصدر وتكاد تتعقب بالشلل بقايا الفكر الضائع ضياع أراضينا مرحلة بعد أخرى ، اعترف ان ثمة شعاعا يطل بين هذه الأشلاء جميعا ..

شعاع من الفكر أو من حلم اليقظة يبزغ ويخاطبني واخاطبه :

لا عليك ! لا بأس ! لا يأس !

يجب ان نبدأ من جديد !

ولو بعشرة افراد ! المهم فيهم الايمان . النقاء . الفدائية . التجرد . الوعي . الاصرار . سعة الأفق وجاذبية الدعوة . تلقي الدرس والعظة من أخطائنا ومن اعدائنا .

وهؤلاء العشرة ـ مع الدعوة ومع القدوة الحسنة ـ سيتضاعفون . سيصبحون مائة . الفا . الفين . عشرة آلاف . مائة الف . مليونا .

ولا يهم متى نصل .. متى ننتصر ..

المهم ان نبدأ وان نعرف كيف نبدأ وكيف نسير ، لأن ذلك هو الضمان الا ننتكس .

انها ستكون الثورة .. والثورة الزاحفة والثورة المنتصرة !!

دعك من ربع قرن من السنين ضاعت هباء ـ على مرارة ما ندع ـ فقد كنا مائة مليون ولكنا لم نعرف كيف نبدأ ولا كيف نسير !

ويغيم الشعاع . فاستحلفه بالله ان يتريث ! اننى اصدقه فليصبر على ! وهو يحيينى بالاستماع اليه ، فلأتعلق به !

ويضيء الشعاع ثانية .. ونتحاور !

ـ ولكن كان لنا « أمل » مماثل هو اندر ما اسفرت عنه آلام المخاض ، وبالتحديد فى يناير ١٩٦٥ .

ـ كان لنا « فتح » ..

ـ ومازال ؟ !

ـ على الأقل هى اقرب الأشياء الى ذات الفكرة الجديدة التى نطرحها .

ـ ولكن الا ترى انها هى أيضا ينبغى ان تبدأ من جديد أكثر ايمانا ونقاء وفدائية وتجردا ووعيا واصرارا الخ . بعد ثمانية أعوام من « التجربة والخطأ » ، وكأن هذه « التجربة والخطأ » تلاحقنا فى كل مكان !

ـ ولماذا لا تبدأ من جديد هكذا ؟

ـ وماذا بعد ؟ !

ـ الاشعاع فى كل مكان ! لن تكون « فتح » المقاومة الفلسطينية فحسب بل « فتح » المقاومة العربية والارادة العربية كلها .

ـ مهمة ميسورة بالكلام .. وما اكثر ما تكلمنا !

ـ نعم ميسورة بالكلام ولكن هذا ما يجب ان نخرج من مجرد دائرته ، وان نمضى بحق وعيوننا على الطريق ... رغم مصاعب البداية ومصاعب الحفاظ على الطريق !

ـ والنتائج ؟

ـ بهذه الروح وبتلك الصفات تصبح النتائج مضمونة ، مهما طالت المسيرة .

ـ وماذا تضمن ؟

ـ بالتأكيد تضمن زوال الاوجاع وتبديد الاحزان التى تخيم على الصدور والتى تشل الافكار . تضمن استعادة الارض . تضمن النصر .

٧٣/١/١١

"الجمهورية".. العدد ٧٠٠٠

لعله من الطبيعى أن « نخايل » الانسان ـ اى انسان عادى وليس « سوبرمان » ـ رقم خاص يؤثره فيحوز حبه، نوع من الاستسلام للضعف البشرى .. مزيج من « اهتبال » السعادة والخدر والتعلق المتفائل بالمجهول . سخف . عيب ؟ ! ربما ! لكنها حقيقة ! والرقم الذى اهيم به حبا هو « ٧ » . وقد يكون لعب دورا فى حياتى وحياة احبائى ، وقد يكون شاركه « رقم » آخر ، ولكن رقم ٧ ـ عادة ـ يلفتنى فاقف عنده واتامله واحنو عليه .. عساه يحنو على ! وفى يوم السبت ٧٣/٢/٢٤ افتح ذراعى واحتضن العدد رقم ٧٠٠٠ من جريدة « الجمهورية » مثلما فتحتهما وافتحهما دائما لهذه الجريدة سواء كنت اعمل فيها .. كما افعل الآن ، ام كنت ارمقها من بعيد .. كما حدث فى فترات متباعدة . اننى قطعة منها ، أو ليست هى قطعة من مصر ونبضا حقيقيا ومباشرا من نبضات تاريخ ثورة ٢٣ يوليو .

على أن سبعة آلاف عدد من « الجمهورية » رقم « مهول » ـ بالفعل ـ تضمه مجلدات ضخمة سجلت تاريخ عشرين عاما من زهرة عمر جيلنا (لا يقلل من ضخامة هذا الرقم أن جريدة أخرى مثل « الاهرام » تصدر فى نفس اليوم العدد رقم ٣١٤٨٧ من السنة التاسعة والتسعين !) .

وانى لأذكر ـ كأنما لو كان بالأمس فقط ، وما أسرع مرورالايام! ـ أول لقاء لى باسم جريدة الجمهورية . كنت أعمل فى مجلة « التحرير » . واستدعانى « أنور السادات » ـ وكان ذلك بالتحديد فى أواخر يوليو ١٩٥٣ ـ وطلب الى أن أتحمل « وحدى » مسئولية اصدار العدد التالى من المجلة ! وتشجعت ـ وكنت محتاجا لقدر كبير من الشجاعة حتى اقف على قدمى أمام جسامة المسئولية ـ ومضيت بفورة الشباب وتحدى المستحيلات أعمل واكد ، واكتب واتصل حتى صدر عدد مجلة التحرير فى موعده ، وان جاء ـ للحق ـ مهزوزا ! ولكن سرعان ما انتظمت الأمور ونظمت بالتقاط الأنفاس وبطاقة مصرية أصيلة من المحبة والثورة وسعة الافق نجدها فى كل المجالات عند الاقتضاء .

وأخذ « السادات » يشرف اشرافا مباشرا على « التحرير » ويقود ويوجه ، وعادت الروح ، وبعد عددين (وكانت « التحرير » تصدر كل أسبوعين) بادرنى « السادات » قائلا : استعد .. هناك مفاجأة ! ورغم أن « فكرة » اصدار جريدة يومية ناطقة بلسان ثورة ٢٣ يوليو راودت مجلس الثورة حتى قبيل صدور التحرير فى منتصف سبتمبر ١٩٥٢ ثم استبعدت على الفور لتعدد مصاعبها ، الا اننى لم أتصور ان « المفاجأة » هى هذه ! ومضى « السادات » يقول : ابتداء من العدد القادم سوف نعلن عن « قرب » اصدارنا لجريدة « يومية » جديدة ! وسألت : والاسم ؟ قال : « الجمهورية » ! وعرفت انه فى اجتماع مجلس قيادة الثورة فى اليوم السابق طرح الموضوع للمناقشة وتقرر ، وان اسم « الجمهورية » هو من اختيار « جمال عبدالناصر » و « أنور السادات » . و « عبد الناصر » استصدر رخصة اصدار هذه الجريدة بطلب وقعه باسمه ، و « السادات » تولى الاعداد لها ورعايتها ، وصدر العدد الاول منها فى ٧ ديسمبر ١٩٥٣ يحمل اسمه على راسها ، واستمر كذلك سنوات طويلة متصلة ..

وثمة كلام كثير كتب وقيل ، ويمكن أن يكتب ويقال ، عن جريدة « الجمهورية » . بل ربما كنت من بين الأشخاص « المؤهلين » لتأليف كتاب خاص عن جريدة الجمهورية : قصتها . كفاحها . الحملات التى شنتها . الحملات التى تشن عليها . تياراتها . « المحصلة » التقدمية الاشتراكية التى مثلتها وسوف تمثلها دائما . « تحليل » مادتها وكتابها واتجاهها . ظروفها مشكلاتها . الذين كانوا يكيدون لها من الخارج .. ومن الداخل . الذين يتفانون فى حبها وفى التعاطف معها ولا « يكفرون » بها أبدا . والذين تمثل قذى فى أعينهم لسبب مفهوم أحيانا .. وغير مفهوم احيانا اخرى . ابناؤها الصابرون الاوفياء البررة . عمالها . محرروها . موظفوها . الداخلون والخارجون . المتسلطون البغاة « التتريون » . العقلاء الحماة الايجابيون . لماذا يرتفع توزيعها حتى يصل الى اكثر من ضعف توزيع اية جريدة اخرى ، ولماذا ينخفض . الظلم الذى قد تعانيه . « حصة الورق » المتعسفة التى تكافح من اجل تصحيحها . الطرائف . «القفشات» « الحواديت » الخ الخ .

واذا كان فى العمر متسع .. فلعلى أن أؤلف هذا الكتاب « الرائع » يوما ما بمشيئة الله !

وكل ٧٠٠٠ عدد و « الجمهورية » بخير ، و « جمهورية مصر » بخير «*»

٧٣/٢/٢٤

من ضحايا العدوان

ما اكثر واطول أيامنا الحزينة منذ يوم « قاصم » فى حركة تاريخنا : هو يوم ٥ يونيو ٦٧ الذى امسينا به ، ثم لم يطلع له ـ بعد ـ على مصر صباح .

المشفقون دعوها ان تصحح ما جناه « يونيو » وما ابدى بمرآته وهذا يوم حزين آخر شديد القتام والفجيعة والحداد والانفعالات الحادة .

كنت أستعد للذهاب الى المستشفى لأطمئن على صحة الأخ والزميل « عميد الامام » الذى سقط ـ بشلل نصفى ـ بين أيدينا بينما كان « يقيس » له طبيب الدار ضغط دمه فيجده ٢٩٠، وينقل الى المستشفى على الفور .

وفجاة ، وقبيل الثامنة صباحا دق « التليفون » الذى أصبحنا نضيق به لطول وتعدد ما ينقل من الانباء السيئة . وقال الناعى : عظم الله أجركم مات « عميد » فجر اليوم وتشيع الجنازة بعد الظهر .. يوم الأربعاء ٢١ من فبراير سنة ١٩٧٣ .

وبغير افتعال ولا تحميل « للقضاء » باسباب مصطنعة اقول ان « عميد الامام » ضحية أخرى من ضحايا العدوان الاسرائيلى .. والتخاذل العربى . ابن فلسطين الأصيل والأصيلة .. خرج من داره ذات يوم من أيام سنة النكبة ـ « ١٩٤٨ » قبل معركة فلسطين بأسابيع قليلة ـ وهو يحلم بالعودة الى بلده .. يافا . وبدلا من أن يعود ، تجرع « المر » مثنى وثلاث ورباع فى كل هزيمة عربية تبعد بينه وبين وطنه واهله ، حتى اصبح التوتر

الضائع القاتل زاده اليومى ؟ وحتى فجر شرايين المخ ضغطه العالى المحموم .. وهو المشتغل بالفكر والقلم ، « المقـاوم » الذائب فى قضـية فلسطين والعروبة ومأسـاتها ، فكان « استسلامه » الاول والاخير ».

ولقد كان « عميد الامام » من خيرة الكتاب والصـحفيين الفلسطينيين والمصريين ، وكان له نهج خاص تميز به حتى انك كنت ـ لو أخفي عنك اسم الكاتب ـ تستطيع معرفته وادراك أسلوب « عميد » ـدون جهد ـ وتبين « مطق » استرساله فى العرض « المتفرد » المثقف والسهل الممتنع والتحليل السـياسى عربيـا ودوليـا . ولقد أجمع قراؤه على حبه اذ انسوا اليه من كتاباته ، ولكنهم لو عرفوه « شخصيا » لأحبوه أكثر ـ بالتاكيد ـ وحرصـوا عليه وعلى مجلسه الذى يفيض عذوبة ـ رغم مرارته الفلسطينية ـ وثقافة وادبا ودماثة خلق .

ويوم أن انتهيت من نظم قصيدتى الطويلة « لن نخون فلسطين » فى أوائل سنة ١٩٥٦ لم اكن قد عرفت عميـــد الامام (وان عرفه زملاء له ولى كثيرون يجىء فى طليعتهم الزميل العزيز سامى داود الذى كان توأم حياته ، وكدنا ننهار ونحن نراه منهارا يسير خلف جثمان « عميد ») ولا كنت قد التقيت بعميد حتى ذلك الحين الا من خلال مقالاته . غير اننى بغير تردد توجهت الى عميد اقول له : « أقدم » اليك شعرى عن فلسطين ، وأرجو أن تكتب له « مقدمة » ! وقدم لديوانى بكلمات كريمة واعية يقول فى ختامها « حكمة » حياته وحيـاتنا « انها المعركة التى سـنظل ـ حتى نحرز النصر الاخير فيها ـ نلد للموت ونبنى للخراب . فالعدو الذى نحاربه لن يسكت عنا ، حتى لو انحدرنا نحن الى حد السكـوت على عدوانه المهين . انه مصمم على سلبنـا كل شىء ، وقد حشد لبغيه وعدوانه كل قواته . فهل يمكن أن يكون لنا

عذر فى الا نصنع مثله دفاعا من حياتنا ومستقبلنا وحقوقنا ؟! » .

نعم .. لقد مات « عميد الامام » هما وكمدا ، وسنظل ــ كما قال هو نفسه ــ نلد للموت .. ونبنى للخراب ما لم نحرز النصر الأخير .

وليرحم الله «عميد» فى اخراه ، وليرحمنا من ضعف «دنيانا» .

ثم ماذا ايضا فى هذا اليوم المنكود ؟! .. فى الساعات الاولى من صباح اليوم قامت اسرائيل ــ للمرة الألف ــ بعدوان مفاجىء على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين بالقرب من طرابلس بشمال لبنان . اشترك فى الهجوم الاسرائيلى بالبر والبحر والجو قوات محمولة بالهليكوبتر واخرى فى الزوارق المسلحة . واسفر هجوم « رسل الانسانية » ربائب ترومان وايزنهاور وكيندى وجونسون ونيكسون ــ على التوالى ــ عن نسف مدرسة ومركز للأشغال اليدوية تابع لجمعية ابناء الشهداء ومنزلين واستشهاد ٢٩ فلسطينيا بينهم عدد كبير من النساء والأطفال واصابة عدد كبير آخر بجراح .

ويمر هذا العدوان الكبير الجديد المتكرر دون اهتمام مذكور من العالم فقد اصبح امرا مألوفا . بضعة سطور على عمود فى الصحف العربية اذا وجد له مكان .

هانت الأرواح .. الأرواح العربية وحدها . ثم ماذا بعد فى هذا اليوم الكئيب الذى يزهق الارواح ويعمق الفواجع ؟

ان « شهية الوحشية » لدى اسرائيل اليوم مفتوحة نهارا وليلا وشمالا وجنوبا .

ضرب طائرة الركاب الليبية وتحطيمها فوق سيناء ، وكأنما تذكرنا ــ فى استفزاز فاجع ــ بهذه القطعة العزيزة المحتلة من ارضنا ، وان كانت ابدا لا تبارح فكرنا رهن الاستعداد والانتظار .

هاجمت طائرات السلاح الجوى الأسرائيلى ـ وبصورة بالغة البشاعة فى الاجرام ـ طائرة مدنيـة ليبيـة ضلت طريقهـا وهى قادمة من بنغازى الى القاهرة .. والضحايا الأبرياء فوق المائة راكب ليبيين ومصريين وفرنسيين .

اسرائيل متلبسة بالقرصنة المجرمة المعدومة الضمير والمسلوبة الانسانية متلبسة دون أى لبس باعترافها .

وفى « صالة التحرير » مساء ذلك اليوم ونحن بين « الوجوم » « والانتفاض » نعد لاصدار عدد الخميس الاسبوعى ، نسمع تعليقا واحدا هو أول ما يجول بالخاطر ويشارك فيه المترجم والمحرر والمراجع والساعى وعامل البوفيه ومدير التحرير ورئيس التحرير وسكرتير التحرير والخطاط والمصحح .. الجميع بغير استثناء : قامت الدنيا وتصايحت وتشنجت الصـحافة الغربية والدوائر الدبلوماسية يوم حادث ميونيخ « الشريف » . واليوم ما هو رد فعل العالم ازاء هذا الاجرام الاسرائيلى الوحشى « الدنىء » ؟ لو أن طائرة « مدنية » من طائرات الاطفال أسـقطتها مدفعيتنا فوق الضفة الغربية للقناة لثـارت ثائرة السـادة الأفاضل نيكسـون وكيسنجر وروجرز واشبعونا تصريحات وتهديدات ، ولتكهرب الجو . أما اليوم فالاقتصار على تشييع الجنازات وتقديم « واجب » العزاء ».

غير اننى اعترف بأن هذه الجريمة الاسرائيلية الشنيعة هزت ضمير العالم وأن ردود الفعل آخذة فى التصاعد ، فان هذه الفعلة الشنعاء قد جاوزت كل حدود العقل والصبر ، بل حتى « عرف الجرائم الدولية » .

ولربما أخذ العالم يتساءل فى « مقدمات فزع » : اسرائيل هذه .. الى أين ؟ اسرائيل هذه .. ما هى ؟ ولربما ـ بغير اسراف منى فى حسن الظن ـ لن يتأخر طويلا اليوم الذى يدرك العالم

قيه ان اسرائيل تمثل خطرا رهيبا على أمن العالم وسلامته ..
ان اسرائيل لا تمارس الجريمة فحسب ، ولكنها « هى » فى حقيقتها « الجريمة » ذاتهـا . ان « غطاء » الحضارة والتكنولوجيا والتقدم والواحة الخضراء وسط الصحراء ومختلف المعانى التى « تتشدق » بها اسرائيل وحواريوها يخفى تحته أخطر أنواع الارهاب خسة ويبطن أخبث النوايا ويتوعد « الجنس البشرى » بأشد الايذاء .

واذا افلحنا - ايجابيا وليس سلبيا - فى تحريك ردود الفعل - والحديد حام - أثر حادث الطائرة الليبية ، فلسوف يصبح تحركنا السياسى الاعلامى الدبلوماسى العسكرى خير تكريم لأرواح شهداء اليوم ولشهدائنا جميعا - ولحاضرنا ومستقبلنا - منذ ان بدأت المؤامرة الصهيونية الاستعمارية ضد العرب .

ونستطيع - هكذا - أن نجعل من هذا اليوم يوما تاريخيا بالفعل .. ونقطة تحول .

وباختصار : اذا كان العالم الغربى مستعدا ، فماذا نحن فاعلون ؟ واذا لم يكن .. فماذا - أيضا - نحن العرب - فاعلون ؟ ..

نعم ! ماذا نحن فاعلون ؟

٧٣/٢/٢٤

ماذا يطالبنا ضمير مصر

ضمير مصر لم يياس ابدا . هزمنـا الغزوتين السابقتين : غزوتى التتار والصليبيين . والآن نحن نواجه غزوة الصهيونية . ولسوف نهزمها ايضا ولا مجالة مهما طالت السنوات.

هكذا تحدث الرئيس انور السادات الى رجال الصحـافة والاعلام . وهو فى هذا لا يستشف ضمير مصر الخالدة فحسب ، وانما يعبر عنه ويقرؤه ويقسم به فى ثقة بالغة وحقيقية .

واذا كان السادات ـ فى وطنية خالصة وصميمة ـ يدعو كل صاحب قلم وكل صاحب فكر « أن يكون دائما عنوان الامل والاشراق والمعانى الجميلة للناس . بأن يبدع . ليؤكد معركة صمود الشعب وآماله ، وليس العكس » فانه يطالبنا كما أن مصر ـ التى انبتته وانبتتنا والتى لها الحق المقدس علينا جميعا ـ تطالبنا بأن نعيش معركتنا بلا سلبية .

ولسنا ننكر أننا بكينا وتمزقنا طويلا حزنا والتياعا على ما جرى لمصر من جراء هزيمة ٥ يونيو ٦٧ . وحبا لمصر وفناء فيها وغضبا لها ، فنحن لا نملك من حطام الدنيا سوى حب هذا البلد العظيم المأمول .. وكفى بها « ثروة وطاقة » لأن مصر هى دنيانا .. أو هى اجمل واجل ما فى دنيانا .

ولا شك أن أجدادا لنا ممن عاشوا محنا مصرية وعذابات طويلة متجددة عبر الاجيال والقرون ـ سواء فى غزوة التتار

وتهديدات الصليبيين أم خلال الاحتلال العثماني والاحتلال الفرنسي والاحتلال البريطاني ــ قد بكوا وتمزقوا كما فعلنا فى نكسة ٥ يونيو . ان هؤلاء الاجداد المصريين قد تحملوا « آلاما عظيمة » ومعاناة قاسية . ولكنها ابدا لم تزلزلهم لاسباب ترجع الى طبيعة « الصبر » الايجابى لا « البلادة » . انهم على العكس ــ وفى اتئاد مثابر فطرى ومتوارث ومتميز ــ اخذوا يشكلون « اوضية » الزلزال الذى يطيح بالاعداء وحدهم .

ولأننا بالفعل اقدم من عرف التاريخ والحضارة ، فلقد كنا نقرأ فى كتب تاريخنا ــ بالأخص اكثر ما نقرأ فى التاريخ ــ ونبتسم ونقر عينا فى صفحات ومجلدات .

ثم تنتابنا « قشعريرة » فى صفحات أخرى دامية ، ونذوب حزنا ــ وخجلا فى بعض السطور ــ ثم لا نلبث ان نسترد انفاسنا امام ردود الاعتبارات والانتصارات التى صنعها هذا الشعب .

وصحيح ان ثمة فرقا غير هين بين ان نقرأ مأساة تاريخية نعرف مقدماتها وتطوراتها وانقشاعها ونهايتها فى كتاب من كتب تاريخنا ، وبين ان نعيش فى اعماق وتطورات هذه المأساة كما هو واقع الآن .

غير انه صحيح ايضا اننا ــ ودون افتعال او خفة او تهوين مكابر ــ نؤمن ونوقن أن « المخرج » من هذا الذى وقعنا فيه ــ او اوقعنا ــ « آت » لاريب فيه . وان « الغد الكئيب » اسطورة زائفة ميئسة ، وان غدنا المشرق حقيقة نطلعها بايدينا .

ان الأحزان « على حدتها » لم تبدد الآمال والثقة فى المستقبل . وشتان بين « الاحزان » و « الاستسلام للاحزان » . فالاولى مسالة انسانية واردة وطبيعية وموحية . اما الاستسلام لها فسلبية وشلل وتمكين لليأس والهزيمة . ونحن ــ رغم الهزيمة ــ ظلت ارادتنا قائمة مرتفعة لم تخدش وهى هى التى تبنى الامل والاشراق والمعانى الجميلة لان هذه المعانى ليست

« هلامية » ولا ينبغي ان تكون . بل ارادة وايجاب وممارسة تبدأ بالصمود ثم تخوض تجارب وتضحيات المعركة وتتوج بالنصر

ولربما كان المصريون — على وجه التخصيص — قد جبلوا وعرفوا بحب بلادهم والالتصاق بها وبطينها وترابها . جنوا حبا بها وكأن « التعريف » ليس هو ان هذا او ذاك « مصرى » بل « مجنون مصر » !

وهذا فى ذاته شيء عظيم ، غير انه غير كاف .

المطلوب : الترجمة عن هذا الحب بالايجابية ، بالمجابهة .. بأن نعيش معركتنا ، بأن نعمل كما يطالبنا الرئيس السادات — ويطالبنا ضمير مصر — على الا نفرط فى شبر واحد من ارض هذا الوطن العظيم .

وهو طريق طويل نبنيه شبرا شبرا وبالوحدة الوطنية ، وهو ميدان محفوف بالمصاعب والتضحيات ، ولكننا نحن لها ويجب أن نكون كما كان اباؤنا واجدادنا عبر التاريخ .

لقد عشنا فى الخمسينات والستينات — حتى اليوم الغريب الحزين فى يونيو ٦٧ — الوجه المنتصر لثورة ٢٣ يوليو ٥٢ وجنينا الثمار التى فاقت التصورات ، ثم بدات المحنة والمرحلة الأكثر صعوبة لثورة ٢٣ يوليو . ولكنها مصر على اى الحالات التى نقف معها ولها . فانتصار ثورة ٢٣ يوليو قبل النكسة انتصار مصر ، وانتصار الثورة على نكستها انتصار مصر ، واذا كنا نذكر اياما عظيمة فى ثورتنا فى ٢٣ يوليو وفى ٩ و ١٠ يونيو وفى ١٥ مايو فهى « مواكب ثورية » مصرية أصيلة حافزة لنصنع النصر الكبير على الغزوة الصهيونية .

وانها — كما قال السادات .. وكما يقول التاريخ — مسئوليتنا جميعا امام وطننا وامام انفسنا وامام ابنائنا .»

١/٣/٧٣

الحب والصمت

ماذا دها «الحب والصمت» ؟ جاء هذا الفيلم في صمت وانتهى في صمت ، وكأنه في عنفوانه ـ بل ميلاده ـ يموت بالسكتة القلبية ! لقد بدأ عرضه في سينما ميامى يوم الاثنين ١٩ فبراير ١٩٧٢ وانتهى يوم الأحد ٢٥ فبراير ١٩٧٢ ، أى لمدة أسبوع واحد ، وهو «رقم قياسى» في «القصر» لأى فيلم مصرى « أول عرض » . لم يتفوق عليه الا فيلم « من فات قديمه » الذى استهل به ـ واختتم ـ اعماله المخرج « فريد الجندى » في الاربعينات ، واستمر عرضه ثلاثة ايام فقط لا غير !

ولقد كنت « عازما » على مشاهدة « الحب والصمت » وشغلت عنه في الايام الأولى فواعدت نفسى في اسبوعه الثانى ، ثم تلقيت تذكرة « دعوة » لسينما ميامى مساء الاثنين ٢٦ فبراير ١٩٧٢ فقلت : لقد أصبحت « معزوما » ولا عذر لى ! وفى صباح الاثنين اكتشفت أن الفيلم الذى دعيت اليه فيلم جديد آخر هو « ليل وقضبان » . و « حزنت » ، ولم أشاهده شاكرا ومعتذرا عن الدعوة المجهولة !

لماذا « فشل » فيلم الحب والصمت هذا الفشل الذريع ؟ أهكذا يتوارى جمهور «الابيض والاسود» ويبتلعه جمهور «الألوان» وكأن الافلام غير الملونة ، كالحب والصمت ، أصبحت كالطرابيش

« موضة قديمة » بلا جمهور ؟! لا اظن : فالســوق تروج وتنفض لاسباب أخرى ٠٠ وتلك عوامل مساعدة ٠

اذن ، هل كسد الفيلم لأن قصته « رومانسية » ٠ هنا أيضا التعليل غير منضبط ، ففيلم «قصة حب» الامريكى ـ مثلا ـ علامة رومانسية متميزة استمر عرضه فى مصر اكثر من عشرة اسابيع ، كما حقق أعلى إيرادات توصلت اليها السينما العالمية فى السبعينات حتى الآن ٠

هل يعود السبب الى ان الفيلم « قديم » تم انتــاجه منذ سنة ١٩٦٨ وبعد خمس سنوات فقد « طزاجته » برغم الاسماء اللامعة « للان » لنجــومه ، كنــور الشريف ومحمود يس ونيــللى الخ ؟ أم لعل العيب هو العيب التقليدى المتكفل باسقاط اى فيلم وهو الذى يكمن فى « ضــعف » السيناريو والاخراج وعوامل فنيــة اخرى ؟

ولعل « جزئيات » هذه التعليلات كلها شكلت أسباب هبوط الايراد الذى حدده لى الزميل أحمد ماهر رئيس قسم الفن بجريدة الجمهورية ومخبرها العليم « ببواطن الامور » فقال انه بلغ ١٣٢٨ جنيها فى أسبوع ٠٠ أى أقل من الـ ١٥٠٠ جنيه المتفق عليها كحد أدنى لامتداد عرض الفيلم اسبوعا ثانيا ٠ على ان الناقــد الفنى « الحنبلى » ـ سمير فريد ـ الذى وضع « مواصفات » للفــيلم الجيد « استعصت » على كثيرين من العاملين فى الحقل السينمائى المصرى قــد انهى الى ان «الحب والصمت» فيــلم لا بأس به وانه افضل من ركام لافلام مصرية امتد عرضها اسابيع متصلة . وهذه شهادة من ناقدنا الشاب الدارس الموهوب ربما يعتز بها منتــج « الحب والصــمت » ، وان كان الارجح انها ستزيد « حنقــه » بوصفها لا تقدم ولا تؤخر ولا « تنصرف » عنده بثلاثة قروش !

غير أننى أضيف سببا خاصا جدا « يغلف » اسباب الفشل والخسارة . ولقد يبدو انه سبب « غير علمى » وبالتالى فما كان ينبغى ان يذكر او يتقبل ، ولكنى اعرض له .. وامرى لله !

لماذا اهتممت ـ شخصيا ـ بمشاهدة ثم متابعة هذا الفيلم بالذات على وفرة الافلام هنا وهناك .

الحقيقة ان مؤلفة قصة الفيلم تربطنى بها اواصر القربى ، واعلم عن قصتها « الحب والصمت » وعن قصة حياتها هى الشىء الكثير .

ولقد كنت اتمنى أن « ينفك النحس » عن المؤلفة الاديبة عنايات الزيات ولو مرة واحدة واخيرة وينجح فيلم قصتها ، ولكن الظاهر ان « سوء الحظ » الذى واكب حياتها امتد الى ما بعد مماتها واصاب الفيلم فى الصميم .. وكأنها « لعنة » اشبه بلعنة « الفراعنة » !

هل يمكن ان تتخيل كيف « تخلق » فتاة لا من لحم ودم ولكن من مجرد مشاعر بالغة الارهاف ؟ هذه كانت « عنايات الزيات » ، وبغير جنوح كبير الى المبالغة . وامثال هذه المشاعر فى عصر الصراعات المادية المصطخب وفى أتون أو غابة القرن العشرين لا تستطيع ـ عادة ـ ان تسعد او أن تستمر وتعيش ! هى اما ان تنطوى عن الناس فتنفجر من الداخل ، واما ان تلتحم بهم فتنفجر من الخارج ! وهى على الحالتين تنتهى بأن تطوى صفحتها بيدها أو بيد عمرو !

وهكذا كانت « عنايات الزيات » نموذجا « رومانسيا » للجيل الرافض ، وقبل الاوان فى أواخر الخمسينيات عجزت شاعريتها وآمالها الوردية « المصدومة » عن تقبل المجتمع ، وتصورت ان المجتمع يضيق بها على سعته فتجرعت كؤوس التعاسة والفشل فى حياتها ، ولازمها سوء حظ ملحوظ فاعتزلت حتى أقرب الناس

اليها . ولان طاقتها الكامنة كانت تبحث عن شيء سواء اكان هذا الشيء هو ذاتها ام هو السعادة المنشودة التي ينسجها خيالها ومكانها فقد عكفت الى القلم للتعبير بالعربية رغم دراستها الالمانية. والكلمات شحنة عاطفة موهوبة قبل أن تكون قواعد ونحوا . ولقد كانت «عنايات» تمسك بالقلم كأنما ترسم بفرشاة مضرجة بألوان عذاباتها وحيرتها فجاءت كتاباتها صورة نفسية جياشة ورائعة . ثم كتبت ـ دون ان ادرى ـ روايتها الطويلة الوحيدة التي اكتشفناها بعد مماتها . قصة حب صامت معذب ـ طفولى ربما .. ولكنه جليل وشامخ ـ ينتهى بمأساة حادث موت فجائى للحبيب المرموق ، وتظل الحبيبة ممزقة نهب الضياع وتصاريف الاقدار . ولعل «عنايات» ارتأت أن تنهى الفصل الاخير من روايتها على مسرح الحياة ـ أو الموت ـ فاستسلمت لجرعة منومة ثقيلة أسدلت بها الستار على مأساتها المرهقة النبيلة ، وخطت كلمتى وداع كأنما تقول فيهما : أنتم تسمونه « انتحارا » أو « هروبا » بينما هو « قدرى » .. ألا يفهمنى العالم وألا أفهمه ، فلم يبق الا أن أريح واستريح !

وماتت فى ميعة الصبا وشرخ الشباب .

ومن المؤسف حقا ان هذه « الاديبة » الصاعدة (لم تسم اديبة الا بعد وفاتها) غلبتها احزانها على تلك الصورة ، وكان يمكن أن تصنع منها شيئا آخر وعظيما ، وكان يمكن كذلك ـ مع الايام ـ أن تفهم الدنيا اكثر وأن تفهمها الدنيا أكثر .

وكعادتى فى لوم النفس وتقريعها وتعذيبها ، فلقد تساءلت بعد وفاتها : ماذا لو كنت اهتممت بها ـ وهى القريبة .. ابنة الخال ـ اشد مما اكون قد فعلت ، فانها كانت « تأنس » الى وتتابع ما اكتب . ماذا لو كنت جلست اليها طويلا واستقرأت أعماقها ، وحاولت أن « أهذب » انطوائيتها وأن أحدث « التوازن »

بين السالب والموجب فى أغوارها العاطفيـــة البالغة الرقة والحساسية لتتشبع نورا كانت تملك كل طاقاته فلا يتبدد ولا يهدر ، ولتشعر بجمال الحياة ـ برغم كل شيء ـ وقد كان هذا الجمال « خاما » سخيا ومكثفا فى أغوارها .

اترانى كنت سافلح فى تلك المهمة النفسية الصـعبة ام هى اوهام ثقة « مفرطة » راودتنى تصطنع « عقدة ذنب » لا موجب لها ولا أصل ؟ فما كنت أعرف ـ حتى ذلك الحين ـ ما يجرى تحت السطح . وما كان يعنى ـ على أى حال ـ حذر عن قدر !

ولقد كان منتهى أملى ان أشهد مع ابيها فى السينما روايتها « الحب والصمت » ، مثلما شهدت معه مولد كتابها الذى نشره بدموع عينيه . ولكنه ـ رحمة الله عليه ـ مات قبل عرض الفيلم بسنتين ، وفى قلبه ذات التعاسات التى عاشت بهـا ابنته ، أو بالأحرى لقد مات يوم ماتت وذهبت نفسه عليها حسرات .

دردشة سينمائية

واذا كان « الحب والصمت » قد فاتنى فلربما فاتتنى افلام ومسرحيـات بلا حصر خـلال السنوات الاخيرة كانت جـديرة بالمشاهدة والاستمتاع ، وكنت أود لو احرص عليهـــا لولا ان الصحافة اليومية كلما احببناها ـ وهى تستحق الحب والعطاء وتمنحهما ـ ازدادت نهما ، و « سرقت » الوقت كمـــا تسرق « الكاميرا » ! ولقد عشت ـ ومنذ مرحلة مبكرة ـ والسينما على الاخص متعتى الكبرى . وعندما بدأ تنفيذ فكرة « نادى السينما » منذ سنوات كنت فى طليعة المشتركين ، وحافظت على ســداد الاشتراك سنة بعد أخرى ، غير أنه لو كانت « نسبة الحضور » شرطا لاستمرار العضـو فاحسـبهم كانوا « سـيفصلوننى » من العضـوية لقـلة انتظام ترددى على النـادى وصعـابه ولعـدم حضورى العرض فى اغلب الاحيان !

على أن السينما سوف تظل « جماع » الفنون فى العالم وأبعد وسائل الترفيه والثقافة « الميسرة » تأثيرا ، كما أنها سوف تصمد لكل منافسة ، واذا كانت قد افادت وتفيد من التقدم الحضارى والتكنولوجى فلعلها قد ساهمت أيضا فى هذا التقدم وافادته .. وبرغم كل الزخارف المجددة التى تبهر فلسوف تبقى القصة والسيناريو « وتكنيك » التناول هى أساس نجاح اى فيلم سواء اكان من المدرسة الامريكية او الايطالية او الفرنسية أو السويدية او الانجليزية او الروسية .. او المصرية ! ولقد يقال ان الجريمة والجنس قد تزايد زحفهما على الانتاج السينمائى العالمى فى السنوات العشر الاخيرة . وهذا صحيح ولكنه صحيح ايضا ان هذه « البثور » أو هاتين الظاهرتين المريضتين قد دهمتا العالم بفلظة فى مجتمع الثلث الاخير من القرن العشرين ! فالسينما هنا « واقعية » . وهى انعكاس اكثر منها عاملا مثيرا . واذا استبعدنا « السينما الزرقاء » كما يطلقون عليها فان تناول الجريمة والجنس فى الموضوعات السينمائية ـ وبفارق « شعرة » او شعرات مدروسة وهادفة ـ يمكن أن يعالج « وباء » الجريمة والجنس اذا سلم القصد وتنزه عن الهدف التجارى او التكتيك والاستراتيجية الصهيونية الفاجرة المتآمرة .. وهو مطلب عسير بالطبع !

وما دمنا نسترسل فى حديث السينما والأفلام فلأستطرد فى « الدردشة » !

فى زيارة لموسكو لبضعة ايام التقيت فى سفارتنا بوجه دبلوماسى علمى مشرق من أبناء مصر المشرفين فى الخارج ، هو الدكتور أسامة الخولى المستشار الثقافى بالسفارة المصرية ، معارا من كلية الهندسة التى عمل بها استاذا . ولم أقنع بمشاهدة « الباليه » الذى يعتبر من أرفع الفنون المسرحية خاصة وقد ابدعته فرقة البولشوى ، ولا اكتفيت بالتردد على المتاحف والمعالم الثقافية المتميزة ، وانما رحت اسأل الدكتور اسامة عما يمكن

مشاهدته من احدث واحسن الافلام السوفيتية .. بصرف النظر عن مصاعب اللغة وهمس المترجمين !

وابتسم أسامة ـ وقد اكتشفت انه من أقدم وأخلص هواة السينما ـ وقال لى : لا تتعب نفسك • فرغم كل هذا التقدم العلمى والفنى والثقافى والحضارى السوفيتى الا ان السينما الروسية بالذات ما زالت فى مرحلة انعدام الوزن ! ثمة محاولات للتمرد على الجمود ، واتجاهات لوقف التشنج الدعائى والايديولوجى الذى حصر فن السينما السوفييتية فى دائرة مغلقة ومعتمة • هناك مد وجزر وثورة سينمائية من الداخل على الدعاية المباشرة وموجة جديدة ونقد ذاتى لتخلف الفن السينمائى فى الاتحاد السوفيتى الذى عنى بالسينما طولا وعرضا حتى انه يضم أكبر عدد ـ بمئات الالاف ـ من دور العرض ولكنه لم يبرع فيها ـ بعد ـ عمقا ، ولكن هذه المحاولات ما برحت ارهاصات !

ووافقت الدكتور اسامة الخولى على لب القضية ولم أكن الا لأوافق نظريا وعمليا ، فتجربة العروض السينمائية السوفيتية وافلامها المختارة للقاهرة تجربة غير ناجحة كثيرا . ومع هذا ، فقد ضربت مثلا « بارهاصة » فذة وخارقة للعادة حتى اننى اضعها « كتكنيك سينمائى » فى مجموعة الافلام المتفوقة المعدودة عالميا خلال تاريخ السينما ، وأعنى بها « قصة » مكسيم جوركى الشهيرة « الام » التى عرضت فى القاهرة عرضا خاصا ـ لليلة واحدة ـ فى سنة ١٩٥٧ • لقد كانت بالفعل شيئا « خرافيا » غير مسبوق ولا أحسبه ملحوقا ! والمدهش انها ـ كما هو معروف ـ تؤرخ قيام الثورة فى الاتحاد السوفييتى ، ولكنك ـ أمام الفن والفهم والانسياب الاخاذ ـ لا تحس « ثقل » دعاية مباشرة ولا تشنجات متوترة وهذا ـ ببساطة ـ هو الفن الحقيقى .

و « حلى » الحديث المشترك بيننا واتفاق « المزاج » السينمائى ورحنا نستعرض عشرات أو مئات الافلام التى استوقفتنا وتركت بصماتها فى الشعور واللاشعور خلال الخمس والثلاثين سنة الماضية وسألته :

هل تذكر فيلم « فانتازيا » ـ على سبيل المثال ـ الذى يعتبر « تحفة » والت ديزنى كرسوم متحركة وتشكيلات الوان بلغت حد الاعجــاز ؟

كان قصصا انسانية ، وموسيقى مبدعة تترجم ويترجم عنها لتشايكوفسكى ، كل هذا فى اطار « تشكيلى » لا اظن ان السينما نجحت أو ستنجح فى صــياغة مثله ! اننى شهدت هذا الفيــلم ثلاث مــرات فى ســنة ١٩٤٥ واتمنى لو اعيــد عرضه لأراه من جديد . قال : انت شــهدته ثلاث مــرات اما انا فقد « أدمنته » فى انجلترا ـ اثناء دراستى للدكتوراه ـ اثنتى عشرة مرة !

٧٣/٣/٩

رسالة مفتوحة إلى الرئيس نيكسون

ما اكثر الرسائل المفتوحة وغير المفتوحة التى تلقيتها – يا سيدى – فى حياتك الحافلة وما أقل ما عنيت بقراءتها أو بفضها ! وسواء أكانت تلك الرسائل من فيتنام أم من عاشقى ما يمثله نضال فيتنام بين العالم المحب للسلام .. حتى بين جماعات – وربما ملايين – من الشعب الامريكى نفسه . سواء خرجت من الشرق الاوسط «المظلوم» أم انبعثت من أية بقعة فى القارات الخمس مثلت فيها مصالح ، أو بالاحرى مطامع أمريكية تكتيكية واستراتيجية ، مراكز مؤامرات وارهاب ..

وفيتنام هى « جريمتك » الكبرى – يافخامة الرمز والرئيس للولايات المتحدة الأمريكية – وهى فى نفس الوقت « هزيمتك » الكبرى .

والشرق الاوسط هو جريمتك « المستمرة » التى لم تهزم فيها ولم ينتصر السلام بعد .. على أننى أشعر أنك سوف تقرأ هذه الرسالة ، لا لكونى انسانا مهما – حاشا لله .. فلست كذلك بالقطع كما انه لا أحد عندك يهم الا نفر ممن اعتادوا اثارة الهموم والقلاقل والعنصرية والتسلط باسم حماية العظمة الامريكية – ولكن لانها رسالة تنطلق – فيما استلهم واعتقد – بقوة زفرة حارقة خارقة من رجل الشارع المصرى والعربى . وبتداعى الافكار وبمنطق

« قلة الحيلة » ـ ونحن هنا ضحايا واخصائيو قلة الحيلة .. حتى الآن ـ نردد لك فى هذا المقام حديثا لنبينا محمد ـ الذى هو نبى العالمين ـ يقول فيه « اتقوا دعوة المظلوم ، فليس بينها وبين الله حجاب » !

وعندى لك يا سيدى كلام كثير .. ولانه كثير فلست ادرى من اين ابدا ، ولا ماذا اكتب وماذا أدع ، وما ينبغى وما لا ينبغى ! فمعذرة اذا جمح القول أو اشتط أو أساء الأدب فصدقنى اننى هنا لا أكتب بقلم كاتب مسئول او بريشة شاعر يتأنق فى اختيار الفاظه وتلوينها ، وانما بزفرات رجل الشارع كما أسلفت !

عندما بدأت حملة الانتخابات الامريكية فى النصف الثانى من سنة ١٩٦٨ ، وكان يرأس الولايات المتحدة الامريكية الرئيس « الراحل » ليندون جونسون ، كنا هنا فى مصر وفى البلاد العربية « ممرورين » من امريكا ومن الحزب الديمقراطى ومن جونسون شخصيا .. وصحيح ان جلال الموت يقضى بان حساب الموتى عند ربهم ـ ويصعب هنا طبعا تذكر محاسن « موتانا » ـ ولكنه كان شخصا «عاما» لم يسو حسابه فى الدنيا بعد ! فقد كان التنسيق او على الاصح المؤامرة الاسرائيلية الامريكية « المبيتة » بين المؤسسة العسكرية الاسرائيلية والبنتاجون الامريكى و « الوول ستريت » الجشع المقامر ممهورة بامضاء واعتماد ومباركة جونسون لانزال الهزيمة بنا فى يونيو ٦٧ حتى انه هلل لنجاحها وطرب كما لم يطرب طوال جمعه للعشرين مليون دولار التى استخلصها فى حياته ، ومضى يتعجل « تكريس هزيمتنا » ويقيم العراقيل أمام أبسط الحقوق المشروعة التى كفلها ميثاق الامم المتحدة من ضرورة النص عند وقف القتال على انسحاب المعتدى من الارض التى احتلها ، والا يفيد المعتدى من عدوانه. وأكثر من هذا استرسل فى تزويد اسرائيل بالمزيد من طائرات الفانتوم ومختلف انواع اسلحة الارهاب

و « الردع » . وشغل خلال الفترة الباقية من رئاسته فى سنة ١٩٦٨ بمحاولات مستميتة لكسر ارادتنا . ولما لم تكسر هذه الارادة ــ وهى اعز ما احتفظنا به ونحتفظ ــ أعتنق مبدأه وغالى فيه خليفته ثقيل الوزن ثقيل الظل ــ هيوبرت همفرى ــ الذى خاض انتخابات الرئاسة ممثلا للحزب الديموقراطى فى مواجهتك يا سيدى خلال نوفمبر سنة ١٩٦٨ ممثلا للحزب الجمهورى ..

ورجل الشارع ــ يا فخامة الرئيس ــ تغلب امانيه ونواياه الطيبة احيانا ثقافته ومعلوماته وسوء ظنه ، فمن هنا ، ورغم ما هو معروف ومتواتر ــ تاريخيا وتحليليا ــ من ان « حكام » امريكا قد يستوون فى تمثيل الراسمالية الاحتكارية الاستعمارية ، ومن انه لا فرق بين الحزب الديموقراطى والحزب الجمهورى ، فقد « أيد » رجل الشارع المصرى والعربى ترشيحك و « تمنى » نجاحك وخاصة انه يعرف لمن تذهب اصوات « اليهود » الامريكيين عادة حيث « ضلعوا » فى مساندة و « شراء وبيع » الديموقراطيين !

ونجحت ــ ياسيدى ــ ورحبنا و « كدنا » نغفر وقلنا : نبدأ صفحة جديدة !

فماذا حدث ؟

سرت على « النهج » ..

وزدت !!

مزيد من التأييد لاسرائيل سياسيا وعسكريا واقتصاديا .. اسراب متلاحقة ــ بغير عدد وبغير ثمن ــ من طائرات الفانتوم تطير من واشنطون الى تل ابيب لتسهم فى حرب العمق وتضرب مدارسنا ومصانعنا . أطفالنا وعمالنا .

وتوالت على الفور مليارات الدولارات اعانة دعم لاسرائيل التى احترنا هل هى التابعة لامريكا ام ان امريكا هى التابعة لها ؟

« فيتو » امريكى ضد السلام ولصالح اسرائيل سواء فى مجلس الامن أم مباحثات الدول الاربع ام المباحثات الثنائية بين امريكا والاتحاد السوفيتى الصديق .. نعم الصديق ، وليتكم كنتم فى « نصف » صداقته او عدالته ! والمدهش ان جانبا « ملحوظا » من ثروتكم و « مصالحكم » يأتى من الدول العربية . ولكن هذه قصة اخرى لعلى سوف اختتم بها رسالتى !

فماذا حصلنا عليه من امريكا او منك أنت شخصيا يا فخامة الرئيس ؟

كلمات « باهتة » ليس غير . اخصها ـ واشهرها ـ عبارة اصبحنا « نكرهها » لطول ماورددتهـا ـ يا سيدى ، ومتاسف ـ وترددها حتى الآن فى المكاتبـات والمقـابلات المصرية النـادرة ، وهى قـولك : « اننى لا زلت اذكـر الزيارة التى قمت بها لمصر فى عام ١٩٦٣ واحتفظ لها بذكريات جميلة .. » وحسب ! ولسنا ـ يا سيدى ـ « متحفا » يزار ويحتفظ له بالذكريات الجميلة ولا « حديقة حيوانات » تستاهل الفرجة ! نحن قـوم مضيـافون كرماء ودودون ـ ولا شك ـ ولكننا « قـوم » .. اى بشر لنـا حقوق فى الحرية والسـلام والتقـدم والحضـارة ، ولا اريد التحدث عن نشأة الحضارات فى العالم !

ثم كانت « الخدعة العظمى » التى انساق بها ـ او سيق اليها ـ وزير خارجيتك . اقصد مبادرة روجرز فى يونيو ١٩٧٠ والتى « قبلتها » مصر رغم ان الرئيس انور السـادات ـ وكان فى ذلك الحين نائبا لرئيس الجمهورية ـ توجس منها وارتاب ، لاكراهية فى السلام .. فانه يمد يده بالسلام القائم على العدل وانما ببعد نظر « السياسى » وباحساس « المقاتل » .

ودفعنا بقبول تلك المبادرة الخادعة ووقف القتال ثمنا غاليـا متصلا « طال .. وان كان لن يطول فلكل شىء حدود » .

وكنا سنكابد تضحيات بالغة لو استمر القتال ، ولكنها كانت تهون فى سبيل استنزاف أعدائنا وحصولنا بالقوة على ما اخذ بالقوة .

ومضت السنوات وذهبت هبثا كل المحاولات .

ثم « كلاكيت ٢ » ونحن على أبواب انتخابات الفترة الثانية لرئاستك فى نوفمبر ١٩٧٢ .

قيل : « معلهش » كان « نيكسون » يخطب ود اسرائيل خلال فترة رئاسته الاولى حتى يضمن اصوات اليهود الامريكيين واثر نفوذهم المادى والمعنوى فى انتخابات الفترة الثانية . وهذا « كلام » قيل « رسميا » لا بين الكواليس فحسب . ألهذا بلغ المدى .. فبماذا نعلق ؟ هل نقول : عيب ؟! .. واستمر القائلون يذيعون انك - ياسيدى - بعد نجاحك فى الانتخابات الامريكية وتوليك الامر وابتداء من يناير ٧٣ فلا عقبات امامك ولا مخاوف ولا اطماع وانك سوف تفرض السلام على اسرائيل فرضا وتحل المشكلة خاصة وانك قد فرغت لتوك من « ورطة » فيتنام .

ونصارحك - يافخامة الرئيس المهيب - اننا فى هذه المرة لم نصدق المرجفين .. وان كنا راغبين - حقيقة - فى حل عادل حاسم .. فى « معجزة » !

غير انك لا تملك « المعجزات » .. نحن أصحابها اذا عزمنا واعددنا لها أسبابها وتوكلنا على الله ! ..

على أن الامور منذ فترة رئاستك الثانية - ورغم كل شىء - سارت الى اسوأ مما نظن ، حتى بات سوء ظننا فى فخامتك شديد التواضع ! اكرر واوضح : سوء الظن هو المتواضع .. وليس « فخامتك » .. لاسمح الله !

هل انت محتـــاج الى امثـلة للتدليل على صـدق قولى ؟ « وصدقنى » اننى اتحدث « بصدق » ؟

والصدق قد يكون لغة « شوارع » بينما « الدبلوماسية » قد تعاف هذه اللغة وتنكرها ولكنى ـ يا سـيدى ـ لا املك سواها .

اليك مثلا واحدا وحديثـا . « سينـاريو » مذهـلا بعيـد التصديق ، ولكنه « وقع » فعلا وكنت انت بطله !

المنظر الاول : الزمان : بعد ظهر يوم الاربعاء ٢١ فبراير ٧٣ .

المكان : سماء سيناء المصرية .

طائرة ركاب ليبية مدنية مسالمة ضلت طريقها. انحرفت قليلا. ٤ طائرات فانتوم اسرائيلية تحاصر الطائرة . تامرها بالهبوط .. تبدأ الطائرة فى انزال عجلاتها . يتلقى الطيارون امرا رسميا من الحكومة الاسرائيليـة برئاســة جولدا مائير يقــول : اضربوا الطائرة المدنية . تطلق الطائرات الفانتوم ـ المتبرعة بها امريكا ـ صـــواريخها على طائرة الركاب البريئـة والابرياء . تنسـفها . تسقط على بعد ٢٠ كيلوا مترا شرق القناة . الضحايا اكثر من مائة قتيل . تعترف اسرائيل ـ بل تتباهى ـ بالجريمة البربرية البشعة . العالم يدين اسرائيل . يغضب . يكشفها على حقيقتهـا ويطالب بالعقاب .

فما هو رد « فعلك » ـ يا فخامة رئيس الفترة الثانيـة التى لا تعبأ باليهود الامريكيين وباسرائيل ـ ازاء هذه الجريمة الشنيعة الوحشية التى تحرك حتى الحجر ؟

تجىء الانباء « صرح جيرالد وورين المتحدث باسـم الرئيس نيكسون ان البيت الابيض يقلقه بالطبع اى حادث من شـانه ان يشل وقف اطلاق النار وامكانيـات تحقيق تسـوية سـلمية فى الشرق الاوسط » و « بس » !

ويعيش البيت الابيض فى « تبات ونبات » وتقتل اسرائيل في كل يوم المئات من الصبيان والبنات !

المنظر الثانى من « السيناريو » العجيب !

« زوم » الكاميرا على فقرة من مقال لجريدة صنداى تلجراف البريطانية بتاريخ ٢٥ فبراير ٧٣

« فى استطاعة جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية أن لتوقع التعرض لتأنيب حاد من جانب الرئيس الامريكى نيكسون حينما تصل هذا الاسبوع الى البيت الابيض لاجراء محادثات مع المسئولين الامريكيين »!

الزمان : اول مارس ٧٣ .

المكان : البيت الابيض « الموقر » ـ وما أرخص الاسماء والألوان ـ فى واشنطن .

استقبال « خرافى » حار من الرئيس الامريكى ـ فخامته ـ للقاتلة جولدا مائير !

لاعناق ـ بحكم الذكورة و « الانوثة » ! ـ ولكن ثمة ما هو ادهى من العناق !

يقول الرئيس الامريكى المحترم ـ فخامته .. رغم أنف الجميع ـ لرئيسة اسرائيل متحدثا عن المشاكل . أية مشاكل ؟!

« اننا نواجه مشاكل كبرى لأن كل انسان يريد ان يزورك ويريد أن يراك . وقد كسبنا مائة صديق والف عدو لان كثيرين كانوا يريدون الحضور »

يا سلام ! ما هذا ! ما هذا ! قليلا من « الاحتشام » يافخامة الرئيس !

و « لسه » !

فى مأدبة « التكــريم » التى أثارت عــداوة وغضب « الذين لم يدعوا اليها » يقول بطل السيناريو الفذ الذى هــو فخامتك دائمــا :

« اننى أشيد بالزعامة التى بنت دولة اسرائيل . هـــذه الزعامة ستكون لها « عبقرية » التوصل الى سلام فى الشرق الأوسط ان My Fair Lady لعبت دورا هاما فى اسرائيـــل فى المــاضي وســـتلعب دورا خطيــرا فى الســـنوات القـــادمة لا بالنسبة لبلادها فحسب بل بالنسبة للشرق الاوسط والعالم كلــه » !!!

ثم شيك على بياض منك يا سيدى - شخصيا وبصفتك - الى زعيمة الارهاب فى اسرائيل وفى الشرق الاوسط وفى العالم كله .. بأى عــدد من الطــائرات والأسلحة والدولارات « مع تعويض عن نسبة انخفاض الدولار ! » .

وتمنحكم القــاتلة « المحنكة » بركاتهــا وتصرح بأن اسرائيــل حصلت فى عهد نيكسون - الاول والثانى - على ما لم تحصــل عليه منذ نشأتها وتاريخها « الاسود الدامى » ..

انتهى السيناريو الفخم الواقعى ومبروك البطولة والعــرض المستمر !

واذا كان هذا الجانب من رسالتى مشوبا بالسخرية ، فان الموقف كله - ياسيدى - من سخرية القدر ! ولعله من سخرية القدر أيضا اننا كنا - نحن العاطفيين فى هذه المنطقة الحساسة من العالم - لا نرغب فى نجاح الانتهازى المــزايد « غريمك » همفرى لاننا كنا نأخذ عليه - ويبغضنا فيه - « غــزله » فى اسرائيل بمناسبة وبدون مناســـبة ووصفه لها بأنها « الواحـة الخضراء » المرموقة وسط الصحراء ، والمنارة فى الظلماء !

ثم كان ما كان منك .. ويا لسخرية القدر !

وبعـــد ..

لعلك تتساءل : ولمـاذا لايتناول كاتب الرسالة ـ رجـــل الشارع ـ فى رسالته الجريئة ، حادث الخرطـوم الذى هـددت فى صدده بنسف السد العالى ؟!

سيدى .. نحن ضد القتل . نحن انسانيون فعــلا لا ادعاء . فهل الحكومة الامريكية كذلك ؟ اننى استعير كلمة نابضة لوزير اعلامنا قالها بهـذه المناسبـة واعجبتنى . واحسبها تعجب كل انســان حر : « لا تقـولوا للعـرب لا تثـاروا قبـل أن تقـولوا للمعتدين لا تعتدوا » ..

أنت حزنت لمقتل سفيرك فى الخرطوم . وصدقنى اننـــا حزنا كذلك ..

ولكننا لن نحزن حين تتعرض « المصالح الامريكية » الوفيرة للخطر والشلل والضرب فى منطقتنا المظلومة .. واقســم لك ـ رغم تراخى الامر ـ ان هـــذا الامر وشـــيك ، فان الزفرات ـ ولا محالة ـ ستتحول سلبياتها الى ايجابيات .

نحن لا نهدد بل نحن ضحايا التهديد والاستعلاء والاهمـــال والازدراء . نحن فقط ندافع عن أنفسنا .

الا ترى معى ـ يا سيدى يا راعى « المصالح الأمريكية » ـ ان هذا هو الطريق . حتى تفيق ؟!

وبعدها سيكون لذكرياتك الجميلة ، عن مصر ... معنى !

واليك تحياتى ، واطيب تمنيات قلوب مصرية خالصـة تتعبـد فى محراب الله .. والخير والسلام .

١٠/٣/٧٣

كلام مليان فى الفاضى

حقيقة لست ادرى ، بينما تتفاعل فى فكرى مشاعر وفى قلبى خلجات واشرع فى الحديث الآن ، اهو كلام مليان فى الفاضى أم كلام فاضى فى المليان ، اهو كلام مليان فى المليان ام فاضى فى الفاضى ! فاختيار العنوان جزافى اذن ، كأنما اختير « بالقرعة » ! ما اتبينه ان ثمة « شحنة » نفسية تتجمع وتضغط على ، تتصاعد وتريد أن تتنفس ولا أقول تتفجر !

وهى لا تصل ـ عادة ـ الى هذه المرحلة الا اذا كانت مؤثراتها تراكمت ، وحرك جديدها قديمها ، وأشعل قديمها جديدها ! ومن متناقضاتها أن تراكماتها ـ هذه الافكار والمشاعر ـ يتسع صدرها ويتسع أفقها ، ثم فجأة ـ ولأوهن الاسباب التى طالما تحملتها ـ يضيق الصدر فيضيق معه الافق .. او ربما العكس ! ولكن أو ليست هذه هى سنة الحياة .. او الطبيعة البشرية وضعفها ؟!

ولست « اتفلسف » . انني فقط « احايل » الكلام وابحث من « مدخل » لما فى داخل النفس ! هذه هى بعض مزايا الكتابة ، فلماذا نبددها ؟ القارىء الكريم يتوقعها ـ أو قد ينتظرها ـ منا بين الحين والحين . من حقه علينا ، ومن حقنا عليه ان نبثه بعض الهموم لا لنركبها له بل لنفرجها عنا وعنه ! ولقد تأخذ هذه

الهموم احيانا صورة الاعترافات . وكأنما لى وقفة سنوية مع النفس . كأنما اعيش موسم الاعترافات وما يشبه الاعترافات كل عام . فى كتاب رحلاتى كان لى « اعترافات الخمسين » ولعلها وجدت أصداء لدى قليل من ابناء جيلى السياسى والاجتماعى المصرى . ويبدو أن البعض مع قدوم الربيع « يحب » ، والبعض الاخر مع قدومه « يعترف » !

المسألة نسبيه .. فى الناس والسن على الاقل !

و «استسمح» القارىء العزيز فى الاستطراد والاسترسال فضلا عن كونهما أصبحا - فى مناسبة أو أخرى - « داء » استسلم له طواعية ، فاننى هنا بالذات اود ان اتحدث على سجيتى بغير شكليات او ضوابط ! ولربما « احوم » حول معان مقصودة أو غير مقصودة خلال ما يظن انه مقدمة او كلام مرسل - مليان او فاضى - بغير تعمل او ما يسمى « حذقنه ! » وربما أصل فى فقرات تالية الى « كبد حقيقة » واعماق بين التراكمات دون تزويق ولا لف ودران !

والعلاقة بين الكاتب والقارىء ذات نوعية خاصة . نردد : عزيزى القارىء .. صديقى القارىء فهل الصداقة قائمة .. نعم ، ولكنها ليست صداقة « شخصية » .

بعض الكتاب يأخذون فى انفسهم « قلمين » ويتصورون انهم يحتفظون فى جيبهم اليمين بعدد خمسين الف قارىء مثلا ، وفى جيبهم الشمال بخمسين الفا آخرين وهكذا ! وانهم اذا توقفوا عن الكتابة و « اللاغاة » لم تطلع الشمس .. وأصدق ما يوصف به مثل هذا النوع أنه دعى مغرور غليظ !

والقضية ليست « حساب » العدد والنصيب .. فامره فى علم الله وتقديره ، وانما القضية هى « الايمان الصادق »

بقيم ومبادىء وثقافة ومعاناة ورسالة سواء تم التعبير عنه بكلمة أو كلمتين او بمجرد السلوك !

ومن الطبيعى ان يكون لدى القراء كتاب يحبون ان يقراوا لهم . غير أن الصداقة ـ وأكرر ـ ليست شخصية . ولست اتهم القراء فى هذا بعدم الوفاء .. ابدا .. ان وفاءهم ـ وبالتأكيد وبالتجربة عبر الاقلام المخضرمة والشابة ، القديمة والجديدة ـ عميق الجذور للكلمة الشريفة الناضجة المفيدة فى ذاتها ايا كان صاحبها . ولعلى اذا كنت قد «فاليت» بعض الشىء فى « التركيز » على الكلمة ايا كان كاتبها ، وفى « تسطيح » العلاقة الشخصية بين القارىء والكاتب ، فانما لأحد من « غلواء » بعض من يظنون انهم مبعوثو العناية الالهية لمخاطبة القراء !

ولنأخذ « وشائج » اخرى فى هذا المجال . امامنا علاقة الكتاب والفنانين بعضهم ببعض . هل هى انسانية مثالية ؟ هل قوامها المتابعة والتقدير المتبادل ؟ الحق اننى لا استطيع الاجابة ب « نعم » أو ب « لا » ولست انسب « نعم » الى « الشللية » ولا أرجع « لا » الى الجفاء . ربما هى مشاغل الحياة كلما صفت .. صفت النفس والاهتمامات ، والعكس صحيح !

مثلا ، اذا اهدانى « مؤلف » كتابا له .. فمن حقه على ان اقرأه ، وعلى اى الحالات فاذا لم يتسع وقتى لقراءته اتصل به لاحييه او اشكره . ومع هذا فقد يفوتنى اداء هذا الواجب احيانا ـ كما يفوت الكثيرين ـ بغير قصد .

ولم أعد « اتاثر » عندما اصدر كتابا أو ديوان شعر واهديه الى عديد من الناس ـ وما اكثر ما افعل ! ـ دون ان اخطر بمجرد « التسليم » ! هكذا علمتنى و «ادبتنى» الحياة والتجربة . ولم اكن هكذا حين اصدرت ديوانى الأول فى سنة ١٩٤٧ ايام

« عنفوان » الشباب ! اذكر اننى بعثت به وقتئذ الى « كوكب الشرق » سيدة الغناء العربى ام كلثوم حبا وتقديرا ، لا بغية اختيار قصيدة أو أخرى للغناء فما احسبنى فكرت فى يوم من الايام ان « يغنى » شعرى او ان « أنظم » خصيصا للمطربين والمطربات ، على ما قد تضعبنى فيه « مواصفات » النقد الحديث من اننى ادور فى دائرة « الشعر الغنائى » !

ومرت اسابيع دون أن اتلقى من السيدة ام كلثوم ما يفيد انها « تسلمت » الديوان . وعز على الامر ! وامسكت بالقلم — منفعلا — وارسلت اليها خطابا يحمل هذه الابيات الثلاثة فحسب .. مع توقيعى

البيان الحلو والصوت الجميل
والشعور السمح والفن الأصيل

كل هذى اعرضت عن شاعر
لم تنل ديوانه حق القبول

ايها الديوان : عد او لا تعد
لست وايم الله بالضيف الثقيل !

وقبل مرور أسبوع تلقيت منها ردا بالغ الرقة هدأ « ثائرتى » وان كنت تعلمت بعده ان أستمر فى الاهداءات دون « ملاحقات » شعرية أو غير شعرية ! ورغم ذلك ، « فاعترف » اننى حتى مع ديوانى الاخير « خماسيات عربية أوربية » الذى أصدرته فى بداية سنة ١٩٧٣ وأهديت منه أكثر من مائة وخمسين نسخة ، كنت « اترقب » من عدد لا يزيد على أصابع اليدين أو اليد الواحدة دون غيرهم — فهم من خيرة من احبهم وأصفى لهم الود دائما — « كلمة حلوة » فى تليفون أو لقاء ، حتى ولو على سبيل المجاملة و « جبران الخاطر » ولكنهم لم يفعلوا ! هل

« ضنوا » بها ؟ ابدا .. انما هي « اعباء الحياة » . هل نقص حبى لهم وتقديرى ؟ أبدا .. انما هو « العشم » .. وفرط الاحساس لا « بالذات » بل بأثر الكلمة الحلوة المشجعة !

وارجوك ألا تتصور أننى صياد أو قناص « ثناء » بالحق وبالباطل! علم الله انني زاهد فيه على اطلاقه . واذا حاوله انسان معى غيرت مجرى الحديث على الفور . انه فقط الحد الادنى المعقول من « حساسية » شاعر طبيعته العاطفية تغلبه ، ولايملك الا حب الشعر والناس لوجه الله ..

ولعلها أن تكون انتهت « شطحات » الاستطرادات !

وبعد .. فأين « الهموم » التى وددت أن أبثها للقارىء الكريم ؟

امامى مظروف طويل عريض يطوى داخله ورقة واحدة مساحتها بالتمام والكمال ٥٠×٦٠ سم ، فهى اقرب ما تكون الى « مجلة حائط » ! ولو كانت الورقة « المنشور » تحمل توقيعا حقيقيا لكان يمكن ان تلقى اهتماما أو احتراما ولكنها « غفل من الامضاء » الا كلمة « اللجنة » . والمنشور معنون الى ١٨ جهة مختلفة ولعلى التاسع عشر ! و « الضحية » التى يكيد لها من وراء المنشور ـ واحدا كان أو أكثر ـ ويراد لها أن تنسف نسفا « مهندس » يرأس شركة من شركات القطاع العام و « بالحبر الاسود » وبمنتهى « الحقد » لم يترك هؤلاء « المثيرون » نقيصة او جريمة او « تهمة » الا وحاولوا الصاقها بالمهندس المسكين . لص ! مختلس ! مستغل نفوذ ! سيىء الادارة متآمر على النظام ! يجرى وراء النساء وملكات الجمال ! الخ الخ ..

كل هذا بمنطق « أى طعم قد يغمز » أو « العيار اللى ما يصبش يدوش » او « مفيش دخان من غير نار » ..

هكذا « تربى » هؤلاء القلة مريضو النفس .

ومن المؤسف حقا ان مجتمعنا لم « يتطهر » بعد من امثال هؤلاء الطفيليين « الواغش » ، وهم على قلتهم وضآلة شـأنهم يريدون أن يكونوا شيئا مذكورا .. ولن يستطيعوا أبدا ، « فما كان لله دام واتصل ، وما كان لغير الله انقطع وانفصل » كما يقول النبى عليه الصلاة والسلام .

وقلما تجد قطاعا من القطاعات يخلو من « الواغش » الذى يحاول ان يطل براسه ويتطاول . يدس . يفتات . يعرقل . يبلطج . يثير الخ .

من سلم من أمثال هذه المنشورات المجهولة التى تتعمد الاساءة ؟ لقد تعرضت كما تعرض كثيرون غيرى لهذه الاساليب الرخيصة الدنيئة .

وهزأت حينا وسخرت ، وأسفت حينا وحزنت . لكننى ابدا لم افقد ايمانى بالخير والقيم الانسانية والجموع التى تمثلها . ورحت « أصبر » وأعزى نفسى بالشعر .

اتخلص ؟ ترعى الله تخشى المحـارما ؟
وتزهد ؟ فازهـد ! لست تعدم ناقمـا

وتعدل ؟ فاعدل ! هـل توهمت انمـا
سلمت ولم تحسب لدى البعض ظالما ؟

اذا خلت ان الخـلق يرضـون كلهم
كفى بـك داء انمـا عشت واهمـا

فيـا صـاح لا تحزنك فتنـة ناقـم
وخسة موتور وحقـد شيراذما

سنخـــائم .. منشـــورات طعن وفرية
مجهـــلة ردت اليهم هـــــزائما

وفى الحق اننا نصادف فى حياتنا « منشورات حية » من امثال هذه « المنشورات المجهلة » !

هؤلاء المثيرون المنثورون «وحدانا» فى عديد من المواقع . وهم انواع .. «خبائثهم» مشتركة ــ عادة ــ وان كانت «التخصصات» تتصدر فى بعضهم عن البعض وفقا لتضاريس « الرذالة » !

منهم مروجو الشائعات ، وكتاب العرائض والمنشـــورات والتقارير الخ ، المتاجرون ، والمزايدون ، والصائدون فى المـــاء العكر ، والمتشنجون ، والذين يسوقون « الهبالة على الشيطنة » ، والانتهازيون والافاكون والافاقون ، والوصوليون ، والطامعون ، والمعقدون ، والادعياء ، والمفرضون .. الخ الخ .

و « كله » باسم الحرص على المصلحة العامة . بينما هم لا تدفعهم ــ فى الأغلب ــ الا الأحقاد والرغبـــة فى « الطوفان » وان يجعلوا « عاليها سافلها » عسى ان يصيبهم من ذلك نفـــع خـــاص !

انهم ــ كما اسلفت .. ومتأسف لهذا التجميـع والتصنيف وباختصار ــ « واغش » !!

كم من الوقت والجهد يضيع هؤلاء على المجتمع ؟ هـــم لا يعملون ولا ينتجون او لا يحسنون العمل والانتاج .. هذه قضية مفروغ منها ، ولكن « هوايتهم » محاولة استنفاد طاقة الاخرين فيما لا طائل وراءه .

ولست ازعم ان كل شيء على ما يرام فى كافة المواقـــع ولكن العـــلاج لا يتم باللجج وبالاساليب الرخيصة . وآه لو

خلصت النوايا لدى الجميع . لو حدث هذا ـ وياليته يارب ـ لما وقعت « النكسة » أو على الاقل لاستطعنا ـ سريعا ـ الخروج من النكسة .

النكسة ؟ وكانى اسمع نفرا يتساءلون : حتى هنا « تقحم » النكسة ؟

وهل يشغل البال والامال الا الخروج من النكسة ؟

« قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله »

نعم فيم اكتب فيم انظم فيم افكر فيم احلم .. فانها مصر ...

ولقد لاحظ على ذلك واحد من الزملاء فقال لى مداعبا : يبدو أنك لن تسكت الا اذا « تجسدت » لك مصر وقالت : لماذا أنت « حارق » قلبك هكذا ؟ فلقتنا !

وبعد .. هذه « المعوقات » ـ رغم مصاعب العمل ومشكلاته .. وما اكثرها واحدها بالنهار وبالليل ـ مقدور عليها على أى حال ، ويتسع لها الصدر ما دام المرء يسير فى طريقه المستقيم لا يلوى على شىء الا راحة ضمير ، وان ضاق بها ذرعا فى بعض الاحايين .. لأنها قد لاتوقفها كلمة طيبة أو نصح أو « نكتة » او تجاهل .. انما يوقفها استمرار « العمل الصالح » وعلى مستوى المجتمع كله .. هذا وحده ـ وبجهد منظم خارق طبعا ـ الذى يمكن أن تختفى معه « سفالات » بعض اليمين و « حماقات » بعض اليسار !

ولا اظننى ـ رغم الاسترسال ـ قد « افضيت » بكل ما عندى فى هذا الكلام الفاضى او المليان !

٧٣/٣/١٧م

ارتفاعا الى مستوى الموقف

استوقفتنى تصريحات « مباشرة » أدلى بهـا ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل .

واقول « مباشرة » وان بدا انسب ان تسمى « شديدة الاستفزاز » . غير اننا مستفزون اصلا ــ وحتى الثمالة ــ بحكاية اسرائيل وامريكا من كافة جوانبها ونتائجها وردود فعلها بحيث لم يعد هناك مجال لمزيد من الاستفزاز والاثارة .

فى هدوء أعصاب وفى غير اخفاء أو « دبلوماسية » اراد ابا ايبان من جديد ــ وبشكل قارح ــ ان يثير أعصابنا ، وكأنما يقول : أرونا ماذا أنتم فاعلون ؟ فقد أعلن ايبان ان هناك اتفاقا كاملا بين أمريكا واسرائيل حول الخطوط السياسية العريضة التى ينبغى اتباعها فى الشرق الاوسط . واضاف ان نشر الصحف الامريكية لتفصيلات المساعدات الامريكية لاسرائيل دليل على عزم الولايات المتحدة لا مواصلة السياسة التى تعتبرها صحيحة فى الشرق الاوسط فحسب ، بل على اعلان هذه المساعدة كذلك باعتبار ان كل ما ينشر فى هذا الصدد له تأثير رادع فى المنطقة .

اى أن أمريكا تعمدت الاعلان عن صفقة الاسلحة والفانتوم والمساعدات الفنية لاسرائيل ليكون لها تأثير رادع على العرب .

ولم تكن تلك الصفقة الواسعة الجديدة ـ بطبيعة الحال ـ هى اول صفقة « اجرامية » بين امريكا واسرائيل ، ولا هى اول مرة يعلن عنها فى حينها ، ولكن الجديد هو « تعمد الاعلان » وتفسيره بانه قصد به ان يكون ذا تأثير رادع على العرب .

ولقد يمكن أن يقال : ولا نحن « ردعتنا » الصفقات ، ولا اعلان الصفقات ... ولا سوف يردعنا « العمد » . مطلوب منا أن نخاف وان نيأس وأن نستسلم ، ولكننا ابدا لن نخاف ولن نيأس ولن نستسلم .

ويمكن أن يضاف أيضا : ان امريكا ـ سياسة وساسة ـ لم تعد تتمتع فى هذه المنطقة العربية الا بالكراهية الشديدة التى لها مائة مليون سبب .

ولكن الواقع ان الأمر خطير بالغ الخطورة ، متفاقم الى أبعد الحدود . وليس بالقول ـ ولا بالشعارات ومجرد التأبى ـ نواجه موقف حاد كهذا يتوقف عليه « مصير العرب » بالمعنى الحرفى للكلمة .

ودعونا من الحق والعدل وميثاق الامم المتحدة فى عالم نسخر من أنفسنا لو حسبناه يعترف بشيء سوى المصلحة والقوة بالدرجة الاولى .

الولايات المتحدة الامريكية تعادينا بوضوح لأنها ـ حتى الآن ـ لاتجد من الاسباب ما يجعلها تخطب ودنا . وأمريكا هذه هى « أكبر قوة » فى العالم أو احدى القوتين الكبيرتين فى العالم ولا قبل لنا ـ طبعا ـ بالدخول معها فى حرب مباشرة .

على انها تكاد تعتبر داخلة معنا فى مثل هذه الحرب بما تصنعه مع اسرائيل . فأمريكا تؤمن بان اسرائيل المدعمة المقواة ـ ذات الهراوة ـ هى افضل ضمان لمصالحها فى الشرق الاوسط .

وهذا صحيح الى حد بعيد من وجهة نظر أمريكا ، مادمنا نكفل لها ــ بسلبية غريبة ــ السلامة والأمان لمصالحها التى تكمن بين أراضى العرب . فكأنما نعطيها مزيــدا من الضــمان والاطمئنان مثلما تفعــل اسرائيل وان اختلف « التشــخيص » بين الايجابى والسلبى . وعلى الجانب الآخر : العرب ممن لهم مصالحهم الذاتية والحيوية فى البترول الذى هو الذهب الاسود والذى تتوقف عليه حياتهم الحالية .

فماذا لو طارت حياتهم « شعاعا » و « هباء » فى المدى القريب والبعيد ؟ أعنى يوم ان تسود اسرائيل المنطقة تماما ــ لاقدر الله ــ فماذا يبقى لهم من ذهبهم الأسود ومن حياتهم ؟ « وللتبسيط » وللايضاح أقول انه عالم يصنع العرب ملاك البترول شيئا حاسمــا اشبه بالاتفاق المقدس المدروس المخطط « يوجســون » به أمريكا ويشعرونها ــ بحق ــ أن مصالحها مهددة تماما فى المنطقة العربية فانها سوف تمعن اكثر فأكثر فى « تمكين » اسرائيل ، وفى وضع المصالح الامريكية بالمنطقة العربية تحت اشرافها ــ أى اشراف اسرائيل ــ المباشر سنة بعد أخرى بحكم التوسعات التى لا تقف عند حد • ولا يقولن احد ان هذا ليس من أهداف اسرائيل ، فان الذى يقول مثل هذا القول عليه أن يذكر أن احتلال الضفة الغربية والجولان وسيناء لم يكن من اهداف اسرائيل .. كما كانت تذيع قبل عدوان يونيو ٦٧ .

وعلى العكس فان ضرب المصالح الامريكية فى المنطقة العربية سوف « يلزم » أمريكا ان تضرب هى الاخرى على يد اسرائيــل وتكرهها على الانسحاب ، لانها ــ عندئذ ــ لن تكون ضمانا لمصالح امريكا فى الشرق الاوسط ، بل يصبح العرب هم مالكى المبــادأة ومركز القوة .

ولسنا نتحدث في هذه القضية من وجهة نظر « مصرية » ، فاننا نستشف ضمير الامة العربية كلها ومستقبلها . ولقد عشنا حياتنا وثورتنا ـ كما قال الرئيس أنور السادات وكما يسجل التاريخ المعاصر ـ للعرب ، وضحينا وسوف نضحى للقضية العربية .

ولسنا نهون من « فداحة » التضحيات التى يتطلبها « اشمار » امريكا بأن مصالحها البترولية وغير البترولية فى المنطقة تتهددها الاخطار والاهوال ، ولكننا ايضا لسنا نهون من أثر ذلك ومن جدواه المؤكدة ، فضلا عما تقتضيه « ضرورة » ارتفاعنا الى مستوى الموقف المصيرى .

ان أزمة الطاقة البترولية تشغل بال امريكا والامريكيين ليلا ونهارا كما تطالعنا به وكالات الانباء حتى أن الرئيس نيكسون شخصيا قد خول حق توزيع البترول بالبطاقات لمنع تعرض أى قطاع فى أمريكا لنقص الوقود فى وقت تواجه فيه عجزا فى مصادر الطاقة .

ومما يلفت النظر ما كتبه أحد المعلقين « بالهيرالد تريبيون » تحت عنوان « مجلس الشيوخ الامريكى يبحث أزمة الطاقة وأثرها على علاقات أمريكا بالشرق الاوسط » . وقد جاء فى المقال المذكور « لقد زار السناتور فولبرايت ومساعده فى اللجنة سميث تيلمان الذى يركز على الشرق الاوسط كلا من المملكة العربية السعودية والكويت وأبو ظبى فى شهرى نوفمبر وديسمبر ١٩٧٢ وهذه الدول الثلاث تمتلك أكبر احتياطى للبترول فى العالم . وتشعر بعض الدوائر بقلق متزايد خشية أن يؤدى التزام أمريكا تجاه اسرائيل الى تعريض موارد الطاقة الامريكية فى الشرق الاوسط للخطر ... » .

وليس من حسن السياسة ولا بعد النظر ان نبدد « الكروت » التى فى أيدينا أو ان نسلمها الى اعدائنا •

اننا هنــا فى مصر ماضون فى تأهبنا لخوض المعركة ، ولكن للمعركة جبهــات عــديدة ينبغى ان نحسن حشـــدنا وتوقيتنا واستخدامنا لها •

ولنذكر من هو عدونا ، ولنعد له ما استطعنا من قوة ••

٧٣/٢/٢٢

مدرسة الرمل بالاسكندرية

فجأة تدافعت الذكريات ، وكأننى أسبح مع التيار — وضد التيار — فى نهر من عسل مصفى ! حتى بعض « الكدر » الذى كان يعث و « ويعبث » بالنهر — مع زمنه ومنبعه القديمين — طواه الآن ، وأصبح له — على مرارته حينئذ — حلاوة الذكريات . ولن تبرح « الكلمة المكتوبة » — أساسا — هى المفتاح السحرى لتحريك هذا الجهاز المشترك بين العقل والقلب ، الذى نسميه حينا « الفكر الخصيب » وحينا آخر « العاطفة المفكرة » : يتحرك هذا الجهاز على موجة قصيرة او متوسطة او طويلة للماضى فتومض الذكريات ، ويتحرك على موجات مشابهة للمستقبل فتلمع الآمال — خاصة وعامة — والامنيات ! والكلمة المحركة قد نقرؤها فى كتاب أو صحيفة أو حتى فى « بطاقة دعوة » فتحدث هذه الموجات المختلفة والآثار .

كنت اقرأ فى الصحف سطورا من « اسخى » و « اعدل » ما حملت يومها . كانت تقول « وافق مجلس الدولة على اتجاه الهيئة العامة للتامينات الاجتماعية فى اعتبار حالات الاصابة بسبب المجهودات التى تؤدى الى الوفاة مثل الذبحة الصدرية او الجلطة اصابة عمل يحسب فيها المعاش بواقع ٨٠٪ من المرتب والتأمين الاضافى بواقع ١٥٠ فى المائة من قيمته . وتبحث وزارة الخزانة فتوى صادرة من الجمعية العمومية لمجلس الدولة

تقضى بانه يجوز للمصاب أن يجمع بين معاش الاصابة والاجر دون قيد ولا شرط ودون حد أقصى » .

وهكذا تغدو التأمينات الاجتماعية « مظلة » - بحق - تضارع اكرم المظلات تقدما وانسانية واشتراكية فى الدول الغنية والمتحضرة والفاهمة كالسويد مثلا .

ففى السنوات الاخيرة اعنى - ربع القرن الاخير - اخذت أصابات الذبحة الصدرية تتزايد بالاخص بين سن الاربعين وسن الخامسة والخمسين الى درجة تستلفت النظر والقلق . امسى عدد الذين تدهمهم الذبحة والجلطة نسبة مئوية ملحوظة بين الاعزاء الذين يسقطون بين ايدينا . واذا تصورنا ان بعضا منهم « يخترمهم » الموت او المرض لاسباب وراثية أو عضوية بحتة فان الغالبية العظمى ضحايا لمجهودات أعباء العمل والضغوط النفسية ومن هنا وجه العدالة فى التعميم اذ تمتد مظلة التأمينات الاجتماعية لتشملهم جميعا .

وعندما تصبح الرعاية الاجتماعية تشريعا وقانونا لا مجرد « اريحية » تقديرية تعلو وتهبط وفقا للمزاج الشخصى او القدرة المالية ، فهذه هى « عين » العدالة الاجتماعية .

و « استطرادة قصيرة » فى هذا الخصوص ! اذكر انه ما من مرة عرضت على - بصفتى - حالة من حالات الوفاة والاصابة الا واهتز القلم فى يدى . تثب الى مخيلتى صورة من أوجع وأشجع ما قرات فى كتاب هو رواية « اعيدوا لنا هذا اليوم » التى صورت للسينما .

واقول : أعيدوا لنا هذا الفيلم ! ليته يعاد عرضه مع « فانتازيا » التى ذهبت دعوتى لاستيرادها وعرضها « صرخة فى واد » !

والموقف الذى « يشيب » هو موقف ارملة عامل البناء وبطل الرواية الذى غرق فى بحر من الأسمنت وخلف « دستة »

من الاولاد ، وهى تسمع لقرار مجلس ادارة شركة البناء بمنحها تعويضا قدره كذا ، فتلتفت الى أعضـــاء مجلس الادارة فى أسى مصدوم شجاع مستخف وتقول : ماذا تعرفون انتم ـ ايهــا المرفهون ـ عن أحزاننا وحاجتنا حتى تقدروا كذا وكيت ؟!

نعـم ، كم من الاعـزاء ـ اقرباء واصـدقاء ـ رحلوا عنا مطعونين بطعنة الذبحة النجلاء ولم نستطع أن نحرك ساكنا فى « معاش » أراملهم وابنائهم ...

وسرحت ...

ثم تلقيت فى نفس اليوم واللحظة « بطاقة دعوة » جاشت معها الذكريات ! مدرســـة الرمل الثـانوية بالاسكندرية والتى اصبحت تسمى الآن مدرسة الناصرية الثانوية ، توجه الدعـوة الى لحضور يوم الخريجين خلال ايام ...

ولست أدرى ما اذا كنت مستطيعا اعداد « قصيدة » عن مدرسة الرمل الابتدائية والثانوية معا .. عن مرحلة من أزهـر المراحل وبقعة من اعز البقاع ، ولكن الذى اثق فيـه أن لرمـل الاسكندرية فى كل نبضتين من نبضات القلب نبضة على الاقل !

ولربما كان الاوفق أن تنسب هذه الدعوة الخاصـــة الى « اليوبيل » زيادة فى الاحتفاء بمناسبة تنتهز ولا تتكرر . واذا لم تخطئنى الذاكرة والدقة فان لمدرسة الرمل الابتـــدائية التى تحولت الى ثانوية خمسين سنة على انشائها ... أى انها تزدان بحلية يوبيلها الذهبى ، فلعل عمرها من عمرى !

اما العلاقة بين « الذبحة » وبين ذكريات مدرسة الرمـل فلان « اقوى » نظارها شخصية .. أستاذنا محمد نبيه الشيمى مات بالذبحة فى سن الستين منذ سنوات طويلة ، كما ان احـد ابطال « معاركى » و « شقاوتى » معه مات ايضا بالذبحـة فى

سن الثامنة والاربعين منذ عامين .. وهو المرحوم مصطفى ثابت مدير عام الشئون المـالية بشركة غزل كفر الدوار .

جاءنا نبيه الشيمى ـ رحمه الله ـ بعد بدء العام الدراسى لسنتى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ باسابيع قليلة ومنذ اللحظة الاولى راح يستعرض عضلاته و « يشكم » الطلبة « العفاريت » بالكثير من الشدة والحزم ، وكنت فى طليعة الطلبة العفاريت المشكومين فى سن وعصر .. كانت « الشـــقاوة » فيهما هى الاســـاس « الصحى » !

وكنت اتراسل مع قريبى وصديقى مصطفى ثابت ـ رحمه الله ـ بمعدل خطابين « رايح جاى » كل اسبوع بآخر الانبـاء والتعليقات والقفشات والمراهقات وفى متوسط ١٦ صفحة بكل خطاب ! و « طيرت » انباء « القادم الجديد » الى مصطفى ثابت مع وصف تفصيلى يناسب المقام !

وبينما أجلس ـ فى أمان الله .. الا من بعض « معاكسات » على الماشى ! ـ داخل الفصل اسـتدعانى « ســاعى » الناظر فلم اتوقع الا الزوابع والاعاصير ! غير ان الامر كان ادهى فقد وجدت الزلازل والبراكين !

كان الناظر المرحوم محمد نبيه الشـــيمى جالســـا بمكتبـه محتقنا مزمجرا ! يمسك فى يده خطابا مرسلا الى من القـــريب الصديق الاعز . ويبدو أن « ثقل » الخطاب أغرى « باشكاتب » المدرسة فحدثته نفسه أن « يستكشف » بغير رقابة عسكـــرية مفروضة ! ويفتح و « يعاين البضاعة » ! وبالطبع وجـــد فيه « مالذ وطاب » وما قد يطوع له مزيدا من حرق البخور ومسح الجـوخ لحضرة النــاظر عســاه يذكره عنـد ربه فيحصــل على « الدرجة » المستعصية ! وبادرنى الناظر صارخا بأعلى صـوته « أنا ابن ... ؟ » فأجبته فى هدوء مصفر « لاسمح الله » !

قال تفضل ياسيدى ماذا يقول ابن عمتك . وبدأ يقـــرأ الخطـاب « عزيزى مصطفى . أما عن ناظركم ابن الـ .. فاحنا عارفينه كويس لانه جاءنا لمدة شهر في مدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا وكنا نسميه « الدوتشي .. » ! وذهبت هذه العبـــارة « التاريخية » فى مدرسة الرمل مثلا !

وعبثا حاولت اتنصل من الخطاب ومن مسئوليتى عنه بوصفى لم اكتبه ولم اطبعه ولم انشره !

لا .. لا بد أن تكون قد كتبت له بدورك ما هو « اشـهى » و « ادسم » وكأننا نحاسب على خلجات الفكر !

وعنها .. ورفت لمدة ثلاثة ايام .

ودارت الايام ، وقبل نهاية العام « ضبطنى » بمنشور «ثورى» ضد معاهدة ٣٦ يحمل صورة شهيرة لشاب يلبس القميص الاخضر ويكنس وزارة الوفد التى تحملت مسئولية عقد معاهـــدة الشرف والاستقلال التى لم نرض عنها ابدا !

وهدد ـ رحمه الله ـ بابلاغ النيـــابة وكان وفديا متطرفا وبالوراثة ، حتى أن والده « المشتوم » عليه رحمة الله ضـحى بأمواله فى سبيل الوفد والقضية الوطنية .

غير أن ناظرنا « ابن الأصول » ـ على شدته ـ كان انسانا عظيما بالمعنى وذكيا حـاد الذكاء فاكتفى « برفتى » ثلاثة ايام اخرى بعد أن « نشف دمى » !

وعندما انتقلت الى المدرسة العباسية الثانوية بعد « الثقافة العامة » وكنت ـ من كرم الله ـ قد « هدأت » واهتديت ، اخذت ازوره فى مدرسة الرمل واصبحنا اصدقاء !

ومن سـخرية القـدر انه راح « ينصـــحنى » بضرورة ان « اتشاقى » قليلا ولا اهدا هذا الهدوء « الدينى » المفاجىء والزائد !

ولقد كان لمدرسة الرمل - ابتدائية ثم ثانوية - عزوة ودولة وصولة بين مدارس الاسكندرية بل القطر المصرى .

وكان يختار لها عادة خيرة النظار والمدرسين لانها - بالفعل وبغير مبالغات « عصبية » - تضم طلبة من خيرة الطلبة فى الدراسة وفى الرياضة وفى النشاط الاجتماعى وفى المحاضرات الثقافية التى كان لى « حظ » المشاركة فيها برغم كل شىء ، وفى كل ما يتصف به الطلاب المثاليون . واتحدث هنا عن الغالبية ..

ولا احسبها الا « متمسكة » حتى الآن « بتقاليدها » الراسخة ..

وربما انتقل الى الدار الباقية معظم المدرسين الذين كان لهم فضل تنشئتنا . ربما لم أعد أذكرهم بالاسم ، ولكنهم هم - ولا جدال - الجنود الحقيقيون المجهولون وراء كل لبنة حسنة قد تكون غرست فينا . وربما - ايضا - لم أعد التقى كثيرا بزملاء دراسة تلك المرحلة العزيزة والهامة من حياتنا ولكنهم لا اقول احتلوا مناصب مرموقة فهذه مسالة قد تهم وقد لا تهم وقد يلعب « الحظ » فيها دورا ، وانما أقول بالحق انهم كانوا فى مجموعهم جيلا صلبا ونبيلا ومتفتحا .

وبعد ...

ماذا أقول فى مناسبة يوم الخريجيين لمدرسة الرمل ..

أقول ما عبر عنه شوقى « ارجعوا لى الصبا وايام انسى » .

٧٢/٢/٢١

خطة لدراسة أعدائنا

اخطر القضايا قد نستخف بها ، ثم نصوغ حولها « النكات » أو الشعارات الهازلة ! وقد نقع « فريسة » آراء مسبقة ، سواء أكانت مبتسرة أم غير متفتحة ، مع ان الفروض « مرونة » تناولنا وبثنا للاراء من واقع الحال والتطور والمعلومات ـ دون خوف او حجب ـ وليس المفروض « جمود » وتحكم وسيطرة آراء علينا . لا بأس ـ بل من الضرورى ـ ان تكون لدينا خطوط أساسية عريضة تواكب اهدافنا ونخطط لها ، كما يجب ان يكون التخطيط مرحليا .

ومن المحتم ان « نتشبع » ـ ونتفهم ايضا ـ ونتسلح بعقيدة متبتلة بديهية وفطرية مثلا : هل يمكن أن نختلف على عقيدة تتعلق بخلود هذا الوطن المصرى العظيم وضرورة نمائه وسلامة اراضيه ؟ ولكن كيف ؟ .. هل بمجرد العاطفة والوجدان والانفعال ؟ ولا ضير طبعا ان نتسم ـ قليلا ـ بهذه الصفات المميزة وكأنها وقاية حامية ، ولكن شريطة الا تصبح مضللة ومردية ! ولن يوقف حركة الكون ان نغمض اعيننا او نضع رؤوسنا فى الرمال . ولست أدعو الى فتح اعيننا « بالانبهار » ، وانما باليقظة والحذر والبصيرة والمسئولية التاريخية والارتفاع الى مستوى الموقف ..

افسر ! أخطر قضايانا هى ـ بلا شك ومنـــذ أكثر من ربع قرن ـ قيام دولة اسرائيل . فكيف تناولناها ؟

كنا نراقب الصراع ـ فى الثلاثينات وفى الاربعينـــات حتى سنة ١٩٤٨ ـ بين الفلسطينيين اصحاب الارض وبين اليهـود النازحين والمهجرين ، وكأنها « حكاية » تهمنا ـ ان همتنا ـ عاطفيا او دينيا فى ظاهر الامر .

واقول فى « ظاهر الامر » لأننـا حتى لم نتحرك لهـــا التحرك الدينى « العميق » الواجب . غير اننا ، على اى حال ، لم نفكر ـ او ربما لم نتصور ـ انها بعيدة الأثر على مصـــالحنا الخاصـة كدولة مصرية مجاورة ، ولا على وجودنا ذاته . مع أن كل الدلائل كانت تشير الى احتمال « ذلك » على الاقل .

ولم تكن فكرة العروبة قـد نضجت النضـوج الـكافى مع بداهتها ، ومن هنا اكتفينا بالتعاطف مثلما تعاطفنا مع الحبشة اذ دهمها الغزاة الفاشست ، او « للانصاف » كنا اكثر تعاطفا بحكم الجوار .

واسلم ان قضيتنا الوطنية المباشرة ضد الاحتلال البريطانى كانت تشغلنا .

على أننا ـ وقد استغرقتنا مشاغل وخلافات حزبية ودنيوية كثيرة ـ « فاتنا » أن نضع خطـورة قضية فلسـطين واليهـود موضع الاعتبار .. وما اقسى وادهى ما فاتنا .

ولعلى « اكرر » هذا المعنى بين وقت وآخر فيما اكتب وتذهب نفسى عليه حسرات ! ولطالما اتهمت زعماء تلك المرحلة بالافتقار الى « بعد النظر » حول هذه القضية الحيوية ، فى وقت كان فيه زعماء الصهيونية ابتداء من « هرتزل » الى « وايزمان » الى « بن جوريون » الى عشرات من هؤلاء جادين مفكـرين الى

اقصى درجات الجد والتفكير « ديناميكيين » الى ابعد حدود الديناميكية . كان لدى هؤلاء « القادة » الصهاينة وضوح رؤية عجيب .. يعرفون ماذا يفعلون وكيف يخططون ، كما يثقون فيما « يتنبأون » به ! وصحيح أن استغلال « الظروف » و « الاموال » و « النفوذ » و « الاستعمار » ساعدهم ، ولكن ربما كانت « غفلتنا » .. كالعادة هي العامل الاول في المساعدة ! ولا اريد ان اظلم زعماءنا ، ولا ان احكم « على البارد » دون ما نظر للظروف الحاكمة ، غير أنني وددت لو كانوا ملكوا « الفراسة » ! ولقد قرات أخيرا في مذكرات كليرن ـ ان النحاس باشا « فاتحه » عن هواجسه وقلقه من تزايد الهجرة اليهودية الى فلسطين .

حسنا .. ولكن هل هو بهذا يكون « عمل ما عليه » ؟ الم يكن في المستطاع الضغط و « الهاب » الموقف واستخدام « الكروت » و « التكتكة » خاصة في وقت الحرب العالمية الثانية ؟

ولقد احب قراءة التاريخ أو بالاحرى استقراءه ، ولكني اعترف : ان ليس لى « جلد » على دراسته الدراسة الوافية وفحص دقائقه واغواره ، وان عاطفتي هنا وأوجاعي ولهفتي تغلب « تأولات » الانصاف لتلك المرحلة التعسة الممتدة !

ما علينا ـ ويا هول ما علينا ـ وقامت دولة اسرائيل بالتمام والكمال ، وباكثرمما جاء به مشروع التقسيم ، وفوق اشلاء و « هزيمة » جيوش عربية بعد ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وحتى هدنة رودس في فبراير سنة ١٩٤٩ ، فاطلقنا الشعارات الهازلة ـ كما قدمت ـ وسميناها « اسرائيل » المزعومة ! وانطوينا على انفسنا وعلى خلافاتنا وعلى « فشخرتنا الكذابة » وعلى افكار مسبقة تقول ان اليهود حثالة الارض وشذاذ الافاق ، ولنهم مجرد نماذج مريضة متوارثة للجبن والبخل !

اما اسرائيل فعمدت الى « اسلوبها » والى اعوانهـا ــ وفى مقدمتهم امريكا ــ والى تمويلها وتسليحها وتنظيماتها وتعبئتها فى مختلف النواحى العسكرية والمدنية والتصنيعية والتعليميـة تخطط وتدبر الى حين العدوان الذى شاركتها فيه ــ جهرة ــ صاحبتاها انجلترا وفرنسا سنة ١٩٥٦ وكان ما كان معه .

ثم اسكرتنا نشـوة « هستيرية » من النصر الذى لم يكن نصرا بالمعنى ، وعـدنا نكرر فى سـذاجة مخدرة شـعارات الاستخفاف باسرائيل ، ونردد انه كان فى امكاننا اكتساحهـا حتى تل ابيب لولا كذا وكيت . عشر سـنوات او يزيد ونحن تحت هذا الوهم فرحون بما اتانا حتى صحونا ذات يوم ــ ويا له من يوم ــ على ٥ يونيو ١٩٦٧ .

والقضية واضحة وضوح نهار يوم ٥ يونيو المذكور ، مظلمة كمسائه الذى لم يطلع له صـبح حتى الآن .. ولا يملك احـد سوانا ان يصنع الصباح العربى الخالص .

نحن اصحاب حق ــ ولامراء ــ فى عالم لا يعترف بغير القوة والدهاء . ليست تفيد معـه التظلمات والشـكايات ، بل لعله « يحترم » من يمسح بقرارات اممه المتحدة البلاط على كل صعيد !

واسرائيل مجرمة ظالمة مغتصبة ، تتوسع ــ باتفاق ومساندة اعدائنا ــ على حساب ارضنا وكرامتنا .. عنـدها المعلومات الوافرة عن ديارنا المفتوحة المستنيمة ، ونحن « نكسل » حتى من تجميع المعلومات لا عنها ولا عن صانعيها ولا حتى انفسـنا ماذا نفعل .. هل نتحول من « الاستخفاف » الى « الخوف » ؟ هل يستسلم المائة مليون الى المليونين ؟

بالتأكيد هذا مستحيل ، ولكن بالتأكيد ايضا لا بد ان يختلف اسلوب حياتنا وتفكيرنا واستعدادنا وتناولنا لقضايا المصير بحيث يصبح تناولا جادا مخططا بالفعل !

وابتـــداء ، يجب ان يعـرف ويؤمن الجميـع أن اسرائيل ـ بألف دليل ـ لا تهدد كيـان فلســطين فحسب ، ولكنها تمثل خطرا حقيقيا حتى على اصغر بيت فى ابعد قرية من هـذا الوطن العربى كله .

ثم « حصانة » ذكية واعية ضد « احتمالات » الخـوف أو الياس مهما توافرت لنا المعلومات عن قوة اسرائيل وجديتهـا ودهائها وداب قادتها وزعمائها .

أن يدرس العالم زعماء « المافيا » الاذكياء الدهاة ، وأن نتابع مجرمى شيكاجو «وآل كابونى» واللصوص الدوليين العتاة البارعين المخططين لا يعنى اننا معجبون بهم ، ولا يفيد الاستســلام لهم لا محالة ، بل على العكس أكد اصرار التصـدى لهم والاستعداد ثم القضاء عليهم تطهيرا للكون من وصمتهم الشريرة الداهمــة الملعونة .

كذلك « الشيطان » الرجيم الملعون ، وكذلك زعماء اسرائيل وقادتها . ولسنا ننكر عليهم براعتهـم ودهاءهم ، ولا يمـكن ان ننســاق الى « معنى » الاعجاب بهم . ومن المســتحيل ان نستسلم لهم ، وكأننا مسلوبو الارادة والفكر .

هم قتلة مجرمون على سبيل القطع ولكن فى سياســة آخـر الزمان ـ وربمـا أوله ايضا ـ كما فى الارهاب واللصوصـية ، لا التفات الى الحلال والحرام والى الحق والباطل والى المشروعية وعدم المشروعية . فهم من وجهة نظر انفسهم ونظر بنى اسرائيل لخدام بررة وأذكياء ومثاليون ومستقتلون فى سبيل بناء دولتهم وغزوتهم ضد تيار التاريخ .

ولقد أثارت بعض هذه الخواطر فى الذهن مناسبتان :

المناسبة الاولى : ما وافتنا به وكالة « اليونيتدبرس » من أنباء تفيد ان دافيد بن جوريون ــ أشهر زعماء اسرائيل ــ قد اصدر كتابا جديدا تحت عنوان « محادثاتى مع القادة العرب » .

والمناسبة الثانية : هى صدور الطبعة الخامسة من كتاب الزميل الصحفى محمود عوض « ممنوع من التداول » .

وبن جوريون من « الرواد » الاوائل النازحين سنة ١٩٠٦ الى فلسطين ــ من وطنه بولندا ــ ومن « المتبتلين » لاقامة دولة اسرائيل وحلم صهيون ، حتى وصف بأنه من « أنبياء التوراة » ! واذا كان بن جوريون قد تعدى الآن عامه السادس بعد الثمانين واعتزل « الحياة العامة » ، فان له تاريخا « عريقا » و« مؤثرا » تدركه « الاجيال الاسرائيلية » قبل ١٩٤٨ وبعدها ، حتى انه شغل منصب رئيس الوزراء ووزير الدفاع فى اسرائيل بين عامى ٤٨ و ١٩٦٣ ، وكان خلال هذه الفترة رئيسا لحزب « الماباى » الحاكم لمدة قصيرة ثم تركه اثر نزاعات داخلية وشكل حزب « رافى » الذى اندمج بعد ذلك مع حزب العمل الموحد .

ولقد كان العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ من نسيج وتدبير وانتهازية بن جوريون الذى كان يراس وزارة اسرائيل فى ذلك الوقت ولم يستطع ان يحقق أهدافه ــ لظروف خارجة عن ارادته ــ الا بفرض « حرية الملاحة » فى خليج العقبة اى انه « زرع بذرة » عدوان ٥ يونيو ٦٧ الذى نشأ اثر اغلاق خليج العقبة فى وجه السفن الاسرائيلية ، ولو ان العدوان الاسرائيلى كان سيجرى فى تلك السنة على اى حال ولسبب أو لآخر .

ورغم تاريخ عريض من الارهاب الذى قاده بن جوريون ، ففى « خليط » من النفاق والحكمة والخداع « اشتهر » برفع شعار « سلام سيىء أفضل من حرب ناجحة » وظل ــ فى مناسبة

او اخرى ـ يؤكد ان الضمان الحقيقى لامن اسرائيل هو السلام مع العرب وليس الحرب ، ثم يتراجع احيانا ويفعل العكس ، وهكذا يتبعه ويصرح ويتصرف تلميذه « النجيب » موشيه ديان ».

ويتناول بن جوريون فى كتابه الجديد جانبا لم يذع من قبل عن الاحاديث التى اجراها هو او مساعده شاريت « شرتوك » وغيره مع الوسطاء العرب قبل الحرب العالمية الثانية واثناءها عندما كان يرأس « الوكالة اليهودية » ويتحدث باسمها . وكان القصد منها التمهيد لاقامة دولة اسرائيل .

ويقول بن جوريون فى كتابه « وكان الهدف الاساسي من هذه الوساطات الاتصال بابن سعود ملك المملكة العربية السعودية حينذاك وذلك عن طريق وسطاء عرب أو بريطانيين . لقد كنت اعتقد فى ذلك الحين أن ابن سعود كان فى موضع ومكانة وظروف تسمح منطقيا بان نتصوره سوف يصبح قائدا للعالم العربى » .

ويشير الكتاب الى ان اكثر الاتصالات قوة كانت تلك التى جرت بين بن جوريون وفؤاد بك حمزة الذى كان مديرا للشئون الخارجية فى حكومة ابن سعود سنة ١٩٣٧ وتمت تلك المحادثات فى بيروت وحاول خلالها بن جوريون ان يخفف من المخاوف المتوقعة من ان يصبح اليهود ـ نتيجة الهجرة المتزايدة ـ هم القوة المسيطرة فى فلسطين . ثم استأنفت الاتصالات مع « فيلبى » و « ارمسترونج » وكانا يتحدثان باسم « المصالح العربية » وخاصة السعودية .

وعلى قلة السطور الواردة فى برقية اليونيتدبرس والتى تشير الى فقرات من الكتاب الجديد المذكور ، فان « المؤدى » قد يفيد أن بن جوريون ـ كخبير بالمنطقة وخاصة فى تلك المرحلة ـ كان « يلعب » على نظرات الجاه « والاطماع » لدى الملوك

والسلاطين العرب سواء أكان بالتصور أم بالحقيقة . وهذا ما أفصح عنه بالذات فيما يخص الأمير عبد الله الاردنى (الملك عبد الله جد حسين) الذى وصفه بن جوريون بقوله ـ نقلا عن فيلبى ـ انه كان مستهترا محبا للانفاق والزينة واستعراض الثراء . وفى عبارة موجزة ان بن جوريون كان يبغى فى ذلك الزمان ـ قبل الحرب العالمية الثانية ـ ان يحقق احلام اسرائيل عن طريق تحقيق بعض احلام زائفة زائلة للسلاطين العرب .. « أما الشعب العربى » فآخر من يعلم وآخر من يعمل حسابه !

واضيف اننى ـ على أى حال ـ لا اثق كثيرا فى ان كل ما يكتبه بن جوريون ـ أو غيره من قادة وكتاب اسرائيل ـ فى هذا الخصوص هو صادق مائة فى المائة بطبيعة الحال ، بيد اننا ينبغى ان نقرأه وان نتدارسه . اما الذى صدق حتى الآن ومائة فى المائة فهو قيام دولة لاسرائيل تحتل فلسطين كلها كما تحتل اراضى من ثلاث دول عربية ، وهذا ما يجب ان نتدارسه وأن نواجهه وأن نغيره .. وهو المهم .

ويبقى ان اتناول ـ فى عجالة ـ « ظاهرة » اصدار طبعة خامسة من كتاب محمود عوض الذى يعرض فيه كتبا اسرائيلية وغيرها كانت ممنوعة من التداول وهى مؤلفة عن اسرائيل وجيشها وحروبها وسياستها ومستقبلها وقادتها ومأساة ٥ يونيو .

والطبعة الاولى لهذا الكتاب صدرت منذ اقل من عشرة اشهر ، فان يطبع ويصدر طبعته الخامسة خلال تلك الفترة الوجيزة فان الامر يسترعى الانتباه والاهتمام . الكتاب سياسة وعن اسرائيل وليس « كورة » أو « هيبيز » أو « نجوم مغنى » . اذن فثمة تطور ، وهو ما يجب رعايته والاهتمام به فتلك ظاهرة صحية بل مبشرة بالخير فيما ارجو .

على اننى ـ وهو بيت القصيد فى كثير مما كتبت واكتب ـ اطالب بضرورة دراسة عدونا الاسرائيلى . ان نعرف عدونا اكثر مما يعرفنا . ان نعرفه وكأننا نقرؤه فى كتـاب مفتوح لا بالأوهام ولا بالتصور ولا بالتسفيه ولا بالمبالغات .

اطالب بوضع خطة تبدأ من مرحلة الاعدادية وتستمر وتتسع وتكون بالغة الحكمة والاحكام لدراسة كل شىء عن عدونا المباشر الخطير ، والاسـتعداد له اسـتعدادا مباشرا وخطيرا على كافة المستويات .. وفى ايمان وفاعلية .

وهناك الكثير من المتخصصين ..

ونربى معهم متخصصين آخرين ..

فالمسألة جد لا هزل فيها على الاطلاق . هى مسألة إن نكون او لا نكون ، ولا خيار امامنا الا ان نكون وأن نصح بمشيئة الله .

٧/٤/٧٢

دروس من العدوان الإسرائيلى

باختصار نحبس الدمع ولو انه بحور ؟ ونكظم الغيظ ولو انه نار موقدة . باختصار ، نؤجل انفعالاتنا الى ما بعد النصر فى المعركة حيث بكاء تختلط فيه احزاننا على شهدائنا مع فرحتنا بالثار الحاسم لهم ولنا . صحيح ان لنا ـ بل علينا ـ ان « نغضب » غضبا هائلا لما ارتكبته اسرائيل من جرائم وفظائع ولكن المطلوب ان « نتحكم » فى غضبنا وان « نحاول » استخراج بعض المفاهيم والعبر والدروس فلا نخرج عن الطريق المنشود فى مواجهة التحديات ، لا الى هذا الجانب ولا الى ذاك .

وفى تقديرى انها قد تتضمن بين ما تتضمن ما يلى :

أولا : ان اسرائيل ما كانت لترتكب ما ترتكبه ضد « المقاومة الفلسطينية » لو لم تكن هذه المقاومة « توجعها » فى الصميم ، وبالتالى فانها تكرس دائمينا بمحاولات اسكاتها واخمادها . ومؤدى هذا ان المقاومة الفلسطينية شىء هام وضرورى للعرب وينبغى الحفاظ عليه ومساندته وتنميته .

ثانيا : ان « الردع » الاسرائيلى بسرعته وغلوائه مقصود به « تيئيس » العرب ، مستهدف شن حرب نفسية ضدهم ـ أبعد وأشد من حرب المدافع والتقتيل ـ

لشل تفكيرهم وتفقدهم الثقة فى ذاتهم وحاضرهم ومستقبلهم . وبالتالى فان اى « استسلام » يعنى فناء الامة العربية . ونحن لا نهـــزل ، بل نحن فى موقف اذا سمح بفناء شىء فانما بفناء اسرائيل .

ثالثــــا : ان اسرائيل ـ كما اقول دائما ـ لا تهدد كيان فلسطين فحسب ، و « لكنها تمثل خطرا حقيقيا حتى على اصــغر بيت فى ابعد قــرية من هذا الوطن العربى كله » . والدليل القاطــع هو ما حــدث فى بيروت وفى صيدا وما يمكن ان يحدث فى اى موقع اخر او قرية اخرى فى اى جزء من ارجاء الوطن العــربى كله « بمغامرة تسلل » اسرائيلية . ومن هنا وجب ان « تهب » الدول العربيـــة هبة « رجل واحد » وتصفى خلافاتها وتستعد ـ بحق وبجد ـ لمواجهة عدوها الالد .

رابعـــا : ان اسرائيـــل التى قامت على الارهاب والاغتصاب والعدوان هى هى لم تغير « اسلوبها » . ففى ٩ ابريل سنة ١٩٤٨ ارتكبت « عصابات » اسرائيـــل جريمة ومذبحة دير ياسين الوحشية . وبعد ربع قرن فى ٩ ابريل سنة ١٩٧٣ ترتكب دولة اسرائيـــل جريمـــة ومذبحـــة بيروت وصـــيدا . واذا لم يكن « اســـلوبنا » فى التفجـــع والشـــكاية قد ادى ـ وبالتاكيـــد ـ الا الى ان اســـتمرات اسرائيل العدوان والتوســـع فينبغى ان « تغير » اسلوبنا بل اسلوب حياتنا ...

ودفاعا مسلحا عن الحق والذات .

خامسا : ان ضربات المقاومة داخل الارض المحتلة ـ وهى الاهم ـ وخارجها .. يجب ان تتسم بالاحكام التام ، فلا

تطيش هباء او تذهب دون تحقيق اغراضها كاملة بغير خلل . فكلما كانت الضربة ناجحة ومؤثرة كانت اكثر رفعا للروح المعنوية وقربا من النصر ، والعكس بالعكس . والحديث فى هذا على صعيد المقاومة الفلسطينية ، وهو صادق تماما على مستوى الجيوش العربية .»

سادسا : ان « الحذر » من أهم مقومات واسلحة المقاومة فى مواجهة العدو الاسرائيلى وشأن ذلك شان «المفاجأة» ـ من الزاوية المقابلة ـ فى التصدى لهذا العدو الضارى .. ولقد استلفتنى فى مصرع قادة المقاومة الثلاثة ـ رضوان الله عليهم ـ ان هؤلاء الشهداء الابطال المقاتلين كانوا يبيتون بمنازلهم فى نفس ليلة عملية قبرص التى علموا بها قبل ذلك بساعات . وكانت مقتضيات الحذر ومعرفتهم بطبيعة العدو الاسرائيلى المتكورة الغدر و « الانتقام » فى امثال هذه العمليات الفلسطينية الفدائية تتطلب الا يبيتوا حيث اعتادوا ان يفعلوا .

اذكر اننى ليلة عملية ميونيخ فى ٥ سبتمبر ١٩٧٢ كنت ضيف المقاومة فى بيروت . ولعدة ليال متوالية لم يبت جميع قادة المقاومة فى منازلهم حتى بعد ان نفذت اسرائيل انتقامها بغاراتها الوحشية على شمال لبنان .

فلماذا فاتهم هذه المرة ـ رحمة الله عليهم ـ الا يأمنوا جانب العدو فى امثال هذه الليالى ، فدفعوا ارواحهم ثمنا . وان كانوا قد دفعوها ببسالة واستشهدوا كما يستشهد الابطال المقاتلون ؟

سابعا : لم تعد سرا ولا أمرا هينا « حكاية » ان العدو يعرف عنا الكثير من المعلومات والتفصيلات والجزئيات .. بينما نحن لا نعرف عنه لا قليلا ولا كثيرا . لقد كانت هذه الحكاية هي « لب » موضوعي « خطة لدراسة اعدائنا » .. ولكنني اضيف هنا ـ على ضوء جسامة ما جرى في عدوان بيروت الاثيم ـ أن « تسيبنا » محتاج الى اعادة النظر من الالف الى الياء . فلقد كان أبناء اسرائيل المجرمون يجوسون داخل شوارع وأزقة وبيوت بيروت ولا كأنها تل أبيب .. نحن الذين « تطوعنا » ـ أو استؤجر بعض المجرمين منا العملاء ـ لتسريب كل المعلومات والخرائط .. قصة « المطار السرى » تعاد من جديد . كلمات وأسرار نلفظها ببساطة وبغفلة ، وندفع ثمنها فادحا ...

هنا يصبح الأمر مستلزما « التربية » ... تربية سياسية وتنظيمية واجتماعية وعسكرية واعية مختلفة تماما ...

ثامنا : ان أمريكا ـ ودائما أمريكا ـ تؤكد في كل يوم أنها الضامن المتضامن مع اسرائيل انها ـ وللاسف ... بحماقة ساستها وسياستها ـ العدو الناقم المتآمر على الامة العربية ..

ولست اناقش هنا مسألة الاشتراك الفعلى في جريمة العدوان الاسرائيلي على بيروت والمقاومة أو عدم الاشتراك الفعلى ، وما اذا كان القتلةالاسرائيليون لجأوا الى السفارة الامريكية في بيروت ، وما اذا كان امريكيون هم الذين استأجروا السيارات المدنية « لخدمة » المجرمين وتيسير تنقلاتهم في

جنح الظلام والغدر ، ولكنى أقول من تجارب ومرارات الماضى والحاضر أن بصمات المخابرات المركزية الامريكية تكاد تستشف من باطن خطة « اليعازر » المزهو .

ولا يقل عنه « زهوا » رئيس الولايات المتحدة الامريكية - المستر نيكسون - وهو يستقبل السفير الاسرائيلى الجديد بعد ساعات من حادث الاجرام الاسرائيلى بلبنان فيشيد « بالتعاون الامريكى الاسرائيلى » الذى هو « أفضل ضمان » لتحقيق السلام ! ولا كلمة استنكار ولا تنديد بالعدوان الاسرائيلى على بلد من البلدان العربية القليلة التى تقوم بينها وبين أمريكا علاقات دبلوماسية !

ولا برقية عزاء لشهداء لبنان ، ولا نقول المقاومة الفلسطينية ..

تماما مثلما فعل المستر نيكسون عندما استقبل جولدا مائير بعد جريمتها البشعة فى اسقاط طائرة الركاب الليبية واستشهاد اكثر من مائة برىء بين رجل وامراة وطفل فلم يسعه الا ان يمد كلتا يديه مرحبا ويقول : أنت اعظم امراة وأنت الزعيمة الفذة وأنت امل السلام !

وعلينا نحن الدول العربية - وهذا هو النداء الذى لا اسام من ترديده - ان نرد على أمريكا وعلى المصالح الأمريكية بين ظهرانينا . لتعلم أمريكا من هو خير وابقى !

تاسعا : ان استشهاد عدد من قادة المقاومة ومن مقاتلينا - على ما نشعر به فى اعماقنا - لا يزلزلنا ، وان علينا ان

نثبت أننا متجددون متزايدون .. اذا سقط منا واحد فى المعركة قام ــ بالفعل لا بالقول والبلاغات ــ عشرات ومئات والاف من القــادة والمقاتلين . القضية لا تحتمل ان نتوقف او ننكث ، بل أن نمضى فى صلابة واصرار ، وزيادة تنظيم وفاعلية ودروس مستفادة نحو النصر .

تلك بعض المفاهيم والعبر والدروس ، حتى لا نخــرج عن الطريق ــ بل نصححه ــ فى مواجهة التحديات .

وفى ظنى ان ثمة مفاهيم وعبرا ودروسا لا تقف عند حد فى أعقاب العدوان الاسرائيلى على لبنان ، وان المسئولين بين القادة العرب والمقاومة الفلسطينية اعلم بها ، متيقظون لها ، عاملون عليها .

« ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون » .

٧٣/٤/١٢

قضية الأرض الجديدة

اشفق على شخصي الضعيف بعض الاصدقاء ، فانتزعونى انتزاعا لأرقد بين الخضرة والشمس يوما او يومين !

وربما كانت اسباب استخدام عبارة « شخصى الضعيف » متعددة .. تعبيرية تواضعية ـ بغير اصطناع ـ وللزوم ما يلزم ، ولكنها هنا بالذات تعنى ضعف شخصى امام ضربات الانفلونزا ، فقد كانت هذه هى المرة السابعة التى اصاب فيها بالانفلونزا خلال سبعة اشهر .. قسمة عادلة مرة كل شهر ! واذا كانت الراحة والشمس يوما أو يومين تقتلان جراثيم هذا الداء ، فانهما ـ ومن سخرية القدر ـ قد تحييان « جراثيم » اخرى لا يقتلها الا ان يعود المرء سليما معافى ـ بحمد الله ـ ليطاها باقدامه !

ولطالما استهوتنى الخضرة وما تمثله ، والريف وما يبعثه ، والفلاحون وما يبسطونه بفطرتهم وبساطتهم ونقائهم ـ فى مجموعهم ـ وعذاباتهم واحلامهم .

و « أرض » الاصدقاء التى اصبحت حديقة « فواكه » تبهج العين والخاطر والاقتصاد القومى ، كانت منذ ثلاثين عاما أرضا رملية جبلية « عاينها » غيرهم فعزفت نفسهم عنها . قالوا انها « عظيمة » لولا احتياجها الى صبر « ايوب » وعمر « نوح » ومال « قارون » وهى ثلاثة مستحيلات ، وخاصة اذا كان الامر محتاجا اليها جميعا لا الى واحدة دون أخرى .

ولكن قد يغنى عن هذه المستحيلات الثلاثة - أو يستجلبها ويحققها - شيء واحد هو الارادة التى لا تقف أمامها تحديات .

واذا كانت « الارادة » هي العامل الحيوى فان « الادارة » اذا اسندت الى « وكلاء » زراعة لا يتقون الله حق تقاته - وما أكثرهم للاسف - تصبح العامل المعوق الذى يحجب المال عن اصحابه بدعاوى شتى ! ومن هنا فيمكن ان يشترط قبل صبر « أيوب » وعمر « نوح » ادارة وامانة « يوسف الصديق » !

ولست اريد أن اتناول هنا « مشكلة » تبدو فى ظاهرها «ترفيه» وهى الصقيع الذى أصاب فى شتاء حاد جانبا ملحوظا من اشجار « المانجو » فأتلف المحصول بل أضطر اصحابها سواء أكانوا الملاك أم الاصلاح الزراعى الى اقتلاع الاف الاعواد من مئات الافدنة .. واقول انها مشكلة ترفيه فى الظاهر ، لانها فى حقيقتها ليست من الكماليات ، اذ ان الفواكه ثروة قومية - فعلا - للتصدير والاستهلاك المحلى ، وينبغى الحرص عليها واعمال الفكر العلمى المتجدد المتطور لوقاية اشجارها من الآفات والظواهر الجوية والطبيعية .

انما ابغى أن اعرج - فى صدد الحديث عن الارض والزراعة - الى مشكلة أخرى أكثر اتساعا واهمية .

وبادىء ذي بدء ، فانني اعترف - وقد اعترفت دائما - «بمركب نقص » يشدنى الى الارض والريف والزراعة بوصفى بعيدا « كل » البعد عنها بحكم المولد والنشأة فى المدن ! كثيرا ما شعرت بأننى « افتقد » هذه الصلة العضوية - يعكس العديد من الكتاب والشعراء - وان لم تكن صلتى بالريف منقطعة الاسباب « عاطفيا » بطبيعة الانتماء الى الوطن ، و « اجتماعيا » بطبيعة الايمان بسلامة وضرورة التطبيق « الاشتراكى » الذى دعت اليه ثورة ٢٣ يوليو

منذ اليوم الاول للقضاء على الاقطاع ، ثم عمقته فى قرارات يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ .

وتبقى ــ كذلك ــ صلة لا مندوحة عنها ، هى كون « المشكلة الزراعية » لا بد ان تحتل مكان الصدارة لدى كل مشتغل بالمسائل العامة فى مصر . على أن الذى يعنينى فى الحديث هو قضية اراها ملحة رغم خفوت نبض الاحاديث عنها . والغريب ان هذا الاهتمام من جانبى يحدث ــ وللمرة الثانية ــ وكأنه « نقلة » مختلفة تماما عن دائرة اهتمام تستقطب الراى العام .

اذكر اننى منذ عدة شهور وفى احدى المرات القليلة التى عجزت فيها عن « الفكاك » من مواجهة ميكرفون الاذاعة سالونى فى برنامج « حوار مفتوح » عن رايى فى عدوان اسرائيلى مكثف وقع على لبنان .. ففاجات الزميل مقدم البرنامج بأن « نقلته » وفتحت الحوار الى « المشكلة الزراعية » فى مصر ، بنفس شدة النار المفتوحة وعنف القتال الذى كان يدور فى لبنان !

وهكذا اليوم مع احداث لبنان المتجددة والمتفجرة والمفجعة اعود الى المشكلة الزراعية واعرض الى « قضية الارض الجديدة » .

وفى يقينى ان المعركة يجب ــ على أهميتها القصوى ــ الا تستغرقنا عن مسائل جوهرية اخرى وكلما أمكن ، فعلينا أن نتطلع باعيننا وبأفكارنا وبتخطيطنا واعمالنا الى المستقبل .

ان الاستعداد للمعركة ينبغى ان يسير جنبا الى جنب مع الاستعداد للسلام والحياة .. وتلك فى جوهرها هى « حكمة المواجهة الشاملة » وهى ايضا سر اهتمام السلطة التنفيذية والجهاز السياسى ــ الاتحاد الاشتراكى العربى ــ بحل مشكلات الجماهير فى الوقت الذى تعد فيه الجماهير والجبهة الداخلية لخوض المعركة وتحمل التضحيات .

ما هو المقصود بقضية الارض الجديدة ؟

المعروف ان الرقعة الزراعية فى مصر قبل السد العالى هى ستة ملايين من الافدنة ، وان السد العالى وفقا للخطة سوف « يجود » بمليونين جديدين من الافدنة الصالحة للزراعة ويرد الجميل للبلد الذى « جاد » عليه بكثير من الاموال . اى أن المساحة الزراعية فى مصر سوف تبلغ اكثر من ٨ ملايين من الأفدنة .

وفى الحق انه لم يكن ثمة سبيل لمواجهة المستقبل والتزايد السكانى بل الانفجار السكانى الا التوسع فى الارض المزروعة • أن علينا استصلاح أكثر من ١٥٠٫٠٠٠ فدان سنويا لمجرد المحافظة على نصيب الفرد الحالى ازاء الكثافة السكانية المطردة • وهذا جانب معقد من جوانب « المعادلة الصعبة » المشهورة التى طرحها الميثاق ؟

والآن •• ماذا نصنع بالارض الجديدة ؟

هل نوزعها ـ كما فعلنا فى أراضى الاصلاح الزراعى ـ على العائلات بواقع فدادين خمسة لكل عائلة ؟

أم تؤجرها الدولة لخريجى الكليات والمعاهد الزراعية ؟

أم تتملكها الدولة وتديرها لحسابها ؟

أم تتبع الدولة معها اسلوب « المزارع التعاونية » كما فعلت الدول الاشتراكية مع بعض التعديلات المناسبة ؟

الواقع أنها قضية سياسية ـ واجتماعية واقتصادية ـ من الدرجة الأولى •••

واذا كانت الضرورات السياسية والاجتماعية قد قضت ـ بحق ـ أن توزيع أراضى الاقطاعيين على صغار الفلاحين والمعدمين فى السنوات الاولى للثورة هو الاسلوب الامثل ، فاننا أمام أرض جديدة مستصلحة نملك بشأنها حرية الحركة ورحابة النظرة ودروس

التجربة فلا موجب اذن للتكرار وخاصة ان الاسباب الاولى للتوزيع والتفتيت قد استنفدت اغراضها فيما نظن .

وعلى ذلك فلا تثريب علينا ـ فى رايى ـ أن نستبعد من الاختيارات الاتجاه الاول .. اى توزيع الارض الجديدة وتفتيتها الى ملكيات صغيرة ضئيلة الانتاج متعذرة التكامل .

وبهذا يصبح « الخيار » ميسورا بين الحلول الثلاثة الاخيرة : وفى ظنى ان البحث والمناقشات سوف تقودنا الى « حتمية » الاخذ بالحل الاخير وهو اتباع اسلوب « المزارع التعاونية » مع الارض الجديدة بنفس المنطق الذى قادنا ـ وشرح صدرنا ـ الى حتمية الحل الاشتراكى !

وامامنا تجربة رائدة و « مذهلة » ونموذجية لم انكر قط انها « بهرتنى » ووددت لو كنت اتطلع بعينى ـ لا بمحض خيال وشوقا بالغين ـ الى مثيلها فى مصر .

تلك هى تجربة المزارع التعاونية فى بلغاريا :

كيف يمكن تنفيذ « ميكنة » الزراعة الا فى ظل المزارع التعاونية؟ وكيف يتيسر ارساء التوسع الافقى والراسى ارساء سليما الا بخدمة متكاملة نخوضها مع فلاحى المزارع التعاونية الذين تساندهم الدولة؟

والصناعات المتصلة بالانتاج الزراعى هى الاخرى يستحيل تنفيذها على الطبيعة داخل مزارع وبكل دقة وبانفاق محسوب الا من خلال المساحات الضخمة للمزارع التعاونية .

ولست اريد ان اعود مرة اخرى لسرد جوانب من مشاهداتى داخل مزرعة تعاونية مساحتها ١٦٥٫٠٠٠ فدان تحمل اسم جورجى ديمتروف الزعيم الاشتراكى البلغارى الاول الذى يخلدونه هناك فقد سبق أن عرضت تفصيلا لها لدى زيارتى لبلغاريا وضمنتها فى كتابى « رحلات جادة مرحة » الذى اصدرته فى سنة ١٩٧٢ .

ولكنى اذكر بايجاز نتيجة مؤكدة وهى ان بلغـــاريا الدولة الزراعية المتخلفة اصبحت ــ بفضل « التبتل والتفتح » فى تجربة المزارع التعاونية ــ المزرعة الاولى بين الدول الاشتراكية •

ولقد تثور مناقشات حول اسلوب توزيع « العائد » الضخم على الفلاحين فى المزارع التعاونية وقد تختلف المناهج والحسابات ، ولكن يبقى المهم ــ ودائما هو الاهم ــ ان الانتاج الزراعى ــ وبالتالى الثروة القومية ــ سيتضاعف ويحطم الارقام القياسية بجهد مشترك من الدولة وادارة المزارع التعاونية وفلاحيها •

ويودى ان يشغل التنظيم السياسى ــ فى الريف وفى غير الريف بالمتخصصين وبالهواة وبكل صاحب راى ــ بقضـــية الارض الجديدة بين القضايا العديدة المطروحة للمناقشة فى مرحلة المواجهة الشاملة •

٧٣/٤/١٤

«أنزف» ولا «أنشى»

صباح « شم النسيم » والناس تنطلق الى الحدائق والشوارع والمزارع ، بينما اقبع فى البيت « اشم نفسى » قليلا ! ولكنى مع استرسال الفكر « أجتر » فى ختام شهر ابريل ١٩٧٣ احداثه . اطرد من مخيلتى الصغار وصغائرهم .. انتفض لابشع ما حاق بنا — نحن العرب — فى هذا الشهر المنكود الذى احتفلت فيه اسرائيل — عبريا — بمرور ٢٥ سنة على نشأتها وما برحت « الاحتفالات » مستمرة حتى منتصف مايو ..

أحاول الفرار الى « احلام اليقظة » ولكنى لا البث ان أفيق واتذكر انها تعويض بدائى لايفيد .. وكأننا نفكر أو نحلم « بعد » الأحداث ولا نفكر « قبلها » . حلم اليقظة كان يدور حول أبشع ما وقع فى شهر أبريل ، وهو بالتحديد تسلل مجرمى اسرائيل الى قلب بيروت فى جنح الليل ينسفون البيوت ، ويذبحون أهل فلسطين الشهيدة الطريدة اللاجئين الى لبنان ، ويقتلون زعماء المقاومة الفلسطينية .. الحلم كان يتخيل اننا — بيقظتنا ومخابراتنا — على علم مسبق بالهجوم المبيت فأخذنا أهبتنا ونصبناها كمائن ، وأبدنا المتسللين القتلة الصهاينة عن آخرهم !! صورة عظيمة ولكنها للاسف مجرد حلم يقظة لم يحدث ، والذى حدث العكس ..

ومع هذا : فلم يكن تحقق هـذا التخيل فى الواقع صعبا ، بل الصعب ـ حقيقة ـ وخيبة الامـل انه لم يتحـقق ، والا فتصور أن عملية عكسية مماثلة دبرتها المقاومة الفلسطينية فى ساحل البحر الأبيض المتوسط الملىء بالدول العربية • وبقصـد التسـلل الى ميناء بفلسـطين المحتلة مثل حيفا لتدمير معـامل تكرير البترول هناك و « القصاص » من أرهابى «محترف الاجرام» كمناحم بيجين وآخـرين • هـل كان يمكن أن تجرى بكل هـذه الحبكة و « النجاح » والسلام التى جرت به « نزهة » بنى اسرائيل فى البحر المتوسط وتسللهم الى ميناء بيروت وتجـولهم فى شوارعها وتنفيذهم لعملياتهم حسب الخطةالموضوعة وعودتهم سالمين غانمين ، ولا كأنه فيلم من اخراج وتأليف مخرج « نخاع » واسع الخيال « يستغفل » الجمهور !؟

ولكنا نحن الغافلون •• ثم أن من بيننا ـ وبكل أسف ـ طابورا خامسا بالغ الخسة بلا قيم ، يبيع دنياه العربية لقاءدراهم معدودة لتحمى عليه فى نار جهنم •• وان كنا اكثر تعجـلا لكشفهم لنكوى بها جباههم ونحرهم ونطهر أرضنا منهم •

وكانت هذه الضربة المشتركة بين اسرائيل والطابور الخامس فى بيروت هى البداية •

وتوتر الموقف

واستقالت وزارة ، وقامت أخرى بعد لأى •

ولكن العناصر الخائنة لم تهدأ ، فان هدفها لم يستكمل ولن يستكمل الا بتصفية الثـورة الفلسطينية فى لبنـان مثلما حدث فى الاردن • مطلوب « آيارأسود » مثلما كان أيلول اسود • بهـذا تطرب اسرائيل وتهنىء تماما ويرصع يوبيلها الفضى ـ الذى تحتفل به فى مايو ٧٣ ـ باكليل غار « مرموق » بين أكاليـل الغـار التى

يجمعها طوال هذه السنوات الخمس والعشرين من تواكلنا ووهننا وخيبتنا وخلافاتنا .

ما هذا الذي حدث في لبنان ؟

صدام مروع دموي مأساوي بين الجيش اللبناني وقوات المقاومة الفلسطينية بالدبابات والصواريخ والطائرات .

ضحايا عرب من الجانبين بالعشرات بل المئات وكان عملية اسرائيل في بيروت ليلة ١٠ ابريل ١٩٧٣ مستمرة . ولكن اسرائيل هذه المرة لم تطلق طلقة واحدة . قمنا عنها نحن بهذه المهمة ، واكتفت هي باطلاق الضحكات السعيدة الساخرة .

أين العقل ؟ وأين العمل العربي المشترك ضد العدو المشترك؟ أين الانتباه لما يدبر لنا ولمصيرنا ؟

لا شيء ..

وتنكشف اللعبة ، أو تفسر ! .. وتذيع الحكومة اللبنانية وقيادة المقاومة أن عناصر من الطابور الخامس تطلق النار على الجيش وعلى الفلسطينيين في وقت واحد .

نار فتنة ينفخ فيها كل ذي هوى وغرض

وربما كان عدد هؤلاء قليلا - بل هو كذلك بالقطع - غير أن اثرهم بعيد وجنوني ومدمر ..

هل نصرخ : فلتتوقف هذه المذابح فورا ؟ صرخنا .. وتجددت ، وتجددت !

وبعد ؟ و « آخرتها » ؟

هل نقول اننا نكاد « نخجل » من عروبتنا ؟

أن هذا بالذات هو ما تريده اسرائيل ..

وابدا لن نمكنها مما تريد ... من أن تكسر ارادتنا . هذه الارادة هى اقوى ما لدينا وهى « الشحنة » أو الجوهرة الكامنة الغالية لدينا والتى مهما طال صقلها فلسوف تصقل يوما — رغم العذابات الممتدة والمحن — وتنطلق وتهزم الطابور الخامس والطوابير الأربعة .

كلام « انشاء » ؟

انني « انزف » ولست « أنشىء » . ولكننى اعرف اننا ما لم تترجم اقوالنا ونوايانا الى أعمال فسيظل الاتهام قائما .

٧٣/٥/٥

حركة التصحيح .. مملوكة للشعب

الاذان والعيون ، على الاذاعة والتليفزيون ، مرهفة متلهفة بين العجب والاعجاب وبين الذهول والبهجه : تتابعه فى شغف . تتعاطف وتتحمس . تضرب كفا على كف مما كان يجرى . تغضب معه وله . تبتسم لقفشاته . تصفق لحسمه . تشعر انه اذا كان قد بدأ وكأنما يقدم - بمفرده - على ما اقدم عليه فى مواجهة من لاحوا وكأنهم « أبهة الدولة » و « دولة داخل الدولة » أو « مراكز قوى منحرفة » فانما لكونه يؤمن بالله العلى القدير ، ويؤمن بالشعب الذى يعرف نبضه .

انها مبادرة وليست مجازفة . انه التواضع فى مواجهة التعالى . انه الرجوع الى النبع الاصيل فى سبيل وقف التيارات والدوامات . انها الحرية تتفتح ، وليست قيودا على الحريات . وتصدق فراسته وايمانه . تقف الجماهير الى صفه على الفور . لم يكن الباعث هو أنه « رئيس الجمهورية » ، وانما مرجع التأييد هو أنه كان « ابن الشعب » .

والشعب - مثله سواء بسواء - كان قد ضاق ذرعا بعدد من الادعياء الاوصياء على « التركة » .. وكانت التركة ذاتها قد مزقته تمزيقا بالقهر والتباريح . الشعب كان يعد نفسه مسئولا وغير مسئول عن كل ما جرى ودهاه .. وهذه هى أشق

المواقف . ولكنه ليلة ١٥ مايو سنة ١٩٧١ اخذ يتنفس بل يتنفس الصعداء . وفى صباح ١٥ مايو ٧١ حرج الشعب كله ـ « بربطة المعلم » ـ ووجد نفسه ، واخذ يحيى ويؤيد « ضربة المعلم » . ويومها انتخب « أنور السادات » رئيسا للجمهورية للمرة الثانية بعد سبعة اشهر من الاولى ، ودون حاجة الى صناديق انتخابات ولا الى فرز نتائج لانها كانت اجماعا .

هكذا كانت حركة التصحيح فى ١٤ و ١٥ مايو ١٩٧١ ..

وهكذا كان أبرع وانجح واخلد خطاب وجهه السادات الى الشعب عبر عامى ٧١ و ٧٢ ، واننى لاذكر انه مع استعادته فى ذلك الحين فان الناس لم تمل سماعه ، حتى أن ابنائى ـ مثلا ـ كانوا « يذاكرون » على صوته بهذه القدرة الخارقة الملحوظة من ابناء الجيل الجديد على الجمع بين الكتاب والراديو فى نفس الوقت !

والذين يتصورون أن « حركة التصحيح » فى ١٤ و ١٥ مايو هى ملك لفئة دون اخرى يخطئون كثيرا ، ويظلمون حركة التصحيح والسادات ومصر . اما الذين «يتاجرون» و «يزايدون» عليها فانهم لايكتفون بان يظلموا حركة التصحيح والسادات ومصر ظلما كبيرا ، بل يظلمون أنفسهم ويخسرون كثيرا ، بينما الظاهر ان هدفهم هو ـ والله أعلم ـ الكسب الشخصى ،أو ربما « بسبب » أن هدفهم هو الكسب الشخصى ..

اقول هذا واستغفر الله لى ولهم .. على ندرتهم ! اقول هذا واجرى على الله . لقد اعتدت التعبير الخالص والمصارحة فيما اكتب . وتلك ـ واقسم ـ من اخص خصائص ومن اهم وأروع مزايا ومعانى حركة التصحيح التى مكنتنى ـ كما مكنت غيرى ـ من ان اكتب بحرية اكثر فى حدود الالتزام العام . ومعنى التقدير والشكر على اطلاق حرية التعبير هو الذى ابرزته بالذات عندما أهديت الى الرئيس السادات الكتاب والديوان اللذين اصدرتهما بعد حركة التصحيح .

ولهذا وجب الحفاظ على هـذه المعانى الجليلة وتهذيبهـا وتنميتها . ومن هنا نفهم ـ فى أمل ويقين متجـددين ـ فـول السادات بعد أحداث عصيبة وغريبة وقعت فى بداية السـنة عنـدما أكد اصراره رغم كل شيء على التمسـك بالديمقراطية والشرعية وسيادة القانون والحريات ودولة المؤسسات .

ان حركة التصحيح فى ١٤ و١٥ مايو هى مملوكة للشـعب ولجموعه وقواه العاملة ولمسيرته وتاريخه ، شانها شان سـورة ٢٣ يوليو ٥٢ وثورة سنة ١٩١٩ . انها جزء لايتجزأ من الحركة القومية المصرية . أنها مصر ، ومصر ـ أغلى ما نحمل فى أعماقنا من حب وولاء ـ حق مقدس للجميع .. كما انها فوق الجميع .

لم يكن تأييد حركة التصحيح فى ١٥ مايو ـ ولا استمرار تأكيد قيم ومعانى حركة التصحيح ـ « خوفا » او « نفاقا » او « احتواء » أو شيئا من هذه الافكار الخبيثة الرخيصة . ولا ينبغى أن نكون ذكر حركة التصحيح « تشنجا » أو « اختصاصا » أو « ارهابا »

هى أسمى واصح واجل على نفسها وعلى الشعب من كل هذه الأمراض .. وانه ليمكن القول ان الشعب ـ المؤمن الصادق ـ قد وجد نفسه مع حركة التصحيح التى ثارت على دولة الافراد بينما على ما يلـوح أن الافراد الذين « أدعـوها » دولتهم قـد فقدوا انفسهم وعقولهم ..

وقديما قيل ، وسيظل هذا القول كاشفا ودائما : لا يصـح الا الصحيح .

وتلك هى روح ومبادىء حركة التصحيح .

واذا كنت اؤمن ايمانا لا يتزعزع بهذا البلد الكريم الاعـز وبقضيته ، وبأن الوحدة الوطنية تتطلب تعبئة كل الجهود ، كما ان تعبئة كل الجهود تقتضى الوحدة الوطنية ، فأننى اؤمن ايمانا لا يتزعزع بان الرئيس أنور السادات بوطنيته الأصيلة الصميمة والمثالية وابوته الحانية الفاهمة الشاملة للاسرة المصرية لن يأخذ

احدا بظنون او شبهات ، بل انه عفا كثيرا ولسوف يعفو كثيراً ، وان الذين لن يجدى معهم العفو ـ ولا يجب معهم ـ هم فقط المردة المتمردون المارقون على كل القيم والاصـــول •• ومرضى القلوب الحاقدون حتى على هذا البلد العظيم المهضوم ..

ولعلى فى هذه المناسبة .. فى العيد الثانى لحركة التصحيح (١٥ مايو ١٩٧٣) الذى يجيء موعده مع « احتفـال » اسرائيـل بيوبيلها الفضى ، أجد ان هدف التصحيح الحقيقى هو تطويع وتقريب الامكانيات لنحتفل نحن لا هم .. ليعود الحق الى نصابه فى قضيتنا التى هى أعدل قضية وأكثرها واطولها تحديا ، والتى لم تخرج عن كونها امتحانا لحضارتنا ومصيرنا يستنهض همتنا •

واكرر المعنى الذى قلته فى العيد الاول لحركة التصحيح ، والذى اردده دائما ..

« ان للشعب املا اخر اكثر عمقا وضرورة ، وانه يمثـل لديه ما هو أهم من لقمة العيش والحرية الشخصية ـ عـلى اهميتهما وضرورتهما ـ ونعنى به تحرير الارض المغتصبة وازالة اثار العدوان » •

وهو ذاته امل السادات والقيادة السياسية •

غير اننا ـ وللحق ـ يجب أن نسلم بان العبء غير هين ، وان علينا أن نخوض معركة التحرير حتما مقضيا ونصرا مؤكدا بمشيئة الله ، ولكن بحساب بالغ الدقة وباعداد وافر ومحكم لا يخطىء ولا يتعجل ولا يحجم •

وتلك مسئوليتنا جميعا •

وتحيتنا لحركة التصحيح أن نرتفع ـ وبجدية صـــارمة ومتفتحة ـ الى مستوى هذه المسئولية مع ثقة لا يخالجها شك فى حسن وسلامة قيادة الرئيس السادات لمعركتنـــا الطويلة الشرسة القادمة •

٧٣/٥/١٢

الوقوف على الأطلال!

أخشى ان حديث « الذكريات » يعـاودنى ويلح على فى مناسبة مرور ٢٥ سنة على أعلان قيام دولة اسرائيل ودخول الجيش المصرى ـ والجيوش العربية ـ الى فلسطين ، ولربما هو صحيح ما يؤخذ علينا ـ نحن العرب ـ من اننا كثيرو الالتفـات الى المـاضى ، متعـددو « المصمصة » والحسرات على ما فاتنا ، بينما نحن قلما ننظر الى المستقبل .. ولا اقول نخطط له . ولكن ثمة « مناسبات » لايستطيع المرء اغفالها ، وبخاصة انها ما زالت ممتدة وما زلنا نعيش فى « تباريحها » المثقلة .

اننى أقاوم الذكريات واستسلم لهـا فى نفس الوقت ! وان كنت ـ فيما اظن ـ اعى الفرق بين ان يتذكر المرء المـاضى سواء امجاده « الغاربة » أو أوجاعه الدافعة الى الخلاص .. وبين أن « يتسمر » المرء بين ذكريات المجد والعار ، أو بالأحرى بين أن يأخذ دروس التاريخ استرشادا للمستقبل الافضـل ، وبين أن يفكر « بعقلية » المـاضى ويذوب فيه ! ولكن لابد من الاعتراف ان فى أعماقنا « بقية » مما غرس الأولون من أجدادنا ، فالبكاء على « الذى ذهب » مرض عربى قديم ! كان ـ عادة ـ « افتتاحية » القصائد العربية فى الجاهلية والاسلام !

ابتداء من « قفا نبك » لامرىء القيس الى قول المتنبى !

بليت بلى الاطلال أن لــم أقف بهــــا
وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه !

وفى مرة سابقة وحيدة ــ ومســـــتفيضة ــ تناولت بعض ذكريات نشأة اسرائيــل ومعركة اسرائيــل ومعركة فلسطين التى شهدت اطرافامنها فى سنة ١٩٤٨ ، وكان حديثى مركزا عــلى « تبرنة » اسباب خسارة المعركه من حكاية « الاسلحة الفاسدة » التى لصقت بها ، وبدا حديثى فى ذلك الحين غريبــا ومفاجئــا وجديدا على الكثيرين فيما عدا من شــاركوا فى حملة فلسطين من العسكريين وكان « الجديد » عليهم أن هذه الحميفــة لم يســبق نشرها !

ولقد ارجعت أسباب الخسارة الى جملة عوامل مؤسفة ، منهــا اننا كنا نفتقر الى ســلاح الدبابات . وقد أذعت سرا لاول مرة بشأن صفقة المــائة دبابة شيرمان التى عرضها الانجليز على اسماعيل صدقى فى ســـنة ١٩٤٦ ورفض شراءها للاســف الشديد ، ولو كان الجيش المصرى يحورها لاكتســـح فلسطين و « اسرائيل » اكتساحا ، ومنها ايضا قبولنا ــ الأحمق القصير النظر ــ للهدنة الاولى والثانية اللتين مكنتا اسرائيل من التسلح ، ومنها خيانات الحكام العرب وعلى رأسهم بطل اللد والرملة .. الملك عبــــد الله ، ومنهــــا كذلك أن الدولة المصرية كانت فى واد والمعــارك فى واد آخر وكأننــا كنــا نحمل « جراثيم » الهزيمة من الداخــــل ..

ذلك البحث والتحليل والأسرار عن معركة فلسطين ١٩٤٨ « فصل » من الجزء الثانى من كتابى « رحلات جادة مرحة » الذى صدر فى يوليو ١٩٧٢ . وكان الجزء الثانى الذى ضمته صفحات ذلك الكتاب يحمل اسم وهموم « رحلات مع الاوجاع » !

على اننى ــ كما قلت فى البداية ــ اقاوم الذكريات واستسلم لهــا فى نفس الوقت ، وان كنت لا احسبنى فى هــذه المناســبة

الحزينة ــ مناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لقيام اسرائيل ــ سوف استرسل طويلا أو اضيف جديدا فى التحليل ، انما الجديد ــ والحميد بمشيئة الله ــ هو ما نترقبه لايامنا وسنواتنا القادمة ..

غير ان « الشريط السينمائى » لشهور سنة ٤٨ منذ ١٥ مايو أو بالتحديد ١٧ مايو ــ يوم دخلت فلسطين لاول مرة ــ يدور ويدور فى راسى حتى ليصيبنى بالدوار ..

واذا كان استخدام تعبير « الشريط السينمائى » هنا على سبيل المجاز ، فأنه بالنسبة لى فى فلسطين ولمرحلة جانبية محددة كان حقيقة بالفعل .. وكان عملى « السينمائى » الاوحد ! ذلك انه كان قد انيط بى ، خلال عملى فى ادارة الشئون العامة « والدعاية » للقوات المسلحة عملية الاشراف « أو الاخراج » فى تصوير فيلم طويل حقيقى وحى لمعاركنا فى فلسطين ، وكنا ــ المرحوم حسن مراد كبير مصورى جريدة مصر الناطقة لاستديو مصر ، وشخصى ــ مع القوات المصرية فى الهجوم على مستعمرتى دير ياسين ونيتساليم واحتلالهما ومع « الزحف » الى المجدل واسدود ، وكانت صحبتى للمرحوم حسن مراد تخفف عنى قصف المدافع وتوتر الأعصاب ، فقد كان رحمه الله من اخف الناس ظلا . وما ان انتهينا من « التسجيل » على مراحل حتى شاركت فى عملية « المونتاج » ، ثم تفرغت لكتابة تعليق الفيلم الذى استغرق عرضه ونبراته الحماسية .. ساعة ونصف ساعة ..

ولو اننى أردت أن اقف عند مشهد واحد من شريط الذكريات لمعاركنا فى فلسطين لكان بطل « الموقف المشهود » هو المرحوم اللواء اركان الحرب احمد فؤاد صادق القائد العام للقوات المصرية فى فلسطين الذى حل محل المرحوم اللواء احمد على المواوى »

لقـــد كانت المرحلة الاولى التى حضرها « المواوى » هى المرحلة السهلة نسبيا . القوات المصرية تتقـــدم بيسر الى مدن عربية مفتوحة مرحبة وتمتد الى الأعماق وتحتل ما تراه مناسبا من المستعمرات الصهيونية وتترك اخرى - كالجيوب - أو تهاجم عددا آخـر دون أن تحقق أغراضهــا أو دون أن تعتنى بالمعاودة والتصميم على الاحتـلال .. كل هذا فى وقت كانت اسرائيـل - ابنة الأيام والأسابيع - بلا طائرات ولا اسلحة ثقيلة .

ثم قويت « شوكة » اسرائيل بعد الهدنتين ، «واستوردت » العـديد من العســكريين المدربين شرقا وغربا ، وحــولت ســفن الاسلحة مسارها من هنا وهناك لتصب كلها فى موانى اسرائيل فضلا عن الطائرات البريطانية والامريكية التى كانت تشكل جسرا جويا يحط فى مطاراتها وينشىء لها سلاحا جويا من العدم .

وحدث خرق الهـدنة الثانيــة من جانبهم - تلك المـرة - فى أكتوبر ٤٨ وحوصرت الفالوجة وصمدت ببسالة . غير أن موقف الجيش المصرى فى فلسطين كان قد اهتز ولم تثبته الا قيادة « فؤاد صادق » الذكى الشجاع والمناور البارع الذى اخذ يواجه المرحلة الصعبة .

والمراحل الصعبة - عادة - هى التى تتكشف فيها - وتحترم - معادن الرجال . وجاء « أحمد فؤاد صــادق » ليعيــد تنظيم الجيش للمــواجهة ، فأعــاد التنظيــم والثقــة فى أيام قليــــلة واكتسب الحب والثقة ، ورأيته عن كثب وبهرت به . ولمـا بدأ الاسرائيليون هجومهم الشامل فى ٢٥ ديسمبر ٤٨ أحس بالمخاطر وبأن مصير بلاده وكرامتهــا بين يديه ، فقــاد وتفتقت عبقريتــه وعبقرية معاونيه ، وشع الاستبسال والثبات فى نفوس الضبــاط والجنود المصريين الاصلاء ، بل بادر بالهجوم المضـــاد وارهب اسرائيل فى موقعة التبة ٨٦ وفى غيرها . واهم من ذلك كله أن

حركة الالتفاف حول العريش التي بداتها اسرائيل لاول مـرة فى ديسمبر ٤٨ ردهم فيها على اعقابهم وهزمهم وفوت كل فرصة عليهم ..

* * *

وآخر مشهد فى الشريط ... ويأتى بعد خمس سنوات من سنة ١٩٤٨ وعن معركة فلسطين سنة ١٩٤٨

المرحوم الفريق حيدر « باشا » وزير الحربية والقائد العام من سنة ٤٧ حتى ١٩٥٢ ـ وأشهد رغم كل ما اشـتهر به انه كان يحمل قلبا « طيبا » ـ يقف كشاهد تاريخ « ! » امام المحكمـة بعد ثورة يوليو ٥٢ ويؤدى شهادته ضد ابراهيم « باشا » عبد الهادى فيحمله ـ حيدر يحمل عبد الهادى ـ مسئولية ادخال الجيش المصرى الى معركة فلسطين ٤٨ بغير استعداد ! وانهـا كلفت الخزانة المصرية ٣٠ مليون جنيه ... !

يا سـلام ..

هكذا ... وياعينى !

٧٣/٥/١٩

«كوابيس» فيما يرى النائم!

قبل أن تحلم .. « تحلم » بأن تنام وتحلم ! أن تغسل صباحك المكدود لدى رقدة « القيلولة » فى الرابعة والنصف بعد الظهر ، لتستقبل مساءك المكدود وانت أكثر صحوا ! وتضع رأسك على الفراش ، ولكن الاغتسال يأتى مبكرا فاذا بك غارق لا فى نوم عميق ؛ وانما فى بحر من حبات العرق الذى تفيض به الرطوبة وتلفحه الحرارة ..

الجو خانق قاتل ، ولكنك تقاوم لعل وعسى يستسلم أو تستسلم فى معادلة صعبة ! وما تكاد تواجه « القيظ » حتى تجد نفسك وجها لوجه ـ أو سمعا لسمع ـ مع مجموعة هائلة من أسباب الارق والنكد و « الغيظ » !

« مولد » ينبعث من الشارع وكانه ينافس كافة شوارع العاصمة والثغر والاقاليم ليحصل على « كأس مصر » فى الضوضاء!

الباعة الجائلون « يلعلعون » على بضائع شتى من خيرات الارض ولا يهمدون !

والجيران يشنفون آذانهم بمحطات الاذاعة أو ينادون على بعضهم البعض بالاسم وبالاثم وبآلات تنبيه السيارات !

الاطفال فى مباراة كرة شراب حامية الوطيس لا يستخدمون فيها أقدامهم بقدر ما يستخدمون عقيرتهم !

كله « حلى » فى هذا الوقت من النهار ٠٠ و « بلماضـــة » شاملة ٠ ثم تهدأ الضوضاء للحظات أثر احتجاج ضحيه أخــرى راغمه منلك فى الراحة المختطفة ، ولكن الضوضاء لا تلبث أن تعود فتزعجك بصورة أكثر ضراوة رغم التهديد باستـدعاء بوليس النجدة !

هكذا تعانى وأعانى ، وأحاول مرة أخرى أن أستغيث « بالمعادلة الصعبة » كى أروح فى النوم ، وأفوض أمرى الى الله مترحما على المجتمع « الحضارى » الذى ننشده ، والذى تتمثل أبسط صوره فى الدوق والفهم والتقدير واحترام مشاعر الناس ٠٠ ولكنها مسألة « تربوية » نتحدث عنها كثيرا ولا نمارسها أو حتى نبدأها !

على اننى من التعب ومن العنـاء ومن قلة الحيـلة ومن الاعتياد .. أنام آخر الأمر .

وبدأ « الكوابيس » ـ لا الاحلام ـ فيما يرى النائم ، وكأنما « سلت عليه سيوفها الاحلام » كما قال شاعرنا القديم ٠

ومن براعة استهلالها أنها تستغل عامل الوقت والجو ، و« تقفش » لى لأمارس « النقد الذاتى » عن صفحة أولى من صفحات أحد اعداد « الجمهورية » فى طبعتها الثالثة تحمل نشرتين جويتين متناقضتين .

فعن اليمين كتبت « الجو اليوم : معتدل » وعن اليسار كتبت « الجـو : مائل للحرارة » ! كيف « جمع العـالم » والشتيتين فى صفحة واحدة .. بعد أن كانا يظنان كل الظن أن لا تلاقيا ؟!

ويبدأ حوار بينى وبين مقدم برنامج أخبار خفيفة فى محـطة اذاعة القاهرة ، والذى لم « يفوت » هذه الملاحظة الطريفة .

ـ تمدك « الجمهورية » راضية سعيدة بغالبية مادة برنامجك ثم تجزيها بجزاء سنمار « وتشهر » بهـا فى نفس برنامجك ؟!

ـ الحق حق ! ثم ان « الجمهورية » فى هذه اللقطة قد امدتنا أيضا باخبار خفيفة ! ثم انكم ـ معشر الصحفيين ـ لا ترحمون الاذاعة والاذاعيين فى الشاردة والواردة وفى المنصوب والمرفـوع !

ـ ولكن هذا الخطأ ـ وهو خطأ مطبعى ٠٠ لا ننكره ـ يحدث أحيانا فى كافة الصحف ، كما أنه كثيرا ما يحدث من الارصـــاد الجوية ذاتها أن تتناقض مع نفسها .. ومع الجو !

ـ اذا كان المقصود ان الجو مائل للحرارة نهارا ومعتدلا ليلا .. فلماذا لم تقولوا ذلك ؟

ـ المقصود ٠٠ علينا « واحد » ! وقد يكون لنا عذر آخر الليل والرابعة صباحا فى مرة نرجو الا تتكرر ٠ وانتم عليكم « مائة » و « عذركم » أن كلامكم قد يكون فى « الهواء » !

وأفيق من كابوس الاخطاء المطبعية التى قد تشطح بل «تنطح» أحيانا ، لأقع فى دوامة كابوس لا أحسبنى ولا أحسب الزمـــلاء الاداريين فى « الجمهورية » الا صرعى أزمته لمدة شـــهور طويلة ـ وأعنى أزمة ورق الصحف وحصة دار التحرير ـ وقد تحـولت أعصابهم الى ورق !

وأرى فيما يرى النائم اكداسا من « بوبينات » ورق الصحف فاتهلل وأقبل عليها ٠ وأهم بان اعانقها من اللهفة ، فيرتفع صوت أجش آمر : أرفع يدك .. هذه ليست لكم .. انها لجريدة كذا !

ثم تلوح أكوام أخرى ضخمة ، وان كانت أقل وزنا . فأسرع الخطا اليها فيبادرنى صوت لا يقنع ولا يقتنع ٠

دع بوبينى .. فبوبينى « شبرقة » !

ثم أمضى مغاضبا يعلو صوتى ، ولكنه يعود الى كرجع الصدى ، وان أثار زوبعة تحمل الى ورقا شاذ الاحجام والألوان والأوزان مما تذروه الرياح !

وأجد امامى ماكينة الطبع جائعة ضامرة « فابلل ريقها » بهذا الخليط الشحيح العجيب « المتهتك » من الورق .

وأعمد الى « لافتات » أعلقهـا أواسى بها الماكينـة واعزى نفسى . بعضها يقول « الصبر مفتاح الفرج » و « حسبنا الله ونعم الوكيل » و « من كل بلد ورقة » و « عصفور فى اليد خير من عشرة فى عرض البحر » وبعضها يقول بالانجليزية :

THE SHOW MUST GO ON

مما يفيد ان « المعركة مستمرة .. والحياة مستمرة » !

واختنق بالمعركة وبالحياة وبالكابوس !

غير أن جو الكابوس يختلف فجاة زمانا ومكانا .

الزمان : الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر يوم جمعة

والمكان : مسجد من مساجد مصر الجديدة .

خلا المسجـــد من المصلين الا الامـــام خطيب الجمعة .. وشخصى الفقير الى الله تعالى ...

ـ أعجبتك الخطبة لدرجة انك بهرت بهـــا ، واصبحت من العاكفين بالمسجد لاتبرحه ؟

ـ بصراحة .. لا ! انما بقيت خصيصا لأحاسبك عليها بالنيابة عن المصلين المعذبين وبالأصالة عن نفسى ..

ـ هل لكونى اطلت فى الخطبة والصلاة ، ورسول الله عليه السلام قال « من أم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة » ؟

ـ هذه قضية اخرى .. ومع هذا فاذا كنت تعرف الحديث الشريف وتؤمن به فلماذا تخالفه ؟ !

ـ اذن ما هى القضية الاصلية ؟

ـ القضية هى حول حديث شريف آخر يقول فيه النبى عليه الصلاة والسلام « بشروا ولا تنفروا » !

ـ اترانى نفرت الناس يا ملعون ؟!

ـ يافتاح يا عليم • يارزاق يا كريم ، ابتدأنا ! ارجو يا مولانا الا يضيق صدرك . لقد كان عامة الناس يناقشون الخلفاء الراشدين بل يصححونهم أحيانا ولا تثريب عليهم ولا يحزنون . هكذا تقاليد وسماحة وشورى الاسلام الحنيف .

ـ قل يا سيدى . الظاهر انك « لمض » !

ـ الله يسامحك . وندخل فى الموضوع . الم تلاحظ أن غالبية المصلين فى صلاة الجمعة كانوا من الشباب بين سن ١٥ وسن ٢٥ سنة ؟

ـ نعم ،ولهذا كان تركيز خطبتى عن الشباب .

ـ ولكنه للاسف لم يكن الكلام المناسب فى المكان المناسب أو فى الظرف المناسب بالتقدير المناسب • لقد أخذت تكيل للشباب السباب واللعنات ، وتتهمهم بالتخنث والفجور والمروق لكونهم أطالوا شعورهم وسوالفهم ! الم تر أن الحاضرين كانوا بشعور طويلة وسوالف طويلة ؟

ـ صحيح .. وهذه هى عين الشجاعة أن أواجهم « واعقرهم » فى عقر دارهم !

ـ يا أستاذ .. ليست هذه هى الشجاعة ، ولكنها اساءة أستخدام السلطة بانعدام مفرط فى التوفيق وقصور حقيقى عن فهم روح ولب الدين السمح . أن هؤلاء الشباب اعواد خضراء ، ومما يسعد الخاطر أن يقبلوا على الصلاة ، فكيف بدلا من أن نجذبهم ونثبتهم ، « نقرف » عيشتهم ونكتب على باب المسجد « محظور على شباب العصر » ؟

ـ وهل تعجبك هذه الميوعة والتشبه بالنساء ؟

ـ يا شيخنا .. أن الله مع الصابرين ! ان « تقصير » الشعر ليس دليلا على الصلابة . الزمن له أحكام وتيارات . سمها

تقاليع أو « موضات » أو أى شيء من هذا القبيل ، ليس هذا هو المهم . المهم هو هل يؤثر ذلك على رجولتهم أو وطنيتهم أو دينهم ؟ ابدا .. على سبيل التحقيق .. وها انت ذا تراهم مجدين فى دراستهم قائمين على واجباتهم الوطنية . حريصين على الصلاة . فقط ، هم يعيشون حياة العصر ! ثم لماذا نذهب بعيدا .. الا تعلم أن محمدا عليه السلام قال « أن الله لا ينظر الى صوركم ولكن الى قلوبكم واعمالكم » ؟

ـ هذه صورة مهزوزة ممسوخة .. انهم ترجمة عمياء حمقاء عن الغربيين الفسقة وعن تفسخ مجتمع « الهيبيز » !

ـ هل قرات « سيرة ابن هشام » أو « زاد المعاد فى هدى خير العباد » لابن القيم الجوزيه ؟

ـ ما معنى هذا السؤال ؟ هل تمتحننى يا افندى ؟ !

ـ لا سمع الله يا مولانا .. ولكن الحكاية ببساطة انك ستجد فى كل كتب السيرة ان النبى محمدا خير خلق الله كلهم ، صلى الله عليه وسلم ، كان شعره طويلا طويلا ..

وعند هذا الحد قام الشيخ الى لتوه متجهما يحمل عصاه .. !

ولكننى ـ من فضل الله ـ كنت قد أستيقظت من النوم ومن الكابوس !

أيها الشيوخ الاجلاء خطباء الجمعة : فى عرض دين النبى ، احسنوا اختيار « الجرعة الروحية » فى قضايا العصر التى تلقونها ، واحسنوا عرضها وانتم تنفردون بمئات المصلين ، حتى تكسبوا الناس ويكسبهم الدين وحسن العمل ، وحتى لا يذهبوا بددا ومللا وازورارا

رفقا بالعباد .. وارحموا من فى الأرض ، يرحمكم من فى السماء .

٧٣/٥/٢٦

رؤية شاردة لفضيحة أمريكا وبريطانيا!

اذا كانت جراحة المخ هى أحدث وادق واصعب الجـراحات ـ وهى بالعمل كذلك فى فن الطب و«معجزاته» ـ فان «جراحة» أو تعمق او دراسة « النفس البشرية » هى الأقدم والأشق ! هى قديمـة قدم التـاريخ ، ولكنهـا لا تخلق ولا تبلى على كثرة الأخذ والرد . المجتمعات تختلف والحضارات تتقدم ، والأفكار تتغير ، والمشاعر تضطرم ، والموازين تضطرب .. ولكنك تقرأ اليوم عن النفس البشرية لفلاسفة وحكماء الاغريق فتجد ما يلفتك منها فى نماذج معينة أمامك ، ثم تقرأ لفلاسفة وكتاب وادباء وشعراء وقصاصـين فى عصـور مختلفـة عبر التـاريخ حتى الآن ، فيسـتهويك من كتاباتهم ما ستهويك ، وتروح تحللها وتطبقها على شواهد تراها أو تأملات تتعمقها . ولكنك لا تشبع أبدا ، لا مما تقرأ عن النفس البشرية ، ولا مما تبدى عنها من الآراء الشخصية .

ذلك انها أغنى التجارب الانسانية سلبا وايجابا واكثرها اتصالا وابعدها اثرا . وربما لم تكتب بعـد الكلمـة الاخيرة الحاسمة فى هذا الشأن ، وربما لن تكتب أبدا . وربما كان هذا الامتداد ـ أو التعدد المتجدد ـ هو سر القضية وحلاوتها !

لماذا اقدم بهذا التقديم ؟ لعل فى الذهن فكرتين شخصيتين تساورانه « على هامش » هذا الموضوع .

* الأولى

هى التى يمكن تلخيصها ـ أو عنونتها ـ بما يسمى « الأبيض والاسود » أو نستطيع بلورتها بعبارة « الاحكام الحادة المطلقة » .

قليلا أو كثيرا ما نلتقى بأفراد نحدثهم ويحادثوننا فنجدهم يصدرون فى حكمهم على زيد أو عبيد من الناس بهوى جامح أعمى لا يفرق ، فالناس ـ فى رايهم ـ فريقان أما ملائكة واما شياطين ، أو بالأحرى « معى .. أو ضدى » ! هم لا يرون من الغير الا زوايا معينة ويضربون صفحا عن الزوايا الاخرى . ومن هنا تراهم يتفجرون كحمم البراكين ـ وبلدد وخصومة شديدين ـ ضد فريق .. بينما « يذوبون رقة » ويتجاوزون الممكن والمستحيل مع فريق آخر ! الناس ـ والاحكام ـ عندهم اما ابيض واما اسود . فلان « وحش جدا .. على بعضه » وفلان « كويس جدا .. على بعضه » ! الأول لا نتقبله ولا نقبل منه شيئا ـ بل نعاديه ونحاربه ـ لأنه مسلوب من الحسنات .. أية حسنات ! والثانى نضمه ونبش له ونهش لأنه على مزاجنا ! والحدة فى هذا وذاك انما هى انعكاسات صدر ضيق وفكر مغلق ! لا تحليل ، ولا اتساع أفق ، ولا تفرقة بين الحق والباطل .. والحسن والسيىء ، ولا تجرد ..

ويدخل فى نطاق تفسير هذه الظاهرة ـ فى قشرة من قشورها ـ قول الشاعر القديم :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما ان عين السخط تبدى المساويا

مع ملاحظة أن الشاعر لم يكتب بيته « تحيزا » لهذه الظاهرة أو لكونها « ضربة لازب » لا مفر منها .. ولا فكاك ، وانما البيت أشبه ـ فى رايى وتخريجى ـ بالاستنكار والسخرية !

ويدخل ايضا ـ من جانب آخر ـ فى معنى تهذيب التطرف

حول هذه القضية .. حكمة منسوبة الى رسول الله عليه الصلاة والسلام هى :

« احبب حبيبك هونا ما .. عسى ان يكون بغيضك يوما ما ، وابغض بغيضك هونا ما .. عسى ان يكون حبيبك يوما ما » .

والمسألة ـ بالطبيعة وبالضرورة ـ بعيدة كل البعد عن المعنى الخبيث المتداول احيانا لحكاية « مسك العصا من الوسط » !

المسألة ـ ببساطة ـ هى ضد « الضد » المتطرف الناكر على طول الخط ، أو « الـ .. مع » المفرط المتسيب على طول الخط !

والكلام هو عن اصدار الاحكام فى « العلاقات الانسانية » على مستوى المجتمع الواحد وعلى مستوى المجتمعات المختلفة ..

واضرب مثلا موضحا لعله هو « بيت القصيد » أو المقصود بهذه المقدمة الطويلة التى ارجو الا اكون قد درت فيها داخل دائرة مفرغة !

خذ قضية او فضيحة « ووترجيت » التى شغلت ـ ولا تزال ـ الأنباء والأذهان والاهتمامات العالمة .

نحن هنا لنا رأينا الخاص والخالص ـ المبنى على تجارب صادقة ـ فى الحياة والسلطة والصحافة الأمريكية .

وبرغم كل شيء فاننى اتوقف قليلا أمام زاوية خاصة أو « رؤية شاردة » حول فضيحة ووترجيت .

شهد الحارس الأمريكى ـ بالصدفة ـ قطعة شريط ملصقة على قفل فى أسفل باب احد مكاتب ووترجيت .. ذلك المبنى الضخم الذى تقع فيه مكاتب للحزب الديموقراطى الأمريكى . وشك الحارس ان وراء ما اكتشفه سرقة ولصوصا . وطلب الشرطة فجاءوا سراعا حيث دهموا خمسة أشخاص مختبئين ـ ليلا ـ داخل المبنى . كانت هذه هى بدية الفضيحة ، وبالتحديد فى ١٧ يونيو سنة ٧٢ ، اى قبل موعد انتخابات الرئاسة بعدة

شهور . و « نوم » الموضوع أو ميع ، وساعد على ذلك ان « اللصوص » امتنعوا عن « الفضفضة » رغم ما اكتشف من سماعات اليكترونية وكاميرات تصوير وادوات تجسس كاملة على أحدث طراز ! لكن الأمر لم يسلم من ان واحدا أو اثنين منهم قد « بزأ » كلاما وارشادا على شركاء آخرين وتمويل بعشرات الآلاف من الدولارات للعملية المريبة المقصودة . وحامت شبهات ـ نتيجة التحقيق والاستقصاء ـ حول البيت الابيض الامريكى مما دفع نيكسون الى أن يعقد مؤتمرا صحفيا فى ٢٩ اغسطس ١٩٧٢، يعلن فيه ان احدا من موظفى البيت الأبيض أو الحكومة الامريكية ـ ممن يعملون معه فى ذلك الوقت ـ لم يشترك فى هذه الحادثة الشاذة ! وجرت انتخابات الرئاسة فى نوفمبر ٧٢ ليحصل نيكسون ـ الذى اعيد انتخابه رئيسا ـ على أعلى اغلبية حصل عليها أحد من المرشحين فى تاريخ انتخابات الرئاسة الأمريكية ، ولكنه لم يهنأ عليها طويلا ! ففى يناير ٧٣ لدى محاكمة «اللصوص» الخمسة وشريكيهم الاثنين اللذين دلوا عليهما بدأت الحلقات تضيق حول علاقة البيت الأبيض « الجمهورى » بعملية ووترجيت للتجسس على « تكتيك » الحزب الديموقراطى فى الانتخابات ومواجهته .

وهنا جاء دور الصحف الأمريكية التى تبنت القضية وفجرتها ورصدت لها خيرة مخبريها وصحفييها وكتابها ليكشفوا الستار عن التكتم المحكم والتمييع المقصود ، وكيف ان المسئولين فى البيت الأبيض والحكومة الأمريكية ـ ونيكسون نفسه ـ ضالعون وغارقون حتى الاذقان فى فضيحة ووترجيت ! وتحرك الرأى العام الأمريكى والكونجرس . وبدأ « الرجال » حول نيكسون يتكشفون ويسقطون واحدا اثر الآخر .. وتشير الصحافة الأمريكية ـ فى حرية « شجاعة » واسعة واسطورية ـ الى نيكسون نفسه باتهامات بالغة التصميم والاحراج والتحقير مما اقتضاه ان يقف امام الرأى العام الامريكى فى التليفزيون باكيا

بكاء مرا نافيا عن نفسه المشاركة أو العلم أو الشبهات ! ولكن الصحف والمجلات الامريكيـة لم ترحمـه وسـاعدها أن الاحداث والحقائق وتصريحات المستقيلين انضمت الى صفها .

وانهالت المقالات والاتهامات والرسوم الكاريكاتورية الجريئة والفاضحة .

وقالت مجلة « تايم » الامريكية « ان الادانة لنيكسون كانت كاملة ومطلقة . انه يحرق جميع الابعـاد التقليدية للديموقراطية مثل الكرامة والتهذيب والفروسية والشهامة التى كان ينادى بها دائما » .

وقالت « نيوزويك » الامريكيـة : « أن النتيجـة كانت مدمرة لنيكسون ومنصبه » واضاف معلقها « السوب » ان هذه هى اخطر أزمة مر بها نيكسون او اى رئيس امريكى آخر .

ووقف المؤرخ الامريكى « أرثر شليسنجر » يقول فى محاضرة له بجامعة برنستون « اذا كان نيكسون مطلعا على أعمال مساعديه فهو محتال وغشاش ، واذا لم يكن فهو ابله » !

و « اهتبلت » الفرصة ـ كالعادة ـ مؤسسة جالوب وطرحت استفتاء ـ بطريقتها ـ حول شعبية نيكسون بعد فضيحة ووترجيت اسفر ـ كما اعلنت عنه الصحف ـ عن انخفاضها الى اقل من خمسين فى المائة

وهكذا نلاحظ ان ثمة قدرا غير قليل من الحرية فى الحياة الأمريكية والصحافة الامريكية حتى فيما يتعلق بمستوى القمة . وهذه الحرية الواسعة المدهشة لا نملك الا تأملها والتسليم بهـا بصرف النظر عن الاعتبارات الأخرى ، او الأحكام الحادة المطلقة التى تأخذ جانبا واحدا فقط لاغير أما أبيض اما أسود .

اما ما هى نتيجة هذا كله فهى مسألة فى كف القـدر ... والله أعلم !

* والثانية

أعنى الفكـرة الثانيـة التى تدور فى الذهن « على هامش » قضايا النفس البشرية ، لا أحسبها شديدة البعد عن الفكـرة الأولى التى حمت فيها حول معنى « التجرد » .

ان جوهر الفكرة الأخرى هو محاولة « عذر الناس » وتقدير ظروفهم وبيئتهم . الا نظلم الآخرين ظلما سريعا مرتجلا مبتسرا ، ينبغى ان نضع انفسنا مكانهم مرة واثنتين قبل ان ندينهم ادانة كاملة . صحيح ان هنـاك « عناصر » هى ـ بالتجـربة وربما بالفطرة ! ـ ميئوس جدا منهـا تحت اى ظرف وفى ظل اية بيئـة وان كان لا ضير من ان نعطيهم الفرصة مرة أو اثنتين ، ولكن هذه قد تكون قضية اخرى .

ولنضرب هنا كذلك مثلا موضحا ..

« فضيحة الجنس » التى دوت فى بريطانيا وهزت حكومة المحافظين ـ مرة أخرى ـ وتناقلتها الصحف ، وما نفتأ نتابعها فيما يشبه « لذة » قراءة الفضائح ومتابعة سيرة الناس .. وبالأخص الكبار منهم !

و « للانصاف » يلزم ان نعترف بان « موجة عارمة » من الجنس قد طفقت تغزو المجتمع الغربى ـ بصورة مذهلة ومفزعة ـ وتتزايد سنة بعد أخرى . وغنى عن البيان ان « الانصاف » هنا لا يعنى التعاطف مع موجة الجنس أو اقرار وجاهتها !

لقد زرت بريطانيا لأول مرة فى سنة ١٩٥٥ ، وكان الجو « المحافظ » نسبيا هو الذى يكسوها فى ذلك الحين بالمقارنة ببلد آخر مثل فرنسا أو المانيا الغربية أو السويد .

ثم زرتها مرة ثانية فى سنة ١٩٦٦ ولاحظت أن الزمام « بدأ » يفلت وهو ما فعله مرور أحد عشر عاما ، وان كان « الافلات » معقولا بعض الشىء ومقصورا على نواح دون أخرى .

ثم كانت زيارتي لها في خلال شهر يوليو ١٩٧٢ ، وهنا لاحظت ان « برقع الحياء » قد نزع تماما من وجه المجتمع البريطاني .. وكشف عن عوراته بصورة بعيدة عن التصديق .

اما لماذا وكيف حدث هذا .. في بريطانيا ــ على الخصوص ــ حتى فاقت فرنسا وأمريكا والسويد وغيرها ، فتلك قصة طويلة ، ومنافشات شغلت الحكومة والبرلمان والراى العام ، وفهم «غريب» للحرية التى لا تخضع للرقابه سواء فى المسارح او السينما أو مجلات الجنس التى هى فى متناول كل يد وايىما ذهبت .. بل ان الأمر ذهب الى أبعد من ذلك فى مفهوم « الحرية الشخصية » حتى انهم فى بريطانيا اقروا رسميا « الشذوذ الجنسى » والزواج بين أفراد الجنس الواحد .

ولكنك اينما سرت فى لندن ــ مثلا ــ تحس انك مفتون مطارد وتشعر بضغط شديد وملح على طاقتك « العصبية » لا يقدر على مقاومته الا عدد قليل .. ولولا ان يرى « برهان ربه » !

عبرت عن هذا المعنى فى قصيدة اقول فى مطلعها :

رحى يطحنني فيها زحام السوق والعادات
و « أفلام » تنادى « الجنس » ثم القهر للشهوات
واضداد : كراهية لهذى الدار ظالمة
واعجاب بحرياتها والعلم والقدرات

وفى قصيدة « لندنية » أخرى اقول فيها :

ثورة الجنس ان تكن أرخصته
ارخصتنا كذاك طبعا وسمتا
زينوها « بتكنولوجيا » وفن
ودروب الى الغرائز شتى !

حاصل القول انه فى مثل هذه البيئة « الفاحشة » الشاملة كان يعيش لورد لامبتون البطل الاول لفضيحة الجنس ببريطانيا ووزير شئون السلاح الجوى الانجليزى المستقيل ، بالاضافة الى

مجتمع « مخملى » خاص ؟ ليس بعيدا عن التصور انه ميسور له فوق ما تقدم .

ووقع فى الفخ .. وربما كان حريا وسهلا ـ مع ما تقدم ـ ان يقع .

ولم يجد بدا من ان يستقيل .

ووقف امام التليفزيون البريطانى ـ والى جواره زوجته ! ـ يدلى باعترافات مثيرة وصريحة بعد استقالته .

اعترف انه اقتسم الفراش فى نفس الوقت مع « ورماليفى » « الايرلندية » و « كيم السمراء » ابنة جزر الهند الغربية ! .

وعندما سأله المذيع عن السبب فى ان يتصل رجل فى مثل مركزه الاجتماعى بفتيات الليل أجاب قائلا انه فعل ذلك على سبيل « التغيير » ! واضاف قائلا « واعتقد ان هذه تجربة مر بها ـ أو ممكن أن يمر بها ـ أى انسان » !

ولست اسوق هذا الكلام ـ أو تلك الرؤية الخاصة الشاردة ـ دفاعا عن لورد لامبتون بطبيعة الحال ولا عن فضيحة الجنس فى بريطانيا .. ولكنى فقط اضع صورة خلفية عن الجو والظروف والبيئة المحمومة التى يجدها المقيم الدائم فى بريطانيا والتى يمكن من جرائها أن يخطىء أو يعصم . ولنا بعد ذلك أن نعذره او لا نعذره .

ومن هنا المناداة باصلاح المجتمع من جذوره ، ولكن ترى هل فات الاوان ؟ !

٧٣/٦/٢

٩و١٠ يونيه وأعجب الملاحم

ستار من الصمت ؟ ولكنه خطير مريب رهيب : القلب ولهان مخلوع بين الامل والجزع ، والفكر قلق مشتت بين الشك واليقين ، والجسم صابر مكدود بين السهر والسير الحائر المتخبط فى المجهول ، وسبق ستار الصمت عبر أيام ستاران : أولهما ستار « الشحن » و « النفخ » حتى صباح الخامس منه ، وثانيهما ستار « هستبرى » آخر من الانباء المتوترة الزائفة حتى مساء الثامن منه . غير انها ـ كلها .. للأسف الشديد ـ كانت مجموعة ستر ـ أو ستارات ـ تحجب الحقائق والأعلام حتى عن هؤلاء القريبين مثلى من مواقع الأعلام .. ولا أقول المشتغلين به .

ولم أكن أدرى ـ مساء الثامن من يونيو ٦٧ أو فجر التاسع منه ـ عندما رحت ادير « مؤشر » جهاز الراديو والتقط محطة اجنبية تذيع على الهواء جلسة مجلس الأمن التى تناقش العدوان الاسرائيلى على مصر اننى كنت أرفع الأستار الثلاثة عن أوجع مأساة مذهلة تكشفت فى حياتنا المعاصرة ، ولا زلنا نحمل بقايا اعاصيرها القاصمة فى أعماقنا لولا قدرة مصرية خارقة وأصيلة على الصمود والمقاومة والتصدى .

ووجدتنى أجهش ببكاء ملتاع مجنون بمصر . كم من الوقت مضيت أبكى ؟ لا أدرى .. ولكن حتى لحظات التوقف كانت امو

من البكاء بينما اخذت استفظع واستابى ما حدث ، واهرب من ان أصدق فتصدمنى اصداء الكلمات الواجمة المتبادلة فى تلك الجلسة المأساوية المذاعة . ولم انم .. وكيف انام ؟

ومن عمق الصدمة لم الحظ ان قرار مجلس الامن فى جلسته تلك كان اغرب القرارات واخسها ، اد انه لأول مرة فى تاريخ اى عدوان سافل مبيت ـ كعدوان اسرائيل فى ٥ يونيو ٦٧ ـ ينص على وقف القتال دون ان يؤكد ضرورة انسحاب القوات المعتدية الى مواقعها الأصلية .. ولكنه « جونسون » والحكومة الامريكية وحقدهما الموتور ومؤامراتهما .

ماذا حدث ؟ وما الذى دهانا هكذا ؟

سلاحنا الجوى وطائراتنا المقاتلة تتحطم على الأرض فى ضربة واحدة ، وفى سحابة نهار ، وقبل الدخول فى أية معركة ، وبرغم المحاولات الشجاعة التى استبسل بها طيارونا الأبطال المظلومون لانقاذ ما يمكن انقاذه . لماذا « غفل » فجأة المسئولون عن حماية أجوائنا وطائراتنا المدخرة للمعركة ؟ لماذا .. وقد سبق أن « لدغنا » مرة بهذا الهجوم الجوى الساحق المفاجىء فى العدوان الثلاثى سنة ٥٦ ؟ حتى نحن « المدنيين » فى حجراتنا المسالمة بمؤسسة دار الهلال التى كنت أعمل بها فى ذلك الحين اجتمعنا قرب العشرين من مايو ٦٧ ـ وكانت ازمة خليج العقبة محتدمة ـ وتداولنا الأمر كيف نسهم بمجهود « متواضع » خارج نطاق المجلات ، فأشرت على زملائى بطبع « افيش » يركز على اليقظة لحماية سمائنا وينبه الى استعدادنا لمواجهة اى هجوم جوى غادر ، وقام الفنانون بالتنفيذ والطبع فى ساعات معدودة ، وغمرت الافيشات المصورة الملونة حيطان شوارع القاهرة والاسكندرية والأقاليم ، ولعل بعض آثارها ظلت قائمة فترة طويلة بعد النكسة .

والجيش المصرى العظيم والباسل – حقيقة – والمتمكن ... غير الممكن لأسباب خرجت عن ارادته ، الجيش المستعد المهضوم الذى ما كاد يبدأ الحرب الدفاعية حتى أمر بالانسحاب لماذا « عومل » هكذا ؟ لست أنسى – مع توالى السنين – كلمات أحد الزملاء المصورين فانها على بساطتها لعظيمة الدلالة . قال لى انه كان يقف فى مطار « تمادا » بقلب سيناء صباح الخامس من يونيو عندما شهد طائرات تقترب فاعتقد انها مصرية ، ولكنها عندما اقتربت وقذفت قنابلها على المطار أيقن انها للعدو الاسرائيلى ، فانبطح على الأرض ، ومضى قائلا « كنت منذ أيام قد شهدت – وصورت – مناورة هائلة للجيش المصرى بالدبابات والمدفعية والمشاة والطائرات ، وكانت تلك المناورة على درجة عالية جدا من الروعة والدقة والتكامل والتصميم بحيث أنه لا يمكن أن يتصور معها – بحق – الا ان كفاءة قواتنا قادرة على الاتيان بالمعجزات ، واخذت اتمتم فى ثقة بالغة بينما ارقد تحت وابل القنابل الاسرائيلية : يارب .. ادعوك سبحانك الا اموت فى هذه الغارة حتى أشهد نصر جيش بلادى بعينى .. » .

ولكن « الانهيار » .. وشتات الفكر .. وطريقة « كلاكيت ٢ » كما حدث فى انسحاب ٥٦ (والقياس معدوم) وجملة عوامل أخرى كانت قد هزمت « مسئول الجيش » فأمر القوات بالانسحاب يوم ٧ من يونيو مع انها كانت قادرة على الصمود وعلى عرقلة الزحف الاسرائيلى بل على الهجوم المضاد ، ومع انعدام الغطاء الجوى فان الخسائر كانت ستغدو أقل ، وذهبت سدى محاولات بعض القادة وبعض الشباب فى أن يعدل عن قراره بالانسحاب ...

وهكذا « تبخر » كل شيء وهلك .. وقعت الواقعة .. وحدثت نكسة ٥ يونيو وتصاعد الصلف الاسرائيلى . وأقول الحق ان صباح ٩ يونيو ٦٧ طلع على كأقسى صباح يمكن ان يعصف بانسان..

وكرهت ساعتئذ الدنيا بما فيها ومن فيها . ولم يبق في وجداني شيء سوى مصر .. واسم مصر .. ومجد مصر .. وكرامة مصر . ولم أعرف ماذا يمكن أن اصنع ؟ اتمزق ؟ احترق ؟ انتحر ؟ لماذا يارب — يا قادر يا رحمن — يحدث لنا ما حدث وكيف ؟ والأهم .. ما هو المصير وما العمل ؟

ساعات قاتمة قاتلة لا أعادها الله سبحانه ، ولن تعود أبدا بمشيئته عز وجل ثم بيقظتنا وبتعلمنا الدروس .

وفي مساء ٩ يونيو كانت « شائعات » خسارة المعركة قد بدأت تتناقلها الألسن والوجوه الجازعة . ثم عرف أن «عبدالناصر» سوف يلقى خطابا بالغ الخطورة الى الشعب في الاذاعة والتليفزيون . وجلست الى التليفزيون في غرفتي بدار الهلال ومن حولى ما يزيد عن الخمسين أو ربما المائة من المحررين والموظفين والعمال نستمع لخطاب عبد الناصر وما كاد يصل الى فقرة « التنحى » حتى بدأ بعض الشباب حولى يصيحون في تشنج باك : لا ياريس .

غير أن نفسي كانت قد ذهبت بكاء وحسرات على مصر منذ الصباح الباكر حتى جفت دموعي ، واحترت ماذا أقول بعد ان انتهى عبد الناصر من خطابه ، وكان لابد أن ألقى ولو كلمة مقتضبة أشد بها ازر النـاس ، وان كنت محتـاجا لمن يشد أزرى . على انني قبل ان اجد الكلمات — وبسحر ساحر ، وبقوة كامنة عجيبة في أعمق أعماق هذا الشعب المصرى قاهر الغزاة وحافر مقابرهم ، وبتلقائية عاطفية وذكية واعية في نفس الوقت — كان شـارع المبتديان يغلى — في ثوان — كالبركان الثائر . ولم يكن هذا الشارع القصى الا صورة طبق الأصل من كافة شوارع القاهـرة والاسكندرية وسائر أنحاء الجمهورية بل البلدان العربية .

مظاهرات خرجت بصورة كاسحة ومحمومة ، ملهمة بغير اعداد ولا تدبير ، وعلى حد تعبير الرئيس انور السـادات في مناسـبة

من مناسبات اشادته بموقف شعب ٩ و ١٠ يونية الذى هو ذاته شعب ١٤ و ١٥ مايو « وبغير تحريك من الاتحاد الاشتراكى بل ان التنظيم السياسى فوجىء بها دون أن يدرى شيئا » .

وكان الهتاف السائد ـ وكأنه نغمة فطرية معبرة عن نبض الجماهير دون ان يلقنه أحد لأحد ـ هو « بالجيش بالشعب حنكمل المشوار » ..

موقف قد لا يكون له مثيل فى التاريخ الانسانى ، بل لعله غير مسبوق بالفعل ، كأنه أسطورة بعيدة عن التصديق ، وان كان حقيقة تشكل ملحمة من أعجب الملاحم ..

هناك مواقف تستعصى على الدراسة الوافية والتحليل الدقيق فيتخبط فيها ويختلف المؤرخون . هناك أحداث تفشل قبلها الحسابات والتنبؤات فيعجز عنها حتى العقل الالكترونى .

ومساء ٩ من يونيو وصباح ١٠ منه سنة ١٩٦٧ يأتيان فى طليعة هذه المواقف والأحداث بما فيهما من حركة « فجائية » للتاريخ جسيمة وكاسحة ويكفى انها كانت « طوفانا » بشريا يعلن ويطلق ارادة خبيئة باهرة .. على هذا « الاجماع » المدهش غير المتوقع وغير المتفق ـ ربما ـ مع منطق « العقل البارد » من ناحية وردود الفعل « الغاضبة » من ناحية أخرى ، جاء هكذا لحكمة خافية وكأنها « منحة » الاهية .. بأسباب لم تتضح تماما ولاغراض لم تسفر تماما !

هل « المسألة » أشبه بقوله تعالى « لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم »

لقد كان من بين الملايين الذين خرجوا مساء ٩ يونيو للتمسك بعبد الناصر مئات ـ بل آلاف ـ ربما « ثاروا » عليه فى صباح ٩ يونيو أثر ادراكهم الهزيمة وحجمها ..

أهي « الكهربة » العاطفية فوق اعلان التنحى أثارتها قضية الشهامة والتعاطف ؟

أهو عدم تصور الحرمان « القطعى » من قائد مسيرة وانتصارات استمرت ١٥ سنة وبالتالى تجيش « هواتف » فرض الارادة على « المقادير » ؟

أهو نداء مكتوم لم يفصح وكأنما يقول « كما وقعت ووقعنا معك فى الفخ ، قاوم واخرج واخرجنا من الفخ » ؟

اهى احساسات المصير الداهم والمخاطر الرهيبة التى كانت تنتظرنا لو انهرنا واختلفنا وتفرقت بنا السبل فكان لا بد من التماسك والصمود والوحدة حول هدف فكان « ازالة آثار العدوان » وحول«رمز» قائد ، وان يكن خانه الحظ أو الحسابات ؟ فكان « عبد الناصر » الذى نعرفه وطنيا صلبا رغم كل شيء ؟

وكان موشيه ديان يقف على الضفة الشرقية لقناة السويس ويفرك يديه فى انتظار « مكالمة الاستسلام » . وقبل ان تعرف حكاية ارتقاب ديان للمكالمة التليفونية كان الشعب المصرى المجيد ـ المجيد حقا لا افتعالا ولا تفاخرا كاذبا ـ يشعر بتخرصات الأعداء الصلفة فتلهمه حاسته السادسة وعراقته واصالته وتراثه بالتصرف ليقطع السبيل على هذه التخرصات والأوهام ، وليلم شتات نفسه ، وليرفع « أبلغ » و « ابدع » شعار يمكن ان يسود فى تلك اللحظة وعلى الدوام ..

« بالجيش .. بالشعب .. حنكمل المشوار » ..

اذن فالشعب ـ فى جملة واحدة وارادة واحدة ـ يطيب خاطر الجيش ويدرك انه « مظلوم » فيعذره .. ويجدد ثقته به ، ويطمئنه ـ ويطمئن مصر كلها ـ ان الشعب مع الجيش فى الطريق وان « دور » الشعب ينبغى أن يتأكد .. أن يعطى فيعطى .. ويالة من عطاء !!

وهكذا التقطت الأنفاس واعيد بناء القوات المسلحة واستأنفت المسيرة و « المشوار » وكانت أعجب الملاحم .

المفاوضات المباشرة :

والآن ، وبعد ست سنوات ، وعدوان اسرائيل قائم ومستمر ، واستعداداتنا قائمة ومستمرة ، والقضية برمتها وبعرض شامل منظورة تفصيلا وحسما أمام مجلس الامن أجدنى « مغيظا » نتيجة « النغمة الملحة » التى ترددها اسرائيل صباح مساء وتشاركها أمريكا ايضا فى عزفها بنفس « الرذالة » واعنى بها نغمة « المفاوضات المباشرة » والتى كانت محور خطاب مندوب اسرائيل أمام مجلس الأمن فى ٧ يونيو ١٩٧٣ .

ولقد كنت انتوى ـ لولا أهمية « كلمة » نازعتنى حول ٩ و ١٠ يونيو ـ ان اناقش هنا محاضرة هامة لايجال الون القاها فى مايو ٧٣ ، يرمى بها ان يبدو وكأن « صوت العقل » له وجود فى اسرائيل ، عندما اعلن ان « بقاء احتلال اسرائيل للاراضى العربية لا يحقق السلام ، وفى نفس الوقت فان اعادة « كل » الأراضى المحتلة الى العرب لا يحقق أمن اسرائيل » . الا انه ـ على اى حال ـ يلعب ايضا لعبة ضرورة المفاوضات المباشرة .

وفى رأيى ـ باختصار شديد ـ ان دعوى المفاوضات المباشرة لحل قضية الشرق الأوسط واحلال السلام فى المنطقة انما هى حجة باطلة مقصودة « للتهرب » من الحل ولكسب مزيد من الوقت وللاستمرار فى محاولة فرض « الأمر الواقع » .

ولن اقول ـ على الأهمية البالغة لذلك .. والبداهة كذلك ـ ان القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة لا يسمحان ابدا بغزو دولة لبعض أراضى دولة أخرى واحتلالها بالقوة ، وانه من الضرورى والمحتم بلا نقض ولا ابرام ان تنسحب القوات « الغازية » الى الخطوط التى كانت عليها .. اى فى حالة اسرائيل الى خطوط ٤

يونية ٦٧ ، وانه لا يتفق عدالة وقانونا وبالروح وبالنص أن يفيد المعتدى من عدوانه كما تحاول اسرائيل أن تفيد وان تساوم .

ولن أقول ايضا ـ على اهميته القصوى وكونه مفحما فى قضية السلام ـ انه قد ثبت ووضح امام العالم كله أن مصر تنشد السلام فعلا وتعمل عليه شريطة أن يقوم على العدل ـ والعدل أوضح من أن يختلف عليه ـ وانها لم تأل جهدا فى مبادرتها السلمية ، وفى احقاق الحق عن طريق أجهزة الامم المتحدة .

ولكنى فقط أتساءل : أو ليست اسرائيل تزعم انها وافقت على قرار مجلس الأمن ٢٤٢ فى ٢٢ نوفمبر ٦٧ الذى وافقنا نحن أيضا عليه ؟ الاجابة انها تزعم ذلك . اذن ، ما هى صورة «بحث» تنفيذ القرار المذكور الذى ووفق عليه ؟ الصورة هى اتصالات المبعوث الدولى جونار يارنج بالطرفين ، وليست المفاوضات المباشرة التى لم ينص عليها ولا هى واردة لحكمة غير خافية .

فاذا جاءت اسرائيل و « عرقلت » مهمة يارنج وكافة المحاولات المبذولة ، ثم رددت حكاية « المفاوضات المباشرة » المجوجة والمرفوضة منا ومن مجلس الامن والامم المتحدة ، فلا معنى لذلك الا أنها تضع « العربة أمام الحصان » بمساندة أمريكا ، و « تتعسف » حتى لا تحل القضية « سياسيا » ولا ينفذ قرار مجلس الأمن « عمليا » ثم « أعمال » الأمر الواقع .. المرفوض .

على انه فيما يبدو ، ورغم كل ما ذهبنا اليه ونذهب ، انه لا سبيل الى « تحريك » القضية وحلها الا كما قال السادات « ان نتحرك ونكسر الجمود » .

ونكمل « المشوار » وانه لطريق محفوف بالمكاره والتضحيات ، ولكن لا بديل له ليصبح آخر الأمر « طريق السلامة » بمشيئة الله ..

٧٣/٦/٩

بقية من أحاديث "يونيه"

تذكره فى أحاديثنا ، ونتجرعه فى صمتنا ، نختزنه فى أفكارنا ، ونذيبه ويذيبنا فى مشاعرنا . وما كان أغنانا عن ذلك . بل ما كان أحرانا ان نبدل الصورة أو على الاقل نخفف منها .

الشهر موح موجع ، ولا ندرى - أو لعلنا ندرى - من منا ظلم الآخر أكثر . الشهر ممتد ستة اعوام ، كأنما نشب اظفاره فى اعماقنا ولم يتحول بعد . أو كأنما نحن اشبه « بالمغروسين » فيه . لم يقتلنا ، ولم نقتله ، لم نستسلم له ، ولم يرحل عنا بعد ما مثله وما جسده . الشهر .. نحن « نعيش » فى قلبه الآن ، فكيف لا نعود الى « سيرته » مرة أخرى فيما نكتب ؟ قد يكون « وقع » بالمصادفة . ربما أمكن ان تقع أحداثه فى أكتوبر او يناير أو ابريل ، ولكنها اختارته هو .. اختارت « يونيو » والخامس منه « لتدخل التاريخ » ، ثم لتنظر الينا فى اشفاق وابتهال واستنفار لنخرج مضمونه من التاريخ ونمحو آثاره . ما أكثر ما يشاغلنى « يونيو » و « سيناء » ، ولا أحسبنى ولا أحسب المصريين - وهم أبناء الصبر والمقاومة والنصر آخر الأمر - سيهدأون قبل أن يكون « لنا » يونيو وسائر الشهور ، وقبل أن نعود الينا سيناء وسائر الأرض المحتلة . ونحن لسنا « ندابين » . نحن عاشقون مدلهون بمصر . نحن فقط نستحث بالذكرى

وبالعبرة أنفسنا والآخرين .. واذا كانت اقدامنا ما زالت تقف على « الأمس » ، فان أعناقنا تشرئب وتطل على « الغد » وآمال الغد .

على انني فى النصف الكسيف الاخير من يونيو ٦٧ كنت هناك هامدا متعمدا أطل على الضفة الشرقية للقناة .

فجأة ـ وقد بدا انه انتهى كل شيء فى المعركة العدوانية الاسرائيلية الخاطفة ـ الفيت الموقف فى القاهرة فوق الاحتمال . ومن الغريب حقا أن وجدتنى منساقا للذهاب الى الاسماعيلية والسويس حيث الموقف ابعد مدى واشق من درجة « فوق الاحتمال » .

كنت مدعوا مع مجموعة من الزملاء الصحفيين فى أول يونيو ٦٧ للتوجه الى العريش « ومعايشة » جنودنا واستعداداتهم والكتابة عنهم وعنها . وتحدد فجر يوم الاثنين ٥ يونيو للسفر بالطائرة . وفى الثالث من يونيو ابلغتنا ادارة الشئون العامة والتوجيه المعنوى للقوات المسلحة اعتذارها ، واجلت «ترتيبات» السفر الى موعد آخر يحدد فيما بعد . ولا أعلم ماذا كان يمكن ان يحدث لنا لو قضى القدر ان نكون فى بدء ووسط المعمعة ومع « حموة السكين » ! ربما كنا استشهدنا أو أسرنا أو « اتنقطنا » أو مشيناها خطى كتبت علينا عبر سيناء .

ولكننا ـ لحكمة خافية ـ لم نمارس مرارة التجربة المباشرة ، وعشناها على أعصابنا وأوراقنا فى القاهرة نتجرع الأهوال و « التهاويل » والضياع مع عشرات الطائرات الاسرائيلية التى « اسقطتها » اذاعة القاهرة ..

وهكذا فى الثامن عشر من يونيو ٦٧ واستجابة لنداء نفسى غامض « محروق » ولا يقاوم : تركت موقعى بالقاهرة دون أن أخطر احدا ، وركبت عربتى الخاصة ـ وحدى ـ الى الاسماعيلية والسويس . كأنما كنت هائما على وجهى . كأنما كنت أفر من

قضاء الله الى قضاء الله • كأنما أردت أن اطفىء نارى فى ماء القناة أو أزيدها اشتعالا . كأنما ــ بلا ارادة ــ كنت أقيم نوعا من « التعادل » .. جماعات تعود من القناة الى القاهرة بينما اجرى من القاهرة الى القناة . كأنما ابتغيت « تعميق المهانة » فى النفس اذ أشهد ــ بعينى راسى ــ الجنود الاسرائيليين داخل حدودنا لاستثير المزيد من الغضب والحقد على اسرائيل .

وقضيت بين المدينتين العزيزتين بضعة أيام مشدوها حزينا مثقل القلب . ووقفت على الضفة الغربية أحرق عينى برؤية تحركات جنود اسرائيل ، واخرق اذنى بسماع ضحكات يطلقونها من الضفة الشرقية • ماذا لو اطلقت عليهم الرصاص وهم يدنسون تراب بلادى ؟ اننى لم أقتل احدا منهم على الاطلاق من قبل . ولكن ماذا تفيد طلقات فى الهواء أو « فى المليان » والحال هو على ما كان عليه ؟

غير اننى جلست على حافة القناة ساعات بلا حراك ، كالغائب عن الوعى ، كمن « فضيت » الدنيا عليه . كالجالس فى « ميتم » أهله وخلانه اذ راحوا بعدد يفوق الحصر .

ثم التفت أمامى فخيل الى اننى لا أرى جنود الأعداء ولا اسمع وقع اقدامهم . تحولت الارض قبالتى ــ على حين غرة ــ الى ذكريات والذكريات صدى السنين الحاكى . فاذا كانت « الصحراء » باعثتها ففى استطاعتها أن تخلق « سرابا » يفرض نفسه ويحكى .

ان ثمة « علاقة خاصة » بينى وبين سيناء ، ناهيك عن كونها قطعة عزيزة من ارض الوطن .

وقفزت ذكرياتى الى أعوام ٤٣ و ٤٤ و ١٩٤٥ وكنت فى مطلع شبابى و « خدمتى » اعمل ضابط مدفعية فى « الشط » بسيناء وفى السويس والاسماعيلية ثلاثة اعوام متصلة .

ولعلى لا ابالغ اذا اعتبرتها من احلى سنوات الحيـاة واعذبها واكثرها براءة وانفتاحا . كأنها « الحب الأول » . قد تكون سبل الحياة وتضاريس الزمن واختلاف التجارب وتجددها ونضوجها باعدت الشقة بينى وبين تلك المرحلة ، ولكنها ما فتئت تحتل مكانة غالية فى القلب ..

ان سيناء هى ديوان شعرى الذى بكرت به .. ففيها وعنها أصدرت ديوان « وجدان حائر » سنة ١٩٤٧ .

وشهدت على البعد ـ بعد الزمن من ٦٧ الى ١٩٤٣ ـ ومع السراب ـ الذى اخفى جنود الأعداء ـ موقع « تروب » المدفعية المضـادة للطائرات والأنوار الكاشـفة الذى كنت اتولى قيادته و « اصـادق » كل جنـدى من جنـوده المصريين الاوفياء كما « أتآلف » مع كل حبة رمل من رمال الشط وسيناء .

وتبدت لى « خيـامى » بينما « اسرح » مع الذكـريات والسراب ، وكأنما هى تكفكف دموعى ..

وسمعت أصداء صوتى فى جنح الليل يترنم بأبيات نظمت فى شط سيناء . أبيات قديمة بدت « طازجة » و « مؤثرة » .

ألفت حيـاتى شـــارداً تحت خيمة
تحف بى الأشـــعار والكتب والذكر
أنا عاشـــق البيـداء آمنت انهـــا
انيســة روحى ضـــمنا العسر واليسر
أحب ديـار لى من الارض كلهـــا
خيامى فى سيناء .. لا الروض والقصر

« المنظر » الذى احملق فيه خلال تلك السـاعات من ايام يونيو ٦٧ كان غير شاعرى اطلاقا ، ولكن « الاحلام » تستشف وتنفذ فى جدار الزمن وترجع الى الوراء والى « براءات » الصـبا و « طفولة » الشعر و « طهر » الصحراء . وتعود الاصـداء تردد مزيداً من أبيات شعرى وتصف أسير الوجدان الحائر :

كنت لو تلقاه فى بيدائه
شاردا او شاكيا او شاديا
تشهد البيداء فى سيمائه
غامضا او شاحبا او صاديا .

* * *

يهبط الالهام والشعر عليه
كيفما شاءا له .. لا كيف شاء
فترى اعباء دنياه لديه
بينما ينظم شعرا فى الخفاء

* * *

كل ما يبغى مداد وقلم
واذا غابا .. فرمل وبنان
كم كثيب حمل الشعر .. وكم
عاصف بعثر فى البيد البيان !

ثم أفيق من سرحاتى واشهد « الواقع » امامى « بألمه ولؤمه »
فتغرورق عيناى بدمعة حائرة لعلها تنشج من بين « طلاسم »
ايليا ابو ماضى قوله :

اين احلامى وكانت
اينما سرت تسير
كلها ضاعت .. ولكن
كيف ضاعت ! لست أدرى ...

نعم ، كانت سيناء ديوانى ــ وحبى ــ الأول . وغدت فلسطين
ديوانى ــ وحبى ــ الثانى . وكرست الثالث للقناة . ووهبت
الرابع لليالى .. تلك الليالى . ولم يكن الخامس قد كتب بعد
.. ولكن لعله « بدا » فى تلك الساعات والأيام المرورة فى صورة
مشاعر مطعونة صامتة ، ونظرات ــ وكلمات ــ زائغة .

وفى مايو ١٩٧٣ كنت الى دعوة البرنامج الثانى واحدى حلقات « مع النقاد » فى الاذاعة لمناقشة ديوانى الخامس الذى أصدرته فى بداية هذا العام « خماسيات عربية أوروبية » . وحاصرنى الدكتوران عبد القادر القط واحمد كمال زكى بالأسئلة . هل هو خماسيات أم مخمسات أم مقطعات ؟ هل جاء انطباعات أشبه بمذكرات ويوميات رحلات الى الخارج ؟ هل هو كذا وكيت ؟

وقلت ببساطة ان نفسى انبعثت لتقول كلمة منغمة لا تريد بها جزاء ولا شكورا ولا شهرة . « على ايه يا حسرة » ؟ انه « نشأ » منذ ست سنوات ثم « ولد » هذا العام .. هو ليس ديوان قصائد او مقطعات ، ولكنه – فى واقع الأمر – قصيدة واحدة تعبر من زوايا متعددة ومن تناول متنوع ، غير ان الرؤية فى « تنقلاته » التى جاوزت الستين هى ذاتها الرؤية . وفى غير قصد بل تلقائية حقيقية وحتمية نجد « سيناء » و « يونيو » يطلان بين السطور والأبيات صراحة وضمنا .

مثل واحد . فى لندن ، والناس كأنهم فى شغل فاكهون .. وانخرط معهم . ونختلف الى معرض توت عنخ آمون بوصفى مصريا وبوصفه « آخر صيحة » تقيم لندن وتقعدها . ولكن ما فى النفس فى النفس فأقول اقرب الى « السجية » :

« طوابير » ظامئة اقبلت

« لتوت عنخ آمون » كثارا .. كثارا

وزاحمت على ارى فى الكنوز

حضارتنا .. كيف كانت نضارا

وكيف افتننا .. وشدنا وسدنا

وكنا بمصر .. لمصر كبارا

وشاهدتهم معجبين سكارى

ولكننا عاجزون حيارى

وآه .. طوابير « لندن » كثر

وليست طوابير « سينا » تبارى

اذن ، فالديوان الخامس على التوالى - وبصورة اشد تكثيفا - هو لسيناء وللقضية .

ولكن ماذا يفيد هذا كله . ان « الأمر » هو كما عبرت عنه فيما يشبه الثورة على القصيد وعلى الكلمات ..

لو ان محض قوافى الشعر تبعثنا كنا استعدنا بأبيات فلسطينا

لكن ارادتنا . لكن تفتحنا لكن تجمعنا . لكن تفانينا

نعم ولا شك هذا هو السبيل بالارادة والوعى والتجمع والعمل الجاد المتبتل المتفانى ، حتى يكون لنا « يونيو مصرى » وكل الشهور خالصة لنا ، وحتى تعود الينا « سيناؤنا » وسائر الأرض المحتلة .

٧٣/٦/١٤

"فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم"

قد تبدو من أكثر الناس اتزانا وانضباطا فى تلقى الأمور وفى الحكم عليها وفى توجيهها وممارستها .. وذلك داخل دائرة الفكر والتصرف . ولكنك بينما تفعل ذلك كله تشـــعر أن « ميزانك » غير منضبط فى الدائرة الصحية ! أحيــانا يدهمـك الصداع ، وأحيانا تميد بك الارض .. وحتى لا تتهاوى تستند على الفور الى أى شىء ولو الى «حيطة مايله» ! وتقاوم وتتحمل وتبتسم بل تضحك وتسرف فى « القفشات » حتى ليظن أنك أسعد الناس طرا !

وتتعدد الأعباء فوق كاهلك وتتفاقم وتتثاقل ، ولكن لفــرط اصطبارك وتحملك يظن انها من وزن الذبابة ! غير ان هذا كله يجرى على حساب صحتك التى يقــرر الطبيب انها تعانى من « ضغط عصبى » نتيجة الارهاق الشديد ، وتصبح من « مدمنى » المهدئات والمسكنات بالليل وبالنهار !

يقولون أن «الحالة» من جراء افراز متزايد لمادة «الادرينالين» من غدة فوق الكلى ، فتقول أنها من أفراز « العصر الحــديث » وتعقيداته ! ويعلو الضغط ويهبط حسب مزاجه هو لامزاجك أنت ، على أن الاصابة التى لاتكاد تتحول عنك هى شىء غير محســوس

بالأجهزة الطبية أو الكشف والفحص .. أنت وحدك الذى تحس بها ، وهى تشتثيرك فتروضها حتى « لتعتادها » فى النهاية وأمرك الى الله . تلك هى ما يسمى « تنميل فروة الراس » !

ويقول لك الطبيب : لا تعرض نفسك للانفعالات .. فتضحكك « النكتة » ! ويمضى قائلا : خذ قسطا موفورا من الراحة اذا أردت أن تحتفظ برصيد لعمرك . اذهب للريف ـ كما يفعل الأجانب ـ أو الى شاطىء البحر .. الى أى مكان هادىء « شاعرى » يومين فى الأسبوع ، وانقطع فيهما عن « مشغولياتك » كلية لتعـــود بعدهما منتعشا ! فتسكرك نشـــوة الفكرة .. ثم تفيقك حالة الطوارىء المستمرة !

وفى ود خالص تحب الناس جميعا وتقبل عليهم ويقبلون عليك . وتلك هى فى واقع الأمر « عملية تعويضية » عظمى لأنهـا صميم الصحة النفسية . ولكن النـــاس ليسوا كلهم « جميعا » ! بعضهم .. نفر قليل جدا منهم يضيقون بثباتك ! لماذا ؟ شىء حارت البرية فيه ! وتصبح هوايتهم الطعنات لوجه الطعنات ، وركوب الموجـــــة .. أى موجة ! منهم من يدعى انك من غـــلاة المتطرفين وما كنت كذلك . مجرد انه « يريد » ذلك ، وهو لا يدرى ما هى الشيوعية ولا الاشتراكية ولا الراسمالية .. ولكنها « موضة » و « سعار » و « هســترة » عسى ان تصـــيب ؟ ومنهم من يعتبرك « راس فتنة » .. هكذا ! الا فى الفتنة سقطوا وكل هذا « من أجل حفنة جنيهات .. » ! ومنهم من يتهمك « بالانحراف » ، وهو أول من يعلم كذب دعواه .

ومنهم من « يدس » بالزيف والكيد والتقارير الموتورة التى قد لا « يحسنون » « كتابة » شىء سواها ! ومنهم من ذهب

« مفاضبا » لسبب غير مفهوم ! ومنهم «طائفة قد أهمتهم انفسهم» وتنظر فى اشفاق الى هذا النفر القليل وتردد : هكذا الحياة ... ما « ساغب » لأحد من قبل تماما ولن تسيغ لأحد من بعد ! وفى هذه « الجزيئة » لا تملك الا أن تقول « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » و « حسبنا الله ونعم الوكيل » .

ولقد عانيت من بعض مقدمات ونتائج « الضغط العصبى » ولم امتثل لتعليمات الطبيب ، لأنها ـ للاسف ـ غير عملية !

٧٢/٦/٢٣

ضيف "يقلب المواجع"..!

قائد مظاهرات نيويورك ، وحامل لافتات التنديد باسرائيل ، ومؤلف شعارات الاحتجاج على الانحياز الامريكى لاسرائيل ، والمقيم العربى الدائم الذى تهرع سلطات الامن الامريكية البوليسية لاعتقاله فى الشاردة والواردة .. يجىء الى مصر فى زيارة قصيرة ، والتقى به خلال اسبوع حافل باللقاءات فى جريدة الجمهورية مع ضيوف اقبلوا من هنا ومن هناك .

الضيف قلب « المواجع » ، وان لم تكن هامدة !

الضيف « الداعية » العربى ـ محل الحديث ـ هو الدكتور محمد مهدى ابن العراق ـ أو ابن بغداد كما يحب أن ينسب الى المدينة قبل الدولة ـ والذى اختار أمريكا ونيويورك بالذات موطن اقامة ودعوة منذ نيف وعشرين سنة وراس فيها « الجمعية العربية » أى أن « المسكين » تجرع ألوان العذاب والقهر والمواجهة منذ سنة ١٩٥٠ واين ؟ فى نيويورك ، معقل الصهيونية ... والتى يقيم فيها من اليهود « الامريكيين » قدر عدد سكان اسرائيل نفسها اليهود « الاسرائيليين » .

أى انه شهد على التوالى عبر هذه السنين احتلال اسرائيل لمنطقة « الموجة » المنزوعة السلاح فى أوائل الخمسينات . واحتجت

« الامم المتحدة » فى نيويورك ولكن نيويورك نفسها ـ وامريكا ـ أيدت وصفقت !

ثم صاحب فى سنة ١٩٥٥ الهجوم الاسرائيـــلى المبيت على « الصبحة » والذى كان بمثابة تجربة لهجوم موسع تال على مصر • وأصدرت الامم المتحدة قرارات الادانة للعدوان الاسرائيلى بينمـــا رفعت نيويورك ـ وأمـريكا ـ اعتمادات الاعانات والتبرعات لبنى اسرائيل المعتدين •

ثم « واكب » من موقعه هناك العدوان الثـلاثى فى اكتوبر ـ نوفمبر ١٩٥٦ . وما كاد « ينتعش » ويتوهم ان ثمـة تغييرا قد طرأ على موقف أمريكا من اسرائيل حتى تبين له ان « الحكاية وما فيها » لم تخرج عن كونها « عملية تأديب » لكل من بريطانيـا وفرنسا واسرائيل .. ، وافهام الاولين أن أمريكا ـ وحدها ـ هى صاحبة الامر والنهى وهى التى تعطى « النور الاخضر » كما أنهـا هى ـ فحسب ـ التى تأكل « الاخضر واليابس » ! مع تلقين الثالثة ـ أسرائيل ـ الدرس انها ـ أى أمريكا ـ هى ولية النعم لا شريك لها تعطى وتمنع ، وتعز وتذل •• وسبحان القادر الصبور ، المعز الحقيقى والمذل •

وحفظ الثلاث الدرس وبالاخص اسرائيل التى تابت واانابت وقدمت بين يدى أمريكا القرابين . ثم اختلط الامر .. فلم نعد ندرى من العابد ومن المعبود ؟!

وكم كانت « ثقيلة » على الدكتور محمد مهدى السنوات التى أعقبت العدوان الثلاثى والتى تحولت فيها اسرائيل بالفعـــــل الى ولاية من الولايات المتحـدة الامريكيـة كمـا تحولت أمريـكا الى ولاية اسرائيل ! ويحاول الدكتور مهدى أن يسمع صوته .. ان يقــول كلمـة ، فتذهب دخانا فى الهواء ! ويقاوم ـ مستشهدا ـ ويتصدى للتيار فى « عقر »التيار » فيجرفه طوفان متزايد من عهد

ايزنهاور الى عهد كنيدى الى عهد جونسون الى عهد نيكسون وكما قال أجدادنا ـ عاشقو الكلام وتجاره ـ « فليس فيهم من فتى مطيع به فلعنة الله على الجميع » غير أن أثقل ما عاناه مهدى كان عدوان يونيو ٦٧ وما أعقبه . فانه اذا كان قد رأى الامم المتحدة مرة اخرى تدين اسرائيل فانه قد شهد « فرحة غامرة » تعصف بنيويورك وبأمريكا وتخرجها عن جادة المعقول بل اللا معقول بحيث لم تعد تدرك الحق من الباطل .. والابيض من الاسود ! بماذا خرج الدكتور محمد مهدى من هذه التجربة الطويلة الثقيلة ، والمعايشة المرة المستمرة للامريكيين ؟ يبدو أن « مهنته » كداعية قد غلبته على تفكيره ، كما أن « اقامته » الدائمة فى أمريكا قد غلبته على أمره !

ذلك أنه يلحص الموقف كما يلى :

لا بأس من أن يتسلح العرب بالطائرات والدبابات والاسلحة الثقيلة مما يتكاف ملايين وملايين الجنيهات . ولكن أهم من ذلك وأبدى ان يخصصوا اعتمادات ـ ولو عشرة فى المائة من ميزانية التسلح ـ للدعاية العربية فى أمريكا ، فان مفعولها أوقع وأسرع .

والامم المتحدة لا فائدة منها : لا تقدم ولا تؤخر ! هو يكفر بها بل أنه قد ذهب بعيداً فى احتقارها .. و « تفضيل » أمريكا والرأى العام الامريكى عليها!

مثلا ، قال لى أنه فى مناسبة العرض الشامل الذى ارتأت مصر أن تقدمه الى مجلس الامن خلال يونيو ٧٣ لحسم قضية الشرق الاوسط ، فان « موظفا » بوزارة الخارجية المصرية فى درجة « سكرتير ثالث » كان يكفى ليقوم بهذا الدور ! أما الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر فكان أولى بنا أن نوفده ليلقى محاضرة للدعاية أو يعقد ندوة فى ولاية كاليفورنيا أو أوهايو .

طبعا هذه مغالاة شديدة لا اعتقد انها تخطر على بال أحد ، وما كان يمكن أن أدعها تمر بسهولة ولو على سبيل المجاملة !

هذا « تضخيم و تفخيم » لقيمة أمريكا اكثر مما يتصور أى خيال جامح • كيف نظن أن كسب مائة أو خمسمائة أمريكى - على أحسن الفروض - الى وجهة النظر العربية - ومؤقتا طبعا - أهم من كسب أعضاء مجلس الامن - عدا أمريكا بطبيعة الحال - بما يمثلون من دول كبرى .. ومتوسطة وصغيرة وأعضاء الجمعية العامة للامم المتحدة ، واستصدار قرارات من هذا أو تلك مهما كانت أثارها العملية « مجمدة » ؟

على اننى رغم استنكارى للرأى « الشارد » الذى طلع به الدكتور مهدى فيما يخص امريكا وكفتها التى ترجح كفة الامم المتحدة مجتمعة .. فاننى « شردت » و « سرحت » . كان البيان المشترك لاجتماع القمة بين نيكسون وبريجنيف الذى صدر ونشر .. يشاغلنى . أخدع قارئى لو زعمت اننى لم أحاول خداع نفسى وعقد بعض آمال على لقاء القمة المذكور عساه يحرك جمود القضية ولا أقول يحلها ! لماذا يارب عقدت آمالا عليه •• وبالذات أن ينجح بريجنيف فى الضغط على نيكسون فيضغط الاخير على اسرائيل و « توته توته فرغت الحدوته » ؟! لماذا ولماذا هنا تحتمل أن تكون لماذا عقدت آمالا ، وكذلك لماذا يضغط بريجنيف على نيكسون ولماذا يضغط نيكسون على اسرائيل ، ولماذا تستجيب اسرائيل على الفور ؟ ولكن «الافضل» مع سياق الحديث و«الشرود» ان نتساءل لماذا عقدت بعض الامال ؟ هل هو احساس خفى بان الامم المتحدة وقراراتها هى « طاحونة هواء » وان الذى قد يحل ويربط أمريكا ثم الاتحاد السوفيتى وحدهما ! هل هو « تعب » من طول «المشوار» والاتصالات غير المجدية والمناهدة وما أدراك ما هى ؟ هل هو « حلم اليقظة » فى أن « الحق » لا بد أن ينتصر آخر الأمر لذاته ورغم كل شيء ودون تضحيات كبيرة ؟ ! هل هى « بالعربى » رغبة تكمن فى اللاشعور بأن نحصل على ما نريد على الجاهز أو على طبق من فضة على طريقة « شبيك لبيك عبدك ما بين ايديك » ؟

أم « نجيب النصر هدية لمصر » كما يفعل « رابسو » من غير تعب ... من غير مجهود ؟

وافقت من سرحاتي وشحطات الخيال والاسئلة لتطالعني عناوين صحيفة « الثوره السورية » تعقيبا على بيان القمة وخلوه من الاشارة الى قرار مجلس الامن أو مهمة يارنج وتقول : « لم يعد أحد يعلم من يساند من .. ومن يعادى من » . غضبة عربية عاطفية انفعالية « بلاغية » أخرى ! نشتم السوفيت مثلما نشتم الامريكان ونشتم اخواننا العرب كما نشتم أنفسنا .. بدلا من أن نواجه أنفسنا ونصلحها ونصنع شيئا ذا قيمة كبيرة !

وببساطة .. وكما قال الرئيس السادات : علينا نحن أن نكسر الجمود وان احدا لن يشعر بقضيتنا مالم نشعر بها نحن أولا كأصحاب قضية ، وما لم نتحرك .

وبتبسيط شديد فى صدد لقاء القمة أرى ان « التقارب » بين أمريكا والاتحاد السوفيتى « طبيعى » فى شتى المسائل وعلى راسها «الانفتاح» الاقتصادى .. و «الامتناع» النووى ! كما ان الخلاف بين أمريكا والاتحاد السوفيتى « طبيعى » فى شتى المسائل وعلى راسها مسألة « الشرق الاوسط » المعذب والهادىء المتفجر ..

ماذا تقول جريدة « التحليل » الاقتصادى والسياسى ... البريطانية عن اجتماع القطبين الكبيرين ؟

كتبت « الايكونومست » فى أعقابه تقول « الغرابة الظاهرة فى تصرفات بريجنيف فى واشنطن حيرت الكثيرين ! فلو أنه كان يبغى استغلال حرج نيكسون بشأن فضيحة ووترجيت لكان بوسعه أن يتأنى شهرا أو شهرين ويستبقى الامريكيين فى حيرة وتساؤل عن تلك الزيارة المرتقبة ! أو لو انه ـ وقد ذهب فعلا الى البيت الابيض ـ لم يكن بحاجة للاعراب عن تصرفاته بالانطلاق فى الحديث مغتبطا بين مغانى حديقة البيت الابيض ! أو ـ على الاقل ـ لو انه كان راغبا فى ممارسة اللعبة على هذا النحو لكان بوسعه أن يوضح بجلاء انه كان يعتزم تقاضى الثمن مقابل معاونته فى البقاء

السياسى لنيكسون .. وربما هو قد يفعل ذلك بعد كل شيء ولكنه ـ وحتى الآن ـ قد راض نفسه على التصرف كما كان نيكسون يريد تماما ! ويبدو ان كل هذا يتفق مع القول الشائع بان الروس قد ظلوا سلبيين فى العالم فى السنوات القليلة الماضية بدرجة غير طبيعية لا سبيل الى تفسيرها حتى انهم لم يستغلوا أزمة الثقة الذاتية الامريكية الطويلة التى بلغت ذروتها فى ووترجيت . ولو كان ترومان او ايزنهاور زج بنفسه فى ورطة على نطاق ووترجيت لما أبدى ستالين وخروشوف كل هذا الادب ! وعلى هذا ، فان أسلوب بريجنيف أسلوب جديد قطعا . والتفسيرات التى توضح كنه هذا الشيء الجديد تتراوح بين فكرة ريتشارد كروسمان من ان بريجنيف يحب نيكسون حب الأخ لأخيه ، وبين النظرية القائلة بأن الاتحاد السوفييتى يعانى متاعب عديدة بالنسبة لاقتصاده القومى ومتاعب مع الصين بحيث أنه لا بديل أمامه عن الذهاب الى الولايات المتحدة وقبعته فى يده احتراما والابتسامة تملأ اسارير وجهه ! واكثر التفسيرات شيوعا هو أن مسلك بريجنيف تأكيد نهائى للاعتقاد بأن الروس يغلقون صفحة الربع الماضى من القرن لانهم لم يعودوا يرون فى دول الغرب الديموقراطية غريما لهم . وليس بين هذه التفسيرات تفسير صالح كل الصلاحية لاسيما ذلك المتعلق بانهاء الحرب الباردة . والأرجح أن سياسة بريجنيف هى محصلة أمن ، أن بريجنيف أدرك أن نواحى ضعف الاتحاد السوفيتى تتطلب مساعدة من الغرب لعدة سنوات ، ولكنه ادرك كذلك ان نواحى ضعف العالم الغربى ذاته ـ وهى من نوع مختلف ـ تمكن روسيا تماما من الحصول على هذه المساعدة كما تمكنه من أن يحول ميزان القوى فى صالح روسيا فى نفس الوقت » .

والكلمة الاخيرة الحاسمة لتبديد كل غموض حول العلاقات والاتفاقات الامريكية السوفيتية . لا يستطيع ان يقولها أحد الآن على اى حال ».

٧٣/٦/٣٠

الكسوف والعلم والمعجزات

لـو ان احدا من اجدادنا منذ مئات السنين شهد كسـوفا للشمس فقيل له انه فى مثل هـذه اللحظة وفى ٣٠ من يونيو سنة ١٩٧٣ بالتحديد سوف يحدث كسوف كلى للشمس يستغرق سبع دقائق ، فلعله كان يكشر فى وجه محدثه «المتنبىء» ويتهمه «بالتخريف» ! فاذا ما استرسل محدثه قائلا انه فى ذلك اليوم الموعود سوف يسجل «العلماء» ظاهرة الكسوف هذه وهم يرصدونها ويتابعونها داخل « طائرة أسرع من الصـوت » لمدة ٨٠ دقيقة يقطعون خلالها ٣ آلاف كيلومتر من بلد الى اخر ويلاحقون « ظل القمر » أينما ظهر ، فان الجد العزيز ـ على الارجح ـ ربما اشبع محدثه ضربا لانه يستخف بعقله ويخاطبه بالالغاز والسحر والجنون ! « طائرة » ما معنى الطائرة ؟! و «أسرع من الصوت» وهل للصوت أيضا سرعة لتتفوق عليه ؟! ثم ملاحقة «ظل القمر».. هذا شيء كثير ولا يحتمل !

ولكنها سنة الحياة والتقدم ، واعجاز العـلم وخطى قدرته وشموله وتطوره التى أصبحت بالفعل أسرع من الصوت ، وخاصة فى النصف الثانى من القـرن العشرين . فما كان «مستحيلا» أو خيالا فى الماضى لم يصبح ممكنا فحسب الآن بل محسوبا ومتمكنا منه . ويكفى ان نتأمل ما حدث فى مجال الفضاء منذ «سبوتنيك» القمر الصناعى الروسى الاول الى «سكاى لاب» المعمل الفضـائى

الامريكى الاخير ــ مرورا بالهابطين على القمــر ولشاخصين الى الزهرة والمريخ ــ لتدرك أن شطحات العلم لم تعد تقف عند حد •

ورحت أتساءل : ترى ماذا سيكون شكل «انعالم» و «العلم» عند الكسوف الكلى الطويل التالى للشمس والذى حدد له العلماء تاريخا فى سنة ٢١٥٠ ؟!

ما لا عين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؟!

وكانت هذه « الخواطر » تخالجنى بينما احاول ان أرى بالعين المجردة الكسوف الجزئى للشمس •

على أن الذى « كسف » هــذه الخـــواطر جميعها وغلبهـــا ــ بالمناسبة ــ وتصدر تداعى أفكار كســـوف الشمس فى الماضى والحاضر والمستقبل •• خاطر واحد عن « واقعــة » تجمع بين « العلم والايمان » بل هى قمة فيهما فضلا عن دلالتها البالغـــة الصدق والعذوبة والشفافية التى تليق بالانبياء بل بسيد الانبياء وخاتمهم •• محمد صلى الله عليه وسلم •

عندما مات « ابراهيم » ابن النبى ــ عليه السلام ــ حزن عليه حزنا ملحوظا وقال « ان العين لتدمع وان القلب ليجزع ولا نقول الا ما يرضى الرب وأنا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون » •• ثم أنه لما صلى على ابراهيم صلاة الجنـــازة •• انكسفت الشمس فقال الصحابة انكسفت الشمس لموت ابراهيم !

فماذا كان رد فعل النبى وهو المحزون فى تلك اللحظة ؟ ولربما كانت هذه الظاهرة الطارئة «المتعاطفة» فى الظاهر تطيب خاطر اى انسان ، ولكنه النبى ولا كذب •

تصدى على الفور ارتفع على أحزانه • نفى ما خامر أذهـــان صحابته من انها معجزه من معجزاته •

وقال قولته الشهيرة التى رد بها أوهامهم وتخريجهم . قال « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته » .

ان صاحب « الاسراء والمعراج » هو نفسه الذى يكذب الصلة بين الآيات الكونية وميلاد البشر ومماتهم .

الاسراء والمعراج كانا آيتين معجزتين خارقتين وقعتا لمحمد عليه السلام وحدث بهما ولم يشهدهما أحد . مجرد أن يقول محمد - ويشهد القرآن - انه اسرى به من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الاقصى بالقدس ثم عرج به الى الملكوت الاعلى ، « فالتصديق » ايمانا وتسليما هو رد الصحابة على هذا «الانباء» وهو شعورهم وتجاوبهم ويقينهم ابتداء من ابى بكر الصديق رضى الله عنه الى أصغر صحابى . ومن ناحية أخرى فان « كسوف الشمس » المحسوس المشهود والذى يمكن الربط بينه وبين موت ابن النبى العزيز كآية او معجزة فانه يكفى - وبالحق وبالصدق - ان ينفى محمد الصلة بين الكسوف والموت - حتى ولو كان موت ابن أشرف الخلق - ليسلم الصحابة وليصدقوا ولتتأكد نبوة محمد فى المعجزات والخوارق وفى نفى الخوارق - على السواء - نفيا يبدو لنا الآن كأنه صيغ فى اطار العلم الحديث .

الا ما اعظم وما « أبسط » الجلال ! وليؤمن من يؤمن ، وليكذب من يكذب ،وليسفه من يسفه ولينفلق من ينفلق !

ولنشهد « معجزة » عودة القدس والمسجد الاقصى !

٧٣/٧/٧

لبلادى بالدرجة الأولى !

منتصف الساعة الرابعة قبيل الفجر . العيون نائمة غافلة ، وعين الله لا تنام . الخلق نيام ، والخالق ـ سبحانه ـ لا تأخذه سنة ولا نوم . يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار كما يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل . وهنا بالذات يداه مبسوطتان : وسؤاله قمين أن يستجاب أكثر فى اشرف بقعة وأكرم منزل وأول بيت وضع للناس مباركا مقصودا للتوبة معدا للاستجابة . أنها « مكة » وانه البيت العتيق .. كعبة المسلمين بل العالمين لو أدرك العالمون ! الهزيع الاخير من الليل هو الهزيع الاخير من الليل فى كل مكان .. هدوء وديع شفاف « مهدود » ! ولكنه هنا ذو طابع خاص و « شمخة » متميزة . جوه « المادى » أشبه « بالهدنة « المسلحة » بين صباح كان « شيا » وصباح تال شديد الحرارة سوف يغدو « شيا آخر » ! وجوه « الروحى » متدفق السخاء يعطى بغير حساب .. غير اننى آمنت ولن أبرح أؤمن « بنظرية » عملية تقضى بأن هذا العطاء لا يحلو ولا يتكامل الا اذا كان أرسالا واستقبالا ! صحيح أن « الموقف » جد جليل موح و « الحرم » بكل ما يحويه ويتصل به شيء مجسم باير فعلا وحقا ، و «الشعائر» المؤداة عظيمة مؤثرة ، ولكن سيبقى دائما ان فى المرء « مضغة » اذا صلحت صلح كل شيء .. الا وهى « القلب » ! انه جماع الامر كله ، فبقدر ما ينبعث منه ومن

قدرته على « الرؤية » و « الاحساس » يرى ويحس ويتـذوق ، وكأنما هو لا يتأثر فحسب بل يؤثر فى المؤثرات الخارجية .

لحظات تجرد ، وما أحوجنا للتجرد !

كانت لى قبلها « سوابق » ، ولكن هذه المرة بالذات .. وقد جاءت فى غمضة عين ولغمضة عين ، بدعوة خاطفة ــ ولسويعات سريعة كالحلم ــ من شركة مصر للطيران ، كان ينبغى أن تكرس ــ العمرة والطواف والسعى ــ لبلادى بالدرجة الأولى ! نعم .. فبعد هذه السنوات على النكسة ــ ومع استمرار النكسة ــ لا أقل من ان « تخصص » النيات والدعوات ــ « وبحرقة » خالصة شديدة ــ فى المقـام الاول لمصر الكريمة العظيمة المهضـومة وللعروبة اللاهية الضائعة الحائرة .

وتصاعدت تلبية « العمرة » لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . أن الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك .

دوت النداءات كالرعد ، ولكن ما جدوى الرعد ان كان قصارى همه أن يرعد « بانفعال وقتى » ثم يذهب الى حاله ؟!

وطفرت الدموع . مزيج من خشية الله عز وجل ، ومن الشعور بالذنب الشخصى والعام ومن الاحساس بالخيبة وقلة الحيلة فى « قضية » ماكان يجب أن تخيب أو تقل حيلتنا فيها .

أم ترى هل نسينا ؟

من الناس .. مرور الايام ينسيهم محنتهم فتشغلهم انفسهـم وصراعاتهم واطماعهم ، ومنهم من يزيدهم مرور الأيام لوعة ومرارة واصرارا على انتزاع اليوم الحر النقى الأغر ..

وتلوح الكعبة المشرفة .. « يمين الله » فى الارض سابحة ــ وسط الظلمات ــ فى نور على نور فتخفق القلوب وتشرئب وكأنها تهم بان تقبس من نورها

وفجأة ، وانت بين المئات ـ وليس الآلاف فى هذه الساعة المتأخرة ـ تلمح في نفسك بداية حميدة حبيبة «الانفصام فى الشخصية» واحدة « تتكاثر » وتذوب بين الجموع ، والثانية « تنفــرد » وكأنك وحدك منفرد بالكعبة وبالطواف ولاجموع ! وتتعاطف مع الشخصية « الاولى » ولاتصدها ، وترتاح الى « الثانية » وتشجع عليها !

والغريب أنك عندما تشهد الكتل المتراصة الزاحفة الوالهة •• تبكى ، وعندما تخلو الى نفسك بينك وبين ربك تناجيه ولاحجاب•• تبكى ••

ياللبكاء ! فلنبك هذا البكاء الطيب الشريف عساه يطهر نفوسنا•

وقد ترى « كبيرا » من « كبراء قومك » ـ خلال الطواف ـ وقد أقبل عليه «أحدهم» يسلم وينحنى ويبالغ فى التحية والتوقير وهو على بعد ذراعين من بيت الله الحرام ـ وهو ما هو •• ولا شيء الا هو هنا ملء البصر والسمع والفؤاد والحواس ـ فتفزعك «الحــركة » الدنيوية « الدنيئة » وتنفر وتستنكر •

يا للعجب ! أو ليس هذا الذى رأيته من « المفارقات » ؟! فقد كنت لتوك « تقبل » الحجر الأسود ، وكانت قلة الزحام النسبية تسمح ، وكنت وأنت تنحنى عليه فى كل مرة تكاد تتردد ولـكنك لا تلبث أن تردد : سمعا وطاعــة يا ربى •• هى حكمتك قد تخفى علينــا ولا نمــلك الاالتسليم بهــا والاقبــال عليهــا ! وتسترجع مع رجع القبلة وصداها قولة عمر بن الخطاب الذكيــة الواعيــة المؤمنة الشهيرة : اننى اعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع • ولولا أننى رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقبلك •• ما قبلتك !

وفى مرحلة سواء مع الطواف حول الكعبة أو السعى بين الصفا والمروة تغلب عليك « الذاتية » وهذا أمر طبيعى وانسانى ومنطقى•

تسأل الله العفو والعافية وأن يؤتيك فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة ويقيك عـذاب النار . تطلب الخير كله لنفسك ولزوجك وابنائك ولاهلك واصدقائك .

تستعيذ بالله من النفاق والشقاق وسوء الاخلاق وشماتة الاعداء ومن سوء المنظر والمنقلب .

هذا كله جميل ومطلوب ومثاب .

غير أن « أشباحا » لم تصنعها ولم تتصنعها .. تخايلك ! مع هذا التطهر والتجرد ، وبسبب هذا التطهر والتجرد لا مجال للرياء أو « التمثيل » أو التشنج المصطنع ..

ان هذه الاشباح ليست أوهاما ، ولكنها تخترق الاثير الموجع كأنها اذاعة مرئية « تليفزيونية » ! الاشباح تجسم اليهود .. نعم اليهود ابناء اسرائيل وقد احتلوا وعربدوا فى أرضك ابتداء من سيناء حتى المسجد الاقصى ـ القبلة الثانية ـ فى القدس ..

وربما تساءل البعض فى تأفف ماهذا «الغم» ؟ ماهذا الخلط ؟ « قرفتنا » !

واعترف أن هذا الغم القائم لايكاد يفارقنى لحظة ،كمااعترف اننى أعرض له هنا تلقائيا وعن قصد عسانا ـ نحن العرب ـ نتحرك ونصنع شيئا .

نحب الدنيا « بشراهة » ولنا بل علينا أن نحبها .. وبشرط أن تكون دنيانا نحن لا تشوبها الشوائب ، وبشرط ان ندافع عنها حتى الموت ، حفاظا عليها واعزازا لها ولابنائنا واحفادنا من بعدنا . هكذا الحب الحقيقى الخالص ، وما عداه فمجرد وهن وهوان !

وما أكثر ما « طاردنى » و « عذبنى » حديث شريف «خطير» للنبى عليه السلام !

قال « لتتداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة على قصعتها » . قلنا أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : لا ، بل انتم

يومئـذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل . فلينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم فلا يخافونكم وليضعن فى قلوبكم الوهن ! قلنا وما الوهن يا رسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت ! »

وليس فيما أكتب أو فيما استشهد به من حديث النبى عليه السلام « تيئييس » •• انما « تحفيز » للهمم ••

أن نقهر في أنفسنا نوازع الخوف والفشل والهزيمة والضياع لنقهر اعداءنا •

ان نرتفع الى مستوى الموقف والجدية والتضحيات والاستبسال لنرفع عن كاهلنا هذه « المصيبة » الغربية التى لا نكاد ـ نحن العرب ـ نفعل ـ اذا فعلنا ـ الا الشكاة منها •

يارب جئناك خاشعين موجعين نادمين مؤملين •• يارب اذا كنا نستعيذ بك من سوء المنظر والمنقلب لاشخاصنا ، فاننا نجأر بالعياذ بك من سوء منظر الأمة العربية ، فما أسوأ منظرهـــا حقيقة فى هذه الحقبة المدلهمة من الزمان •

يارب نشكو اليك ضعفنا وقلة حيلتنا فامنحنا من لدنك قوة ، فلا حول ولا قوة الا بك ، وأنت القادر على أن ترفع عن أعيننا الغشاوة وعن قلوبنا الوهن فنرى ـ رؤية وعى واستنفار ـ ما دبره اعداؤنا ويدبرونه ، ونعمل على قهرهم بالحق لنعلى كلمة الحق التى هى كلمتك ، ولنستعيد الارض ونحمى العرض ، وأنت القاهر فوق عبادك •

الى من تكلنا •• يارحمن يارحيم ؟ الى عدو يتجهمنـــا ؟ الى شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ؟ بل عليك توكلنا فاللهم لا تجعله تواكل « الدراويش » بل ايمان وثبات ونضال أولى العزم من الرسل •

ليتنا نستطيع أن نقول كما قال محمد : أن هذه امتك وهؤلاء أعداؤها يتآمرون عليها ، فان تهلك هذه الأمة فلن تعبد فى الأرض !

ليتنا نستطيع أن نقول وان نكون وان نفعل ولكن لك العتبى — يارب — حتى ترضى ، وانت عفو تحب العفو فاعف عنا : وأرنا — وليرى الخلق ٠٠ كل الخلق — برهانك ، واجعلنا اهلاله

اللهم ان قلوبنا شتى ، فاجمع شتاتها على كلمة سواء وعلى فعل سواء وعلى عزة سواء ٠

اللهم أننا نحب الكلام كثيرا ولا ضير فى الكلام ، ولكننا — معه — نخلد الى الراحة والكسل وقصر النفس فآتنا من نفحاتك طاقة عمل لا تنفد ، واعذنا من الجبن والكسل والهم والحزن ٠

ياذا الجلال والاكرام ، ياذا الطول والانعام ، ويامالك الملك وواهب الايمان : اجعلنا مؤمنين حقا ٠٠ محبة فى الايمان لذاته وفى وعدك « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »

اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء وسوء المنظر والمنقلب ٠

اللهم انا نسألك لامتنا علما كثيرا نافعا ويقظة ذكية زاكية وعملا خالصا دائبا لا التواء فيه ولا هوى ، لنحقق — بمقاديرك وقدرتك ورضاك — نصرا عزيزا وفتحا مبينا وفرجا قريبا ٠

انقطع الرجاء الا منك ، واغلقت الابواب الا بابك ، فلا تكلنا الى احد سواك فى أمور ديننا ودنيانا ٠

ادعوك عن قومى الضعاف لازمة
فى مثلها يلقى عليك رجاء

ولك — يارب — العتبى والحمد والتوبة والعمل والقتال فى سبيلك حتى ترضى ٠٠

سبحانك ٠٠ ان « النصر » الذى يبدو معجزة ٠٠ من المعجزات ٠٠ هو كامن فينا مفتت بيننا ، فاللهم دعوناك أن نتنبه ونتماسك ونتحرك ليتجمع النصر ويقبل ويسفر برضاك وبركاتك آمين ٠ ٠

٧٣/٧/١٤

مصاعب الوحدة والتحرير

قالت بعض الصحف الغربية وهى تعرض لخطاب الرئيس السادات فى عيد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٧٢ انه يجىء ويترجم عن اصعب موقف لاصعب ظروف تواجهها مصر عبر الاحد والعشرين عاما الماضية من عمر الثورة . ولخصت الصعاب فى أمرين رئيسيين هما :

أولا : « الجو » الذى يخيم « الآن » على الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا « المزمع » قيامها فى سبتمبر ١٩٧٣ .

ثانيا : محاولة الخروج بحل مرض وقاطع من المأزق الخطير الذى تعيشه مصر فى أزمة الشرق الاوسط بعد ست سنوات مضنية على استمرار العدوان الاسرائيلى » .

ولست أدرى – على وجه التحديد – حقيقة التجرد والاخلاص فيما كتبته تلك الصحف كما اننا لا نعرف كيف نقيس بالدقة « درجة الشماتة » فيما تحلل به صحف الغرب الموقف والخطاب وان كنا – ومعنا كل العذر – لا نحسن الظن كثيرا بتلك الصحف على مختلف اتجاهاتها ، مهما كان « ظاهر » تأييدها فى أحيان قليلة وهجومها فى أحيان كثيرة .. ومنطقها بصفة عامة ورغم اننا نذوب حبا فى الإنصاف لذاته .

على اننى أجد الموقف صعبا بالفعل مع ايمــان مطلق بما أكده الرئيس السادات فى هذا الشأن وقوله « أن عظمة الشعوب تتجلى وهى تتغلب على أشد الازمات واقسى المحن » .

وتعبير المصاعب ليس من عندى ولا من استنتاج الصـــحف الغربية بل هو « الخيط » الذى نظم «عقد» خطاب السادات كله وبعباراته هو صراحة ، حتى أن « جريدة الجمهورية » قــدمت الخطاب فى أول سطور عرضهــا الوافى له ــ وأقول : « المتميز » أيضا ــ بقولها « خطاب هام وصريح للرئيس السادات يتنــاول صعاب وحلول قضايانا المصيرية فى العيد الحادى والعشرين لثورة ٢٣ يوليو » .

واذا أردنا الاستشهاد بكلمات ومعانى الصعاب فى حــديث السادات فلربما احتجنا الى تضمين ما يقرب من نصفه ، ويكفى أن نوجز أيضاحا لما تناوله من صعاب صريحة ــ وفى صراحة صعبة ــ قوله : « ان أرضنا المحتلة طال اشتياقها للتحرير وسلاحنا طال انتظاره لأداء دوره ، وشعبنا قد سئم الانتظار » .

ولنعد ــ ابتداء ــ الى «جو» الوحدة الاندماجية مع ليبيـــا والتى أشارت اليها الصحيفة الغربية كطليعة للمواقف الصــعبة الحالية . ولعلى اذا أردت الاسترسال والتعمق فى هـــذا المجــال فلقد أجد قلمى ــ بغير تحكم فيه ــ يطيل صفحـــات وربمـــا « يشط » شطحات ! وفى النهاية قد يزيد الأمر صعوبة من حيث نريد أن نحكم الصعوبة ونتجاوزها .

غير اننى ببساطة وايجاز ــ وفى رأى شخصى وحر ــ أقول من موقع الايمان والاعزاز للوحدة العربية المصيرية كقدر يأتى حتمـــا مقضيا فى مرحلة آتية لاريب فيها ، يتوافر لها النضوج الأكثر والضمان الاوفى ، وأقول من موقع التقدير الخالص «للنقاء» البادى الذى يتمتع به الأخ العقيد القذافى ، وأقول أيضا من موقــع

الاحساس والادراك بأن ثمة « خلطا » كثيرا فى المسائل وفى الفهم وفى وضوح الرؤية وبالاخص منذ « فورة » الثورة الشعبية التى بدأت فى ليبيا فى ابريل ١٩٧٣ ، وتصاعدها ثم تجسيمها بدرجة ملفتة .. بدرجة وضعتها على مستوى الوحدة بل ربما قبل الوحدة وأهم ..

أقول بعد ذلك كله وبرغم ذلك كله وبسبب ذلك كله ـ حفاظا على الوحدة بل على الأمة العربية نفسها التى من أجلها تنشد الوحدة ـ أو ليس من الاسلم «تأجيل» الوحدة الاندماجية«الفورية» وتجنب «معارك جانبية» واتقاء جدل صعب مفتت حولها ، فكل هذا لا موجب له ولعله لا خير وراءه من حيث أنه يراد به الخير ؟

هنا بالذات ولمصلحة القضية العامة والخاصة قد يكون حل الصعاب هو تجنبها .. وليس على طريقة « النعام » التى تدفن رؤوسها فى الرمال ، وانما بالمصارحة والمكاشفة والحسم والاخوة وعدم وضع العربة قبل الحصان !

هذا رأيى الشخصى بعد ملاحظة التطورات ورصدها ، وبعد سماع خطاب الرئيس القذافى مساء ٢٣ يوليو ١٩٧٣ ، وللمصلحة العليا لقضية التحرير التى أرى لها الاعتبار الأول ولا تختلف على هذا مصر وليبيا على السواء .

الوحدة لا ينبغى أن تتم بضغط من هنا أو هناك ، ولا باشتراطات ولا بفرض اتجاه معين أو فلسفة مستحدثة . الوحدة تلاقى ارادتين شعبيتين حرتين وليسفر عنهما بعد ذلك ما يسفر لخير القضية .

وليس هذا هروبا أو نكوصا أو ردة ، انما هو تنبه وتنبيه .. حذر وتحذير .. قدر وتقدير ..

ونحن لا يفزعنا ولا يغضبنا النقد ، بل قد تكون أكثر نقدا لأنفسنا مما ينتقدنا به غيرنا سواء كانوا من الاصدقاء أو غير

الاصدقاء ، وخطاب السادات ملىء بالنقد الذاتى بل هو محاولة للبحث عن حاول لما نحن فيه .

ويعلم الله اننى لا أصدر فيما اراه واكتبه من رأى وملاحظات عن تطورات الموقف الوحدوى بين مصر وليبيا - لا أصدر عن غرض ولا توجيه ولا حتى « تعصب » مصرى انما هو - كما قدمت - يصدر عن ايمان بالوحدة المصيرية الواجب قيامها على دعامات قوية ثابتة غير مهزوزة ، وعن اعجاب « بنقاء » القذافى وعن تقدير لما تمثله ثورة الفاتح من سبتمبر من كسب حقيقى للامة العربية ، وبوصفها من روافد الثورة الام .. ثورة ٢٣ يوليو كما يؤكد بحق قادة ثورة ليبيا ، وعن احساس لا يخفى - ولا يخادع - بوجود بعض « الخلط » فى المسائل قد تكون المصلحة فى التانى عليه وترشيده .

ولم أعتد - والحمد لله - ان اخدع نفسى فيما أكتب أو اخدع أحدا أو حتى « اتلاءم » .

وقد لا تكون « كل المعلومات » ميسرة لى ومتاحة .. هذا صحيح ، ولكنى اكتب بالقدر الذى أعلمه وأفهمه .. وقد أصيب وقد أخطىء ، ولكن « الكاتب » - فيما أرى - لا ينبغى أن يكون الا هو .. وظروفه وتفكيره ومشاعره .

وللحق فان ثمة أشياء كثرت أم قلت هى « غير مفهومة » .

بقى الشق الآخر والاهم من الموقف الصعب .. أعنى قضية التحرير وصعاب التحرير .. ولعلى لم أكف عن الكتابة فى هذا الخصوص - على قدر جهدى - طوال الأعوام الأخيرة لدرجة اخشى أن أكون أمللت بها البعض !

وعلى العكس هنا تماما ولمصلحة القضية المصيرية فان حل الصعاب ليس تجنبها بل خوضها وببسالة واصرار .

أن الرئيس السادات قد جعل من قضية التحرير وصعابها الركيزة الرئيسية لخطابه فى عيد الثورة عرضا لما لاقينا ولما انفقنا ولما ننفق وللمحاور الثلاثة التى يقوم عليها نضالنا فى قوتنا الذاتية وامكاناتنا العربية والدعم السوفيتى السياسى والعسكرى . وبرغم كل الجهود الدبلوماسية المكثفة التى بذلت وتبذل فانه لم يتخل أبدا عن جوهر الحل الحاسم والوحيد والمشروع والذى لخصه مرة بان العالم لن يشعر بقضيتنا الا اذا حركناها نحن من جمودها بالتحرك العسكرى للتحرير الحق ، ومرة بالعبارة المأثورة « ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » .

ولقد تساءل السادات : لماذا لم يتحقق هدف نضالنا حتى الآن مع ان منطلقاتنا الاساسية صحيحة وهدفنا الرئيسى مشروع ؟ واجاب ان هذا راجع الى ان الظروف من حولنا تغيرت ولم نستوعبها ويجب أن نلائم انفسنا معها ، ثم طرح اقتراحه عن الحوار الواسع عن المتغيرات العالمية وتأثيرها علينا والتوصل الى «رؤيتنا» فى السنوات القادمة لتنطلق بأسلم واسرع خطى على الطريق الصحيح . وحتى عندما تساءل السادات وأجاب وطرح الاقتراح فانه قد بادر الى التنبيه الى أن اقتراح الحوار ليس معناه تأجيل المعركة ابدا .. بل حشد فكرنا الى جانب حشد قوتنا فى مرحلة المواجهة الشاملة .

هذه بعض « تصورات » و « ترتيبات » الخروج من الصعاب الى جوار التركيز الاكثر والتعبئة الاكثر لمحاورنا الرئيسية الثلاثة .

وبعد فاننى لا اجد لختام هذه الكلمات افضل من تكرار معان محددة فى خطاب السادات ، وهى ضرورة أن ترتفع الدول العربية جميعا فوق كل الصراعات والخلافات لتذكر الخطر الواحد الذى

يتهددنا بلا تفـــرقة ـ واسلم ان هذا مطلب صعب ولكنـــه غير مستحيل ـ وكذلك قول السادات « أن عظمة الشـــعوب تتجلى وهى تتغلب على أشد الازمات واقسى المحن » .. وهذا مطلب حق ولا بديل له ، وهو جدير بوطن حر كوطننـــا هو وطن الشرفاء الامناء الاوفياء .

والله نسأل السلامة والتوفيق والنصر .

والاجابة مشروطة بآيتين كريمتين هما « وقل اعلموا » و « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

١٩٧٣/٧/٢٦

فى أى ٢٦ يوليه من أية سنة

متى يثأر الحاضر الموعود ـ ولا نكاد نتحمل الانتظار طويلا ـ من الحاضر القريب المنكود ، كما ثأر الماضى القريب من الماضى البعيد ؟؟ ..

لقد تنازع ٢٦ يوليو عيدان : اولهما فى الاسكندرية يوم شهدت طرد فاروق الاول والاخير ١٩٥٢ ، وثانيهما فى قناة السويس يوم شهدت الاسكندرية وسمعت تأميم القناة ، فغلب العيد الثانى العيد الاول .

ولكن الحكاية ليست الاسكندرية ، ولا القناة ، بل هى مصر التى نعذبها لطول ما نمنحها « حنية الأوز » ، ولم يكن الامر محتاجا أن نذهب الى قناة السويس بعد ١٧ عاما ، اى فى ٢٦ يوليو ٧٣ « لنحتفل » أو نستعيد الذكرى ، فانها ملء العين والخاطر كل يوم ، وما يقع على ضفتها الشرقية هو قذى العين والخاطر ..

مسكينة السفن الخمس عشرة المشلولة السجينة فى مائها منذ ٥ يونيو ٦٧ . لقد اختارها القدر لتعيش المأساة وتصبح كالفارقات فوق الماء أشبه بقولهم « انما الميت ميت الاحياء » ! كما اختار القدر القناة لتصنع المأساة لمصر فى موقعها الجغرافى وفى اطماع الطامعين فهل يختارنا القدر ـ كما دفعنا ثمن المأساة ـ كى ندفع ونرفع المأساة ؟؟

على انني لم أكن فى مصر يوم تأميم القناة • كنت فى « جنيف » بسويسرا ، وعشت أيام التأميم الاولى وسط خليط من المصريين والاجانب من جنسيات مختلفة ، وفى جو اختلطت فيه المشـــاعر المشدوهة بالثائرة بالمعجبة بالمتوعدة • وبحكم رواسب ومعطيـــات مصرية و « فتية » وثورية فى اعماق النفس وجدتنى اعيش أسعد أيام حياتى واعزها •

ودار حوار طويل بينى وبين أحد « اذكياء » المصريين ، ولم يكن يعيبه سوى أنه « ممرور » من ثورة ٢٣ يوليو لانها اخرجته فى حموة سكين التطهير فى أوائل شهور الثورة •

وانقلب الحوار الى ما يشبه الشجار • هو يمثل منطق توازن صراع الدول الكبرى التى تتحالف حتى لا ترفع دولة « صغيرة » رأسها ، بينما أمثل كبرياء هذه الدولة الصغيرة وسلامة نواياها معا وايمانها بحقها المشروع • هو يتمثل بتجارب التاريخ ودروسه بينما اتمسك بتغيير التاريخ والتأثير فيه • وفى اختصار هو كان يترجم عن صورة « العقل الواقعى » الذى يجن اذا مس الواقـــع المفروض ، بينما كنت العاطفة « المجنونة » المغرورة التى لا تلوى على شىء والتى تجد فى الثورة على الامر الواقع « عين العقل » !

وتحول الشجار الى تحد والتحدى الى رهان •• ولاول مرة فى حياتى ـ ولاخر مرة ـ اقبل الرهان لا حبا فيه بل تعصبا لوطنى مع تسليمى أن صاحبنا الآخر كان ولا يزال وطنيا من الطراز الاول •

قال لى : اراهنك ان انجلترا وفرنسا ـ وخلال اربعة شـهور على الاكثر من تاريخ تأميم القناة ـ لن يدعا الحكاية تمر كما هى هكذا ببساطة ، بل من المحتم أنهما سوف تشنان حربا مسلحة ضد مصر لاستعادة قناة السويس ! اراهنك بمائة جنيه مقابل جنيه واحد !

وقلت بفورة الشباب وخفته رغم كل الصيحات الهستيرية التى كان يهدد بها قادة انجلترا وفرنسا فى ذلك الحين : ولو ! خذ الجنيه

من الآن تبرعا منى ، ولكنى سوف آكسب الرهان ولن تقوم الحرب ، وستذعن انجلترا وفرنسا صاغرتين فى نهاية المطاف !

ولكنه كان أبعد نظرا واكثر واقعية وحدث العدوان الثلاثى .. وبعد أقل من أربعة أشهر من التأميم وان لم يحقق اغراضه .

ولم اكن الوحيد الذى يفكر هذا التفكير .

بل ان عبد الناصر نفسه ـ كما اعلن ذات مرة ـ لم يكن يتوقع أن حربا مسلحة ستشن على مصر بعد التأميم ، وقد بنى حساباته على هذا الاساس .

(ولست ادرى على اى شىء بنيت الحسابات عند اعلان اغلاق خليج العقبة فى منتصف مايو ١٩٦٧ ، وما تلا ذلك حتى وقوع العدوان الاسرائيلى الشنيع فى ٥ يونيو ١٩٦٧ تم انسحابنا الاشنع .. ؟) .

غير أن الحوار ـ بشجاره ورهانه ـ كان فى جلسات الصباح ، وفى المساء كنت أخلو الى نفسى .

ولمعت فى راسى فكرة قصيدة طويلة عن القناة . ولم اكن أدرى انها سوف تصبح عن « القناة والمعركة واخى » .

والشاعر يكتب أحيانا بانفعالات الفرح والحزن ، كما يكتب أحيانا باتزان التأمل ، كما يكتب دائما « الحب » والشعر العاطفى ، حتى وان لم يسجل كلمات بل مجرد تردد أنفاس ونبضات قلب .

واسترسلت بالشعر الذى عينه على تحرر التفعيلات وقلبه مع الشعر التقليدى العريق :

كان فى المذياع سحر
وكان عبد الناصر

الربيع الطلق يفتر على صبح بلادى
الجنيفواز -يل الدنيا - تنادوا : مصر ... مصر !
صفقت كل الايادى
عجبا أو كان اعجابا ولكن
صفقت كل الايادى !
قال ياطوبى لما قال ، وياعدل الاله
قال : لممت القناة ..
تسلم القولة من مصر وتسلم ، انه الشعب تكلم
فاخسئى ياروح اسماعيل ..
يامن بعت هاتيك القناة ، بعت مصرا للطغاة
وانشدى « أوجينى » عن قرب بسرداب الخطاة
ثم بيعى قنوات فى جهنم !
القناة اليوم ردت
لبنى مصر وحقت
لم تعد كالغصة الحرى وجرعات المهانة
لم تعد تسرى كثعبان تلظى بالسموم
لم تعد تخنق مصرا
لم يعد يحكمها احقاد « دلسبس » اللئيم
لم تعد تجرى نبيذا قد عصرنا لعدانا
من دمانا
عصر اسماعيل ولى
لم نعد للغرب حانة
لم تكن أمس تمر السفن فى ماء القناة
أنها مرت على ذبح الكرامات
ومن فوق الجباه
صفرت سخرية من أمة ضمت شرايين الحياة
أمة تملك هذى ثم تعطيها أمانة

للعـداء

ثأر الحاضر من ماضى قصاصات الخيانة !

وأعود لما بدأت به الحديث • نعم •• متى يثأر الحاضر الموعود ـ ولا نكاد نتحمل الانتظار طويلا ـ من الحاضر القريب المنكود كما ثأر الماضى القريب من الماضى البعيد ؟

ان الرئيس السادات قال فى عيد ثورة ٢٣ يوليـــو الحــادى والعشرين :

« أن ارضنا المحتلة طال اشتياقها للتحرير ، وسلاحنا طال انتظاره لاداء دوره ، وشعبنا قد سئم الانتظار » .

وحقيقة ان شعبنا ـ كما قال الرئيس ـ قد سئم الانتظار • والمطلوب ان نعالج « السام » ونعالج « الانتظار » على السواء .

ولا سبيل الا بتكثيف « روح » المعركة وجو المعركة بان نعيش المعركة بأسلوب المعركة فان الصراع هو ـ كما قال الســادات بجامعة الاسكندرية ـ صراع متشابك معقد يمتد أجيالا .

ولاضير أن يمتد الصراع أجيالا ، فهو قد امتد بالفعل ويمتد بالضرورة .

أن النصر الحاسم لا يصنعه جيل واحد ، ولكن مسئوليتنــا أن نطلع الصبح القادم الدائم ..

فى أى ٢٦ يوالية من أية سنة ـ ياترى ـ يتم الافراج عن الـ ١٥ سفينة من سجن القناة ؟

بل فى أية سنة ياترى يفرج عن القناة نفسها وعن سيناء وعن كل الارض المحتلة المغتصبة ؟

فى أى يوم يحق الحق كاملا .

أو ليس الرد الطبيعى والمنطقى و « العلمى » هو : أن هــذا سوف يجىء عندما نمارس ارادتنا كاملة وقوتنا كاملة ؟

أنهم يرونه بعيدا ، ونراه قريبا ...

٧٢/٧/٢٨

التسجيلات السرية لفضيحة «روتن جيت»

النزاع منذ منتصف يوليو ٧٣ يثور بين نيكسون واللجنة التابعة للكونجرس الامريكى والمشكلة للتحقيق فى قضية ووترجيت المشهورة التى تشكك فى اعادة انتخابه وتهزه وتتهدده ! حيث يرفض نيكسون السماح لاعضاء اللجنة بالاستماع الى التسجيلات السرية الخاصة بلقاءاته فى البيت الابيض بشأن « فضيحة ووترجيت » (*)

هناك فضيحة اخرى — وعلى مستوى عالمى — شهدتها مؤامرات واجتماعات حجرة الرئيس الامريكى بالبيت الابيض (*) يطلق على هذه الفضيحة الجديدة اسم « فضيحة روتن جيت » (*)

أى « الباب الفاسد » ! ROTTENGATE

ففى ٣ مارس ١٩٧٣ ومن خلف الباب المغلق لحجرة الرئاسة فى البيت الابيض عقد اجتماع سرى خطير بين ريتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، وجولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل (وكانت قد امضت ثلاثة ايام فى اول زيارة لها هذا العام لامريكا) ، وهنرى كيسنجر مساعد الرئيس نيكسون لشئون الامن القومى . وقد سجل اللقاء والحوار — كالعادة — كلمة كلمة !

ترى ماذا تحوى التسجيلات السرية لفضيحة « روتن جيت » الجديدة ؟ هذا ما يحاول « الانصات المصرى » المرهف ان

يسمعه وان يستشفه ، بغير حاجة الى سفينة تجسس كالسفينة الامريكية « ليبرتى » أو الى اقمار صناعية !

***

نيكسون : كان حفل عشاء بالغ الروعة . واروع منه « الهالة » التى خلعتها عليك فى كلماتى اتذكرين كيف وصفتك انك « تقريبا » اعظم امرأة فى العالم للسنوات القادمة ! ثم حكاية « استقتال » الامريكيين لحضور الحفل و ...

مائير : سيدى .. انت تتحدث بطريقة تبدو وكأنما هى « مسرحية » من اولها لاخرها ، أو كأنى فرجة تنظم لها ما تنظم ؟!

نيكسون : لا تنسى اننا « اعظم » خبراء الدعاية فى العالم ، وتجاربنا فى الدعاية الانتخابية لا تبارى !

مائير : ارجوك لا تحاول ان تكلمنى بأسلوب « الاعظم » و « الدولة الاعظم » : انتم تلاميذنا فى هذه الشئون ! افكارنا تصنع دعايتكم ، واموالنا تنفق عليها وتوصل من تشاء الى الكرسى الذى تجلس عليه الان فى البيت الابيض !

نيكسون : تقصدين افكار واموال ونفوذ الامريكيين اليهود ..

مائير : انهم رعايانا نحن يا ريتشارد .. واسمح لى ان اناديك « ريتشارد » فانك فى حكم اخى الصغير !

كيسنجر : لا اختلاف ولا تعارض !
انا مثلا المانى بالمولد .. يهودى بالاصل .. امريكى بالاقامة والتجنس والانفتاح ولكن فلسفة القوة والسيطرة والحروب المحلية والدهاء متبلورة بالفعل

في الولايات المتحدة الامريكية ! نحن نساند بعضنا البعض في مواجهة القوة الاخرى .. صغرت أم كبرت! لقد ضمنت هذا كله في كتابي « الاسلحة النووية والسياسة الخارجية » ..

نيكسون : صح ايها المستشار الداهية العزيز ! ولكن الظاهر ان مسز مائير اعتادت ان تأكل ولا تشبع بل تمن علينا ، وكأنها هي وحدها التي نقلت « الدفة » من « الحزب الديمقراطي » الى « الحزب الجمهوري » ، أو هي وحدها التي مدت لي الفترة الثانية من الرئاسة !

مائير : استغفر الله ! لست وحدي ، ولكن هناك ايضا اجهزة التسمع الخفية السرية على التكتيكات الانتخابية للحزب الديمقراطي وما كان يدور بمقره في « ووترجيت » ..

نيكسون : هس ! ولا كلمة من فضلك ! كيف صحتك ؟ أنا تحت امرك دائما !

مائير : انت قد التقيت بالملك حسين منذ ايام واعلنت استمرار امداده بالمعونة العسكرية والاقتصادية ..

نيكسون : وماذا في ذلك ؟

مائير : ... والتقيت بحافظ اسماعيل ايضا وقلت له ان المنطقة متفجرة وهدفك الرئيسي هو التحرك من نقطة السكون ..

نيكسون : هذا كلام اعلنته للاستهلاك العالمي . اما الحقيقة فانني استهدف السكون .. اتوخى التجميد ومزيدا من التجميد ! ولقد حاولت اقناعه بقبول المفاوضات

المباشرة معك ولكنه أبى بعناد وصلابة واخذ يتحدث عن الانسحاب وعن حقــوق العرب ! والحقيقة انك وضعتنى فى مركز حرج ، فقــد تم اللقـــاء بحافظ اسماعيل بينما الدماء لم تجف بعد .. دماء المائة قتيل من ركاب الطائرة الليبية التى اسقطتها اسرائيل فى سيناء .

مــــائير : وهل اغضبك اسقاط الطائرة الليبيـــة ؟ هل احزنك مقتل المائة راكب عربى ؟

نيكسون : ابدا والله ابدا ! اننى وددت ان « ينقرض » هــؤلاء العرب ، فــلا يبقى فى ارضـــــهم غير آبار البترول نسبح فيها معا وحدنا ونغترف الذهب الاسود !

مــــائير : برافو ! اعجبتنى ! ولكن ما زال « جونسون » افضل منك ، فقد كان اكثر تجاوبا .. ويكفى انه خطط معنا ترتيبات الهجوم على مصر وسوريا والاردن فى يونيو ٦٧ وتآمر وتجسس لصـــالحنا ، وزودنا بالمتطوعين وغير المتطــوعين ، وحــذر الجانب الاخر ، واعطانا الاشـــارة الخضراء فصــــنعنا نحــن النصر ثم حمى انتصـــاراتنا من أى « عــدوان » بقرارات من مجلس الامن لا تلزمنا بالانسحاب ! ثم أغدق علينا من خيراته واسلحته وتأييده ! ناهيك عن فرحته .. وشماتته فى أعدائنا العرب !

نيكسون : جونســـون .. جونســـون ! انتصـــار .. انتصـــار ! « فلقتينا » يا مسز مائير ! ولكن لعلك تدركين انك لم تستطيعى هزيمة « ارادة » هؤلاء الفراعنة !

مــــائير : هذه هى المشكلة المذهلة المحيرة ! ان هذه « الارادة » تبدو فى ظاهرها « بلادة » ولكنى لا أخفى عليك اننى

رغم كل التوسع الذى حزته .. وتغيير معالم الارض ورغم « الحضارة » والعمارة والصناعة والسياحة التى حققتها خلال سنوات قليلة ، فاننى أحس أمام هذه الارادة العربية الكامنة .. وامام الانفجار السكانى العربى المتزايد اننا نقف على ارض قلقة ! لذلك فانا نفسى قلقة ! ان فى هؤلاء العرب ـ والمصريين بالاخص ـ شيئا غريبا « يغيظ » انهم يبدون أقوى من الزمن واعلى من الغزو !

نيكسون : طلباتك يا مسز مائير ! لقد فعلت لك ـ فيما اعتقد ـ اكثر مما فعل جونسون . واننى الآن مستعد أن اقدم اكثر مما قدمت !

مـــائير : القنبلة الذرية !

نيكسون : فيتو !

مـــائير : منذ متى باريتشارد تستطيع أن تستخدم الفيتو ضدى ؟! انه لا يستخدم الا لمصلحتى !

نيكسون : أنا « امزح » فقط ! ولكن ـ على اى حال ـ كونى معقولة ، فاننى لا أرغب فى اثارة العالم ضدنا أشد مما هو ثائر الآن ! ثم ان « لعبـــة » القنبلة الذرية بالغة الخطر حتى اننى رغم هزائمى القاسية المتلاحقة فى فيتنام لم استطع المضى فى ضربها بالقنابل الذرية على شدة رغبتى فى ذلك !

مـــائير : اذن .. لا اقل من أن تعطونا مثل ما لديكم فى القوات المسلحة الامريكية من اسلحة ثقيلة وطائرات وصواريخ ومعدات فنية كاملة فأنتم ـ كما تعلمون ـ امتداد لنا ، أو ربما نحن امتداد لكم !

نيكسون : تقصدين الـ ٥١٥ مليون دولار اضافية التى تصرحين قبل حضورك من اسرائيل بأنك ستحصلين عليها منا كمعونات عسكرية واقتصادية وفنية ؟!

مائير : تلك مجرد تصريحات فحسب ، أما الحساب الحقيقى الذى يجب أن نحصل عليه منكم فمفتوح بغير حدود ! لقد كان جونسون ..

نيكسون : جونسون مرة أخرى ؟! ياسيدتى انا « غير متأخر فى حاجة » !!

مائير : وهذا الوليام روجرز انه متعب ولا نطمئن اليه كثيرا !

كيسنجر : انه « صفر على الشمال » ! ومع هذا فهو ماش على الحزاء و « جنب الحائط » ! او بالأحرى هو ماشى .. ماشى !

مائير : و « مبادرته » التى ازعجنا بها فى سنة ١٩٧٠ وكأنه يريد ان يدخل فى « زمرة » وزراء الخارجية « المارقين » من امثال « دين اتشيسون » و « جورج مارشال » !

نيكسون : لقد « لحسنا » مبادرة روجرز على الفور ! ثم انها اصبحت خيراً وبركة عليكم وعلينا أو ليست هى التى « تكفلت » بوقف اطلاق النار حتى اليوم بينكم وبين المصريين ونقلت « القضية » الى « الفريجيدير » تمهيداً لمحاولة فرض الامر الواقع ؟!

مائير : الامر الواقع .. هذا هو حلم اسرائيل « من النيل الى الفرات » ! غير أن « المنغصات » كثيرة . منها الرأى العام العالمى الاخذ فى التحول عنا مع كل ما يبذله « عملاؤنا » المجندون ..

نيكسون : ولا يهمك ! « انا وانت اللى فى الدنيــــا .. انا وانت » !

مــائير : وبارنج ؟

نيكسون : لقـد دوخنا هذا البائس حتى آثر الهرب والعافيـة ! ونحن نعلم – ولا مانع – انه لو كان اصر وتشدد واعلن موقفه صراحة منـكم لتقى مصرعه على أيديكم مثلما فعلتم فى سلفه « برنادوت » !

مــائير : ومن المنغصات .. هـذا الصـمود المصرى المثير ، وموقفهم « المتشدد » ..

نيكسون : بينى وبينك .. نحن المتشددون !

مــائير : و « بعدين » ؟!

نيكسون : طيب .. « نمسحها » !

مــائير : ثم هؤلاء « الارهابيون » الذين يطلقون على انفسـهم « فدائيين » أو « المقاومة الفلسـطينية » . لقـد صفيناهم « تقريبا » من الاردن . وضربناهم بعنف فى لبنان وضربنا لبنان نفسها ، ولكنهم ما زالوا يتنفسون ويشكلون مخاطر حقيقية ويخربون ويفجرون القنابل حتى فى اعماق تل ابيب !

نيكسون : لعلنا ساندناكم فى موضوع الارهـابين الفلسطينين الى اقصى درجة . بل دفعنا ثمنا غاليا . فبالامس فقط وفى الخرطوم قتـل « المجرمون » من منظمـة أيلول الاسود عزيزنا كليونويل سـفيرنا الجديد بالسودان وهو واحد من خيرة رجال مخابراتنا المدربين !

كيسنجر : ان الرئيس نيكسون لفرط اهتمامه بضرب الارهـابيين الفلسطينيين قد شكل جهازا خاصـا يتبعه مباشرة

للايقاع بهم وتصفيتهم نهائيا ، فلا تنزعجى اذا سمعتيه في بيانه الرسمى يتحدث عن « احترام حياة الشعب الفلسطيني » لانه في واقع الامر يعمل على تدميره بالطريقة نفسها التى تعملين بها على راس جهاز الاغتيالات .. والتصفيات للارهابيين والفلسطينيين! واظنك تعلمين ايضا ان الجهاز الثالث للتصفية ــ وبالتنسيق ــ هو برئاسة الحسن شقيق حسين ملك الاردن ويبدو أن حسين مشغول بعض الشيء هذه الايام بمغامراته العاطفية !

مائير : ولكنك « ملك » المغامرات العاطفية يا هنرى ! على العموم « رفه » عن نفسك كما تشاء .. فانك تعطى « الشغل » حقه وزيادة .. وانت قد رفعت راسنا عاليا !

نيكسون : ان صورة هنرى « العارية » قد دخلت التاريخ ! اصبحت مثل « الجيوكوندا » أو كتماثيل « رودان » العارية الرائعة ! انه حلم الفتيات !

مائير : والان دعونا من « الهزر » ومن الفتيات لنعاود الحديث عن « المنفصات » ! مثلا ، هذه الرقعة الواسعة من ارضنا الجديدة .. انها في اشد الاشتياق للمهاجرين وبالذات من البلد الذى قدمت منه .. من روسيا ! فماذا فعلتم في مشكلة اليهود السوفيت ؟ من ناحيتنا فنحن نهيج الدنيا على روسيا بالمظاهرات حينا وبالتشهير حينا آخر و « باستئجار » احبابنا في الكونجرس احيانا .. ولكن الروس ما زالوا يركبون رؤوسهم ويقيمون العراقيل . نحن في حاجة لشباب اليهود الروس ولعلمائهم !

كيسنجر : هذه قضية تحل بالسياسة .. بسياستي ! ان رحلاتي الماضية والقادمة الى موسكو لا تجرى عبثا . انا لا اقضي الوقت هناك في تناول الكافيار وشرب الفودكا ، وانما نحن نتناول مصير العالم في العشرين سنة التالية وربما بعد سنة ٢٠٠٠ ومن حسن الحظ ان السوفيت مرهقون اقتصاديا في المرحلة الحالية ، ومن هنا ينجح الاخذ والعطاء . وهم محتاجون الينا في مسائل ولعلنا محتاجون اليهم في مسائل أخرى . واننى أعتقد أن اجتماع بريجنيف بالرئيس نيكسون في واشنطن سوف يتم في موعده المقرر في يونيو رغم البروق والرعود والعواصف التي تلوح مناوئة ! واعتقد كذلك أنه سوف يكون اجتماعا ناجحا وحاسما. ثم .. في « معركتك الفرعية » ارجح اننا سوف ننتصر ايضا ، فيترخص السوفيت في هجرة اليهود من بلادهم اليكم بشروط اكثر تيسيرا . واحسبك تلاحظين ان العلاقات بين السوفيت والعرب لم تعد في مثل قوتها المعهودة ..

مائير : هل تعلمان ان عدد المهاجرين من اسرائيل يكاد يصل الى عدد المهاجرين اليها ؟!

نيكسون : هذه مشكلتك انت يا مسز مائير ، والظاهر ان النزاعات بين القديم والجديد وبين الأجنحة المختلفة بالغة الحدة للدرجة التي تجعل فريقا من المهاجرين يلوذون بالفرار !

مائير : ابدا .. المشكلة مادية بالدرجة الاولى . لو ان معاوناتكم كافية مائة في المائة لما قامت مشاكل ! لقد كان « جونسون » ..

نيكسون : لا .. لا ! غير معقول يا جولد ! هذا ابتزاز فوق الاحتمال !

مائير : ريتشارد ... احفظ مركزك ! انت تعلم جيدا ماذا استطيع ان اصنع ...

كيسنجر : معذرة سيدتي ! معذرة سيدى ! حصل خير ! المسالة بسيطة جدا ، ونحن « عز » الحبايب ! نحن نتحدث عن « المنفصات » وليس فى « جدول اعمالنا » منغصات بين امريكا واسرائيل كما لن تقوم بيننا ابدا !

نيكسون : استمرى يا مسز مائير !

مائير : ......

نيكسون : يا مسز مائير .. لقد قلت اننى تحت امرك وفى خدمتك ، ولسوف اظل كذلك ما بقى لى من عمر فى البيت الابيض .. وسترين قدر اخلاصى !

مائير : يا ريتشارد نحن نخطط للمدى البعيد ، ولا بد ان يكون التخطيط منضبطا ودائبا وممولا لنحقق اهدافنا معا .

انت تذكر ان مراكز ابحاثنا المشتركة قد رسمت الموقف فى الشرق الاوسط سنة ١٩٩٠ على انه يدور فى ثلاث دوائر .. أولاها نحن .. « منارة الحضارة » . كما سمانا « بحق » همفرى نائب جونسون ، وتكون بموجبها مركز الصناعات الثقيلة وراس المال ؟ وتصبح الدائرة الثانية هى توريد العمال العرب الى اسرائيل على طريقة مقاولى الانفار ! وتغدو الدائرة الثالثة ـ لاستهلاك الصناعات الاسرائيلية ـ شاملة كل الدول

العربية فلا تصنع غير هذا ! كل الدول العربية بغير استثناء ، وان كنا اتفقنا على امكانية السماح لمصر ببعض الصناعات المتعلقة بالزراعة ! من أين .. يا سيدى نستطيع المضى فى هذه الخطة وكيف اذا لم تمدونا براس الملل والمال دائما .. والخبراء من وقت لآخر ؟!

نيكسون : على العين والراس !

مائير : فقط اريد الاطمئنان الى شيء أخير . ماذا تقول حسابات « الكومبيوتر » عن مستقبل المنطقة ؟

نيكسون : عظيم .. اسرائيل الكبرى ومن ورائها « زعيمة الاستعمار الجديد » . الولايات المتحدة الامريكية كما يحلو لاعدائنا ان يرددوا !

كيسنجر : غير انى - صراحة - اخشى امرا واحدا دلتنى عليه خبرتى فى فيتنام ، وتعجز حسابات الكومبيوتر عن قراءته وهو اذا حدث - وقد يحدث - فلسوف يقلب خطتنا راسا على عقب !

نيكسون : افصح !

مائير : ما هو يا بنى العزيز ؟!

كيسنجر : تحرك الارادة الشعبية العربية : وبالاخص اذا « اتحدت » تلك الدول ..

مائير : انت لا ابنى ولا اعرفك !!

« طبق الاصل » !

٧٣/٨/٢

فى رحاب التاريخ

فى ٥ من أغسطس ١٩٦٥ قضى راضيا مرضيا ، منطويا على نفسه وبلا ضجيج - مثلما عاش حياة طويلة عريضة عميقة لخصية ، فيها الانطواء ــ رغم كل مقومات المجد ــ وفيها العزوف عن الضجيج رغم كل مؤهلات وجاذبية الشهرة المدوية !

ولست أذكر انه شغل مكانا كبيرا من بعض الصحف والمجلات المصرية ــ مع كونه شغل مكانة عالية فى الحياة المصرية والدولية على السواء ــ الا مرة واحدة .

والغريب انها كانت بمناسبة حملة مدبرة ضده وشائعات أطلقها « سماسرة السراى الملكية » واعداؤه ، وتلقاها فى سخرية حكيمة وصمت بليغ .. بينما رحت فى شبابى الباكر « اغلى » وأثور ، واكتب الاشعار دفاعا عنه وتمجيدا واجرى الاتصالات !

ذلك ان ابن مصر الاغر « الدكتور عبد الحميد بدوى » كان قد اختلف مع الملك فاروق فى بداية سنة ١٩٤٢ . فقد كان عبد الحميد بدوى وزيرا للمالية عندما طمع فاروق فى « جزيرة الذهب » وأراد أن يضمها من ملكية الدولة الى أملاكه الخاصة « فتجرأ » وتصدى ورفض الارادة الملكية السنية ! وهنا حاول فاروق اهانته ، فقذف عبد الحميد بدوى باستقالته فى وجهه الملكى فى اوائل يناير ٤٢ واعتكف فى بيته ، ولم يمر شهر حتى كان حادث ٤ فبراير الشهير !

غير ان فترة الشهر هذه كانت كافية لتخرج « الخبائث » من الصدور ، ولتشن حملة اشاعات من اكثر الحملات ظلما واظلاما لتجرح الشرف والسمعة ، وليقولوا عنه تارة انه ملا الحكومة باقاربه ومحاسبيه .. وتارة اخرى بانه كان « دون جوان » يقيم العلاقات الغرامية مع النساء مستغلا منصبه ووسامته .. وهكذا مما لا اصل له ومما صوره خيالهم المريض واحقادهم الاشد مرضا وضراوة ! ولكنه مرض فى بعض النفوس قديم متوارث ، لعل « قابيل » بداه .. وما زال يقوم حتى الان — وفى نطاق ضيق والحمد لله — ويتكرر ، ويحاول تجريح كرامات الابرياء الشرفاء بالشائعات وبالمنشورات وبكل الاساليب الخسيسة ، ولكنها تتكسر — عادة — عند مواطىء أقدامهم !

واذا لم يكن لعبد الحميد بدوى حظ كبير فى الصحافة المصرية فان هذا الحظ قد تخلى عنه ايضا — أو بالاحرى تخلى عنى — فنسيت أن أدرج فى كتابى الاخير وفى جزئه الثانى « رحلات مع الاوجاع » فصلا كاملا كنت قد كتبته عنه ولم ير النور !

على اننى اعتقد انه سيعلو دائما على الكلمات الصحفية العارضة ، لانه كان أعلى قدرا بذاته من ان تصنعه الكلمات الصحفية العارضة أو الدعايات !

ومن هنا فاننى أعطى الكلمة لزميل من زملائه النوابغ صور حياته وانصف وابدع ورثاه فى « سيمفونية » رائعة ، ولعلى ابدؤها من نهايتها لاتصالها بموضوع الصحافة . والكلمة القاها المرحوم الدكتور عبد الرزاق السنهورى سنة ١٩٦٥ فى تأبين المرحوم الدكتور عبد الحميد بدوى .

« ويموت عبد الحميد بدوى ولا تكاد الصحف المصرية تذكر خبر موته ، واذا ذكرته ففى اضيق نطاق . وتقوم عنها بهذا الواجب الصحافة العالمية ومحكمة العدل الدولية ومجلس الامن

ففى مجلس الامن يقوم ممثلو الدول العظمى ومنها امريكا وروسيا وانجلترا بتأبين الفقيد ».

ماذا قال السنهورى بكل الحب والاعجاب والتقدير ، وبأخلص المشاعر النبيلة الكريمة التى لم يكن ليضن بها رجل عظيم نبيل كريم مثل السنهورى ؟

قال : « كان عبد الحميد بدوى سيد جيله دون منازع فى غير ما جلبة ولا ضوضاء ، وله فى ميدان الجهاد الصامت مآثر لا تنسى . والنشاط الفنى فى حياة عبد الحميد بدوى هو الناحية البارزة التى سمت به ، فجعلته فى الصدر من رجال القانون والفتوى والتشريع . وتولى عبد الحميد بدوى تدريس القانون فى مدرسة الحقوق الخديوية سنتين اثنتين ، ثم اختاره عبد الخالق ثروت ـ وزير الحقانية ـ مديرا لمكتبه . وقد كشف عبد الخالق ثروت عن عبقرية عبد الحميد بدوى وما هو عليه من كفاية فذة فانتزعه من سلك التدريس وأكاد أقول اختطفه منه . واية خسارة أصابت الفقه المصرى اذ انتزع منه ، فلقد كان فقيها بطبعه فقيها بثقافته ، ولا أعرف عقلا فى القانون أصفى ولا أنقى ولا أعمق من عقل عبد الحميد بدوى ، وتجىء ثورة سنة ١٩١٩ ، ويشارك عبد الحميد فى الثورة عن طريق عضويته فى لجنة الموظفين ، وهى اللجنة التى كانت تقود الموظفين وتبصرهم بواجباتهم الوطنية فى وقت كان فيه الشعور الوطنى يتدفق عارما . وكان جزاء أعضاء هذه اللجنة أن نقلوا من وظائفهم العالية الى أدنى منها وشتت بعضهم فى الاقاليم ، وكان نصيبه من هذا التنزيل وهذا التشتيت ان نقل قاضيا فى محكمة طنطا . ورب ضارة نافعة . فقد كسب القضاء الوطنى فى عبد الحميد بدوى قاضيا فذا علت أحكامه حتى بلغت القمة من نصاعة البيان وقوة الحجة ودقة التحليل ».

« وقد كان عبد الحميد بدوى أول مصرى يعين مستشارا ملكيا فى لجنة قضايا الحكومة واستطاع بفضل كفايته ان يرفع رأس مصر امام كبار رجال القانون الاجانب . وعندما تقاعد رئيس لجنة القضايا فى سنة ١٩٢٦ لم تجد الحكومة خيرا من الفقيد بين رجال القانون المصريين والاجانب ليحل محل الرئيس المتقاعد وعين عبد الحميد بدوى فى السنة نفسها رئيسا للجنة قضايا الحكومة وكبيرا للمستشارين الملكيين ولما يبلغ سن الاربعين . ويبقى رئيسا للجنة القضايا طوال المدة الباقية له من حياته الفنية فى مصر . وفى هذا المنصب الخطير تتجلى مواهبه القانونية فى الفتوى والتشريع اروع ما تكون صقلا واصفى ما تكون معدنا ». وكان يغوص فى أعماق اكثر المسائل تعقيدا واشدها خفاء وغموضا فاذا هى تنقلب الى حقائق بديهية لا خفاء فيها ولا غموض ». وكل ذلك فى عبارات سليمة جذابة تتدفق جزالة وعذوبة فتخلب لب القارىء أو السامع . ومع ذلك تراه فى بعض الاحيان يعتذر فى تواضع عن بعض ما يكتب بانه ورد على حد قوله (كما جاء لا كما يجب) ».

« واما الأمر الثانى الذى قام عبد الحميد بدوى بالدور الرئيسى فيه ، فهو مؤتمر الغاء الامتيازات الاجنبية الذى انعقد فى مونتريه سنة ١٩٣٧ تنفيذا لمعاهدة سنة ١٩٣٦ ». ولعل هذا العمل كان أجل الاعمال التى قام بها العهد الماضى ». والصانع الاول لمعاهدة مونتريه هو عبد الحميد بدوى . وهذه المعاهدة هى من اجل أعماله بل لعلها اجل أعماله . والغريب أن الوزارة الوفدية التى كانت قائمة وقت عقد مؤتمر مونتريه لم تكن على علاقة طيبة به ولكنها لم تكن تستطيع أن تستغنى عنه فى هذا الامر الخطير ، ارادت ان تلحقه بوفد مصر لدى المؤتمر ولكن باعتباره مستشارا للوفد لا عضوا فيه . ولم يكن عبد الحميد بدوى ليقبل هذه المهانة ، فقد كان من ابرز خصائصه انه

كان يعرف قدر نفسه ، وستراه لا يطأطىء راسه لانسان ولو كان هذا الانسان ملكا . فابى الوضع الذى ارادته له الوزارة ، ونزلت الوزارة اخيرا عند واجبها ورجعت الى التصرف السليم فعينته عضوا فى الوفد فكان ابرز الاعضاء جميعا وأرسخهم قدما واكثرهم احاطة بالمسائل الشائكة التى تنطوى عليها الامتيازات الاجنبية ، وكان هو كما قدمت الصانع الاول لمعاهدة مونتريه » .

« وانتقل عبد الحميد بدوى الى المحيط الدولى اذ رشح ليكون قاضيا فى محكمة العدل الدولية ، فاستقال من منصبه كوزير الخارجية فى سنة ١٩٤٦ بعد ان دخل قاضيا فى أكبر محكمة دولية عالمية عليا . وكان أول شرقى عربى يختار لهذا المنصب الجليل ولم يبلغ الستين من عمره ، فكان من أصغر قضاة المحكمة العليا سنا . وما لبث كعادته ان ظهر تفوقه بين قضاة محكمة العدل فى اقضيته واحكامه فى مسائل القانون الدولى ، وعاد سيرته الاولى رجلا فنيا ، ولكنه هنا ، فى هذه المرحلة الاخيرة من حياته ، قد جاوز بفنه الحدود الاقليمية والمحيط المصرى وخرج الى المحيط الدولى فاصبح رجلا عالميا بين عشرة أو عشرين من أبرز رجال القانون فى العالم » .

ثم يقف الدكتور عبد الرزاق السنهورى يلتقط انفاسه المتهدجة فى حديثه الى جموع الحاضرين السامعين المنبهرين ويتأملهم قليلا ثم يرتفع صوته فى حسرة وفى اعتزاز وفى جسارة قائلا :

« ومع ذلك فقد عشنا حتى رأينا اليوم الذى يرشح عبد الحميد بدوى لجائزة الدولة التقديرية فلا ينالها ! لم يكن عبد الحميد بدوى فى حاجة الى جائزة تشهد بفضله ومكانته ، وقد كان هو حجة على الجائزة ، وليست الجائزة حجة عليه . واذا كان لا بد من جائزة تهدى لذكراه فتعالوا معى يا رجال القانون فى مصر جميعا ــ واسمحوا لى فى هذا المقام ان اتكلم باسمكم ــ

نقدم فى خشوع واجلال لذكرى الفقيد الراحل اسمى جائزة تهدى لاكبر عبقرية فى القانون ظهرت فى مصر فى العصر الحديث »

وبعد ، الستم معى ان احدا ما كان ليجد افضل من هذه الكلمات ولا اكثر منها حرارة وبراعة اذ قيلت فى تابين علم من اعلام مصر المخلصين الذين انتقلوا الى ذمة الله واصبحوا فى رحاب التاريخ ».

ونحن اذ نستعيدها ونتذاكر تاريخه فى ذكراه الخالدة لنتوجه الى الله عز وجل ان يرحم الراثى والمرثى رحمة واسعة .

واذا كانت الايام الاولى من اغسطس سنة ١٩٦٥ قد نعت الدكتور عبد الحميد بدوى فان الايام الاخيرة من أغسطس فى نفس السنة قد نعت الرئيس السابق مصطفى النحاس ، فقد توفى الاول فى ٥ من اغسطس ٦٥ وتوفى الثانى فى ٢٣ من اغسطس ٦٥

ولشد ما كانت « طبيعة » الرجلين مختلفة . فعبد الحميد بدوى عزف عن السياسة بمعناها الحزبى وربما كان يمثل « الارستقراطية الفكرية » المكرسة لخدمة الوطن ، ومصطفى النحاس تمرس بالسياسة وبالعمل الحزبى وبالزعامة وكان رجلا شعبيا من طراز فريد ».

٧٣/٨/٥

«كلاكيت ٧» .. لا مانع !

هل هو زمان « الغربة » ؟ كأنما بدأ الانسان غريبا وسيعود غريبا كما بدأ .. ! الحديث الشريف : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ » .

هل هو زمان الاكتئاب ؟ نضحك ونسخر ونرتجل النكات و « نتريق » ، ولكننا فى أعماقنا موجوعون محزونون !

هل هو زمان الحيرة ؟ نبدو وكأننا مملوءون ثقة نمشى خفافا ثابتين ، غير أن « أشعة ارجلنا تكشف أنها مثقلة « مهتزة » .

هل هو زمان العزلة والانطواء ؟ نخالط الناس بل نختنق من الزحام . غير أننا وحدنا : نفكر وحدنا . نشرد وحدنا . نئن ونشكو وحدنا . نحلم وحدنا !

حتى « الروابط العائلية » ـ بله الصداقات ـ وهت ورقت وتسطحت وتفسخت بل تكاد تكون انعدمت : لا زيارات .. لا مجاملات .. لا اتصالات .. لا وشائج !

الاسباب لا تدور فى الحرص على «الوقت» وفى الحرص على « المال » فحسب ، ولكن المعايير اختلفت واختلت ! اقرب الاقارب هو « السأم » ، الصق الاصدقاء هو «الملل» ..

لم تكن الحال هكـــذا منذ ثلاثين عاما واكثر . هل ضــاق خلقنا ؟ هل هو صراع المال والقهر وصعوط تكاليف الحياة ؟ هـل تبدلت «القيم» ؟ هل أصبحت المودة الحانية الخالصة «الواجبة» نفاقا ؟ ولكنا «نمارس» النفاق ـ وبشاعة ـ فى شئون شتى !!

لماذا فسدت «الذمم» ؟ لماذا كثرت «التطلعات» ؟ لماذا ازدادت «اللامبالاة» ؟ لماذا .. ولماذا ؟!

حقيقة .. ماذا دهانا ؟.. ماذا جرى للدنيا ؟!

الدنيا بخير ! صحيح .. الدنيا بخير ـ فى مجموعها ـ ولكن « الظاهر » أننا « دونا » من الدنيا لسنا بخير !

الدنيا تتقدم من حولنا : تقفز . تثب . تطير . تتطور . تتغير تفكر وتعمــل للقرن الحــادى والعشرين ، بعــد أن جهدت فى حل مشاكلها وحلتها فعلا سواء بالعقل أم بالقوة !

ان كل ما «قدمت» عن الغربة والاكتئات والانطــواء والملل الخ لا يمثل « عين » المشكلات ولا « بيت الداء » انما هى كما يقولون فى عالم الطب مجرد Side Effects اى آثار جانبية مع تعديل بســيط وهو ان «الآثار الجانبية» تجىء عادة من «تعاطى» جرعات من دواء معين . أما فى حالتنا فهى ناتجة عن داء معين ! اى انها « بثور » !

حتى «النكسة» التى تشير اليها الايدى بوصفها سببا رئيسيا لما قد نعانيه من حيرة وتمزق الخ .. ليست الا نتيجة !

ما هى الحكاية اذن ؟ وما هو الحل اذن ..

وكيف « نبادر » فننقد انفسنا ، لا كما ننقد ، وانمــا بنيــة وبقدرة أن ننقذ أنفسنا ؟!

بعض الغربيين يصفوننا ـ نحن العرب ـ بأننا نتميز « باندفاع قدرى» نحو الهلاك ! نرى المهالك امام عيوننا ونسير اليها ولا نحيد

ولا نتوقف ولا نفكر فى التغلب عليها وكأنما نحن مسوقون تدفعنا قوة قاهرة لا تدفع ! أو بالاحرى « تلوح » أمامنا الكوارث وتقبل علينا فلا نتحرك ولا نصنع شيئا بل «نتبلد» و «ننتظر» رغم انها «مرئية» رأى العين وتعطينا فرصة لتجنبها ولتجاوزها وللسيطرة عليها بل ربما تسخيرها لصالحنا !

طبعا .. « الحكاية » و « الحل » قد يحتاجان الى مؤلفات ومجلدات ، بالاضافة الى كتب ومجلدات ومقالات طالما كتبها الكثيرون !

ثم ان الحكاية والحل دار حولهما حوار طويل متشعب هو الذى سمى «حوار المتغيرات» محاولة للاجابة على سؤال مطروح : لماذا لم نستطع تحقيق أهدافنا حتى اليوم ؟

وقد لا تحتاج الحكاية والحل الى مؤلفات ومجلدات بل الى مجرد كلمة واحدة ومحض عمل واحد متبتل !

لقد كتب كثير وقيل كثير ، ولعبت الصحافة دورا هاما ومبكرا فى قضية المتغيرات .. الامر الذى حدا بالدكتور حافظ غانم بعد ان افتتح الحوار مع الصحفيين ، وشرح « ورقة العمل » المعدة — الى أن « ينصف » الصحافة والصحفيين ويمسك بالميكروفون مرة اخرى ويقول : لقد فاتنى ان اشير الى شىء تقتضينى الأمانة ان انوه به ، هو أن الصحافة ومنذ وقت طويل وبمقالات كثيرة وبأبحاث عديدة وبموضوعات مختلفة ، رصدت المتغيرات وتناولتها ونبهت اليها ، فسلطت الاضواء عليها . كان هذا همها ورسالتها » .

وقد لخص الرئيس انور السادات — وبحق — محاورنا الثلاثة التى ينبغى ان نرتكز عليها فى (١) قدرتنا الذاتية (٢) القدرة العربية أى العمل العربى المشترك الواعى المتكامل (٣) الدعم السوفييتى ■

ولكنا محتاجون بالفعل الى «بداية جديدة» جـادة تتفق مع ظروفنا الصعبة وتنتصر عليها ، وتتفق مع «الزمن» الذى تغير وتطور فى العالم وتلحق به .

وعن البداية الجديدة وعن الزمـن وفى حـديث ضمته دفتـا هذا الكتاب ، حديث بالغ الاسى كبير الرجـاء ، كان «الاحساس بالزمن والسباق معه » ـ وهو عنوان الحديث ـ واحدا من همومى وآمالى حول قضايانا التى شغلت فكرى وأثارت وجدانى كمصرى. ثم تناولت قدرتنـا الذاتيـة والعمـل العربى المشترك ، والدعم السوفيتى ، وافصحت عن ايمانى الوطنى بضرورة تنمية الصداقة العربية السوفيتية والافادة من الدعم السوفييتى فى حديث كان له بعض الاصداء لانه تعرض فى صراحة لبعض الحساسيات وواجهها وبددها ، وناشد الجميع مناشدة خالصة لوجه الله والوطن ولصالح قضيتنا وتطورنا وتنميتنا ان : تعالوا الى كلمة سواء !

وقصارى القول فى كلمة واحدة .. انه فى امة ناميـة لها مثل ظروفنا فان الحل الصحيح مع البـداية الصحيحة للمواجهـة الصحيحة يتلخص فى «الهاب» الشعور الوطنى مع تربية «صارمة» « صحية » ، « واعية » تصلح « المفاهيم » و « السلوك » ، وبشرط القدوة الحسنة الشاملة والتجرد وايثار مصلحة الوطن ومستقبله .

وفى امة نامية لها مثل ظروفنا لا بديل للاشتراكية وتعميقها ، وللتطبيق الاشتراكى وتنقيته وتنميته وتغذيته بالكوادر . وفى امة نامية لها مثل ظروفنا ـ ومع كل ما يتردد عن سـياسة الوفـاق .. بل بتصور خاص لمعنى الوفاق ، لان الخلافات الجذرية بـين « المعسكرين » ما زالت قائمة بالضرورة ـ فانه أيضا من الضرورى تنمية الصداقة وتعميقها مع الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الاخرى ، فانها اكثر اخلاصا وصدقا ، وان المستقبل لها ، ثم اننا لا نستطيع ان ننعزل عن العالم .. مع إيمان لا يتزعزع وتأكيـد

عملى لا يتردد بأن هذا التعاون والانفتاح والمؤازرة المادية والمعنوية لا تمس كرامتنا الوطنية وحريتنا السياسية واستقلالنا واحلامنا .

ان الولايات المتحدة الامريكية ميئوس منها بألف دليل ودليل . وما كان اصرح الرئيس السادات فى خطابه يوم ٢٦ يوليـو ١٩٧٣ عندما عقب على الفيتو الامـريكى المتعنت الوقح بانه قد قضى عـلى البقية الباقية من امل « نصف فى المائة » لدى عدد قليل جدا من المصريين والعرب كانوا يعقـــدونه - أى يعقدون الامل - على أن تعدل امريكا عن موقفها العدائى من العرب .

بقيت القدرة العربية أو العمل العربى المشترك ، وهو «جب» شديد التعقيد و «بحر» متلاطم الامواج ولكن لا باس من تجـديد المحاولات فيه ، فان الخير الذى وراءه هو بقـــدر من الاتســاع والحسم بحيث يستحق المحاولة والعناء والنضال .

ليست هذه هى محاولاتنا الأولى لبداية جديدة جادة فى شتى مناحى العمل الوطنى والعربى والحضارى ، ربما حاولنا كثيرا من اقبل وكانت « المحصلة » دون المستوى بحيث تضطرنا للبــدء من جديد .

هل هى - مثلا - « كلاكيت » رقم ٧ ؟ لا مانع .. فلا خيار .. ولا يأس .. ولا مستحيل حتى نصل الى المستوى المنشود .

ربما لم آت بشىء مذكور فيما كتبت .

ربما تعيب « العموميات » الرأى والكلمات .

ولكن ربما « يشفع » لها انها مشاعر خالصة لم ينطلق معهـا قلمى .

١٤/٨/٧٣ .

ســـنة المفــارقــين

كيف ابدا ، والأفكار فى راسى تكر وتفر والمشاعر فى صــدرى تتدفق فتشرق وتختنق ، والقلم يطيع ويعصى ؟

من الممكن الا استطيع الكتابة عنه اطلاقا ، ومن الممكن ايضا ان اكتب عنه صفحــات وصفحــات لا تنتهى . يقــولون فى مثــل حالته الفاجعة الفاجعة « طويت صفحته » وهو تعبير قاس ولكنه صحيح ، ولسوف يشملنا جميعا بغير استثناء . هذه هى ســنة الحياة وسرها وتجددها . غير ان صفحات « الفرســان » تطوى لتنشر فى صدور رفاقهم ذكريات واعزازا واحزانا كامنة تأكل من عمــرهم .

ولقد كان « ابراهيم نوار » فارسا تجمعت وتجملت فيه صفات الفروسية . الايمان بالرسالة التى يتصدى لها بالكلمة وبالجهــد وبالحب وبالفن المهنى المتمرس المجرب الحصيف . وسالة اداتها وسلاحها « الصحافة » ولكن جوهرها وغايتها هى « مصر » . ومن خصال الفروسية الداب والجلد ، وكان « ابراهيــم » دءوبا الى اقصى حدود ومشقة الداب . متجلدا الى ابعد احتمالات وتحملات الجلد والصبر على العمل وعلى النــاس وعلى المكاره . والفــارس بقدر ما هو « مجامل » بقدر ما هو معتز ومتنبــه ومدافــع عن

« كرامته » ، وهكذا كان « ابراهيم نوار » حتى لاستطيع ان امتد عشرات بل مئــات الامثلة والصــور لنماذج المجاملة و « الذوق » والكرامة فى حيــاته . ولطالما يتعرض الفرسان « لمعارك جانبية » تشنها عليهم الوقيعة والاحقاد والصغار ، ولكنه ـ شأن الفرسان ـ طالما ارتفع عليها أو اكتفى بالالتفات اليها بحـكمة أو بتصرف انسانى او بمنطلق عملى يخجل أصحاب المعارك الجانبية الصغيرة أو يكشفهم أو يرد كيدهم فى نحورهم ، ثم يمضى لا يلوى على شىء الا طريقه البناء ، ولا يضمر سوءا مهما « تشنج » الخصــوم أو ناوروا أو « قاطعوا » أو « شنعوا » أو « كلضموا » ! هكذا كانت فروســية ابراهيم نوار وايجــابياته ـ بحق لا بانتقاء كلمات رثاء تقليدية ـ وهكذا فارقنا لنفتقد تلك الفروسية ..

وعجيب حقا وملفت للنظر عام ١٩٧٣ بما حشده ـ منذ بدايته ـ من « فراق » متعدد متلاحق مأساوى ، حتى ليمكن وصف هذه السنة بانها « سنة المفارقين » .

والحديث هنا هو على مستوى « الجمهــــورية » و « دار التحــرير » ..

فى شهر يناير ٧٣ ـ وحده ـ فقدت دار التحرير بمنشآتها الشـقيقة « دار الجمهورية للصحافة » و «شركة الاعلانات الشرقية» و « شركة الاعلانات المصرية » و « شركة التوزيع المتحدة » عددا مهولا عزيزا من الراحلين ، بعضهم انتقل الى الرفيق الاعلى والبعض الآخر انتقل الى العمل الصحفى ـ بالاعارة ـ خارج مصر .. فى ليبيا والكويت والسعودية وغيرها .

ثم قائمة اخرى « فارقتنا » فى شهر فبراير ، وقائمة ثالثة فى شهر مارس ..

ولست انسى يوم دهم المرض والشلل اخانا العزيز المرحوم « عميد الامام » وهو يمارس عمله داخل الدار فى اخريات شهر

فبراير ٧٣ .ولا غاب عن مخيلتى « الكرسى » الذى حملوه فوقه الى العربة لتنقله للمستشفى بينما يحيط به من جانب « ابراهيم نوار » مصدوما متأثرا ، وأحيط به من جانب آخر ..

وتوالت الشهور وتكاثر المفارقون وحرمت الدار من كفاءات عاملة مجدة بحكم « الموت » وبحكم « الظروف » ..

واضيفت الى هذا وذاك « ظاهرة » ملحة هى ظاهرة طلبات الاجازات للعمل بالخارج . ولست اكتم « حيرتى » تجاهها ، ولست انكر أيضا ترددى فى اتخاذ قرار قاطع بشأنها ، بينما تتنازعنى مصلحتان قد تبدوان متناقضتين : هما مصلحة الدار التى ترغب فى الاحتفاظ بأبنائها الذين ربتهم وعلمتهم وينبغى أن تفيد منهم ، والمصلحة المباشرة « المادية » - ربما - للذين يودون الحصول على فرصة اعارة بالخارج سنة أو سنتين أو اكثر .

وهى - من ناحية .. وبصورة أو بأخرى - نفس « المشكلة » التى تكابدها الدولة هذه السنوات ، والتى تعرف بمشكلة « طلبات الهجرة » ..

ولينضم الى « موكب الامثلة والاستشهادات » ما أرذده كثيرا من أن « الجمهورية » بايجابياتها وسلبياتها وظروفها هى صورة من الدولة ومن الثورة .

كم جلسنا معا - ابراهيم وشخصى - نستعرض هذه « الخلوات » و « الخسائر » ونحاول - بجهد متواضع مضاعف .. علم الله - أن نسد « الثغرات » . افكار تروح وتجىء وتتلاقى وتعدل وتمارس على حساب كثير من وقتنا وطاقتنا الذهنية والعصبية .

كم « تحسرنا » على ما فاتنا وما فقدناه ، بل على ما « يلوح » اننا قد نفقده . وكنت ابادر بالقول اننا قد « نسبق » ؟ ولم اكن

أذى – ويااللوعة الحقيقة والكلمات – انه سوف « يسبق » بالفعل ..

وفى بداية شهر يوليو ٧٣ تدارست مع ابراهيم ما نواجه به « حقنا » بل « واجبنا » فى استرواح أجازة بعد سنة « كئيبة » « كبيسة » . قلت له – وكنا فى السابع من يوليو – تستطيع يا ابراهيم ان تقوم باجازة طويلة نسبيا – ربما لاول مرة فى حياتك الصحفية – ابتداء من هذا الاسبوع . ومضيت اقول : كل ما ارجوه ان تكون « هنا » فى السادس عشر من اغسطس اذ انني « مقيد » بموعد فى الاسكندرية للقيام باجازتى لمدة أسبوعين ابتداء من صباح السابع عشر من اغسطس ..

على ان المرض لم يمهله ليبدأ اجازته المقترحة ، ففى الحادى عشر من يوليو خر « مصدعا » عليلا ، وظل ينتقل من الم الى آخر ومن صداع الى حرارة الى نزيف ، ومن المنزل الى المستشفى حتى قضى .. رحمة الله عليه .

ومن « المفارقات » – فى عام المفارقين .. وكان ابراهيم هو اقسى فراق – أن يكون اليوم الذى ناشدته ان يكون « هنا » فيه وهو يوم ١٦ اغسطس ، هو بالتحديد اليوم الذى لم يعد فيه هنا على الاطلاق منتقلا الى رحاب الله فى اكرم جوار ...

فى الصيف الماضى .. فى ٥ سبتمبر ٧٢ هزنى رحيل زميل العمر المرحوم « طلعت شعت » وتساءلت : كيف تبدو ، كيف تحلو الاسكندرية بغير وجوده وصحبته ؟ وقد كان يمثل لى وجه الاسكندرية الحبيب ..

وفى صيف ٧٣ اقف خاشعا مهموما اتساءل : اين راح هذا الذى كنت اراه واحادثه وأداعبه واشكو اليه همومى وافكر معه واعمل معه فى اليوم الواحد ساعات طويلة بالنهار والليل ؟ كنا نرى من بعضنا البعض ونتجاذب الحديث والافكار اكثر مما نفعل مع أهلنا

واولادنا . حتى أيام « الراحات الاسبوعية » كنا نقضيها معـا فى « الجمهورية » من موقع المسئولية ومن خالص ضمائرنا .

اهكذا يرحل عنى الاعزاء الاحبـــاء فى هذه السن الحرجة القاصمة للرجال وهى فى نفس الوقت سن النضوج المكتمل .. سن الامل المرجو .. سن ما بين الـ ٥٠ والـ ٥٥ ، ولا اغالى اذا قلت انها ما زالت « اوج الشباب » .. أو « اوج الرجولة » .

فى سن ٥٢ قضى اخى الفقيد الأعز الدكتور حلمى بهجت بدوى .

فى سن ٥٣ رحـل عنى اسـتاذى ورائدى الذى علمنى من « الهدى النبوى » ما لا انساه له ابدا .. الشيخ اسماعيل السيد اسماعيل .

فى سن ٥٣ قضى قائد ثورة ٢٣ يوليو الزعيم المناضل جمال عبد الناصر .

فى سن ٥١ ودعنا الزميل الكريم طلعت شمت

وعشرات من الامثلة النيـرة العزيزة للرواد والاصـدقاء والمشتغلين بالفكر على الاخص .

ويجىء دور « ابراهيم نوار » ليفارق بعـد ثلاثة اشهر ــ أو اقل ــ من احتفالنا ببلوغه سن الثالثة والخمسين .

ولم يغير من قضاء الله وقدره المقدور علاج الاطباء ولا اخطاؤهم ولا استقام او استمر شعاع الامل الذى تذرعت به وامسكت فى اصرار حتى وهو يعانى اشد سكرات الموت فى « غرفة الانعاش » بالمعادى . ذلك ان الموت حق وكتاب مؤجل لا يتقدم ساعة ولا يتأخر .. وهو يعرف طريقه تماما ، بينما الامل الذى تعلقت به هو بقية من تمسك بالحياة وبالاعزاء ، وهى بقية لا تعرف طريقها .. انما هى تتخبط فى غياهب المجهول ، فاذا كان فى الاجل بقيـة صحت وازدهت باحساساتها واذا حم القضـاء ، فالبقية فى حياتك ..

البقية فى حياتك ؟ الا ما ابشعها كلمة « جارحة » ..
وخير منها واصدق ان يقال : البقاء لله ..

وأجدنى مرة أخرى ـ كما بدات ـ والقلم يتعثر فى يدى ويطيع ويعصى ، وكانما اريد ان اخاطب « ابراهيم نوار » صاحب « كلمة حق » بما خاطب به « شوقى » ورثى « حافظ ابراهيم » اذ قال :

قد كنت أوثر أن تقول رثائى
يامنصف الموتى من الاحياء
لكن سبقت ، وكل طول سلامة
قدر ، وكل منية بقضاء
الحق نادى فاستجبت ، ولم تزل
« بالحق » تحفل عند كل نداء

وما احسبنى التقيت بابراهيم نوار قبل سبتمبر ١٩٥٩ : عندما انتقل الى مقر دار التحرير وجريدة الجمهورية لاول مرة ؟ غير ان اربعة عشر عاما عمر كاف ـ وباسلوب العمل المتصل ـ ليشعرنا كأننا نشأنا معا وتربينا معا . وهى ـ على اى حال ـ صميم زهرة العمر ..

ولا اظننا اختلفنا معا ابدا بمعنى « الخلاف » ، لا لكونه فقط انسانا مهذبا مجاملا بطبعه ولا لكونى بادلته نفس المشاعر ، ولكن لاننا انتهجنا اسلوبا « رائقا » « وراقيا » للتعامل ، او وضعنا ـ دون ان ندرى أو نتعمد ـ قواعد غير مكتوبة لزمالة العمل قائمة على الفهم وعلى الاحترام المتبادل وعلى التكامل ..

وربما لم يدخل احدنا بيت الآخر الا فى مناسبة مرض أو عزاء ، ولكن هذا من ناحية « لون » وارد من الزمالة والصداقة ، ومن ناحية أخرى لم تكن بحاجة للتزاور بينما يرى احدنا الآخر كثيرا بل اكثر من الكثير داخل نطاق العمل كما قدمت .

ولقد انقطعت « سلسلة العمل » بيننا مرتين . الاولى عندما انتقلت الى دار الهلال فى بداية سنة ٦٤ ثم عدت للجمهورية فى منتصف سنة ٦٥ ، والثانية عندما انتقلت الى دار الهلال مرة اخرى فى نهاية سنة ٦٦ الى ان عدت الى « الجمهورية » هذه المرة بعد ١٥ مايو سنة ١٩٧١ .

وفى مرتى البعاد عن « الجمهورية » كان يكفينى منه مكالمة تليفونية للتحية او السؤال لارد عليها — كعادتى .. ولا حيلة لى فى مشاعرى الخالصة — باكثر من مكالمة او اكثر من سؤال . فلقد اكون « متقد العاطفة » اكثر مما يجب ، او « حساسا » لمعانى المودة و « الكلمة الحلوة » لدرجة زائدة ، ومن هنا «تعبى» مع عدد ممن احبهم واف لهم .

واشهد أن « ابراهيم نوار » لم تكن تفوته — على قسوة العمل ومشغولياته — لا الصلة المتصلة الوفية ولا الكلمة الطيبة ، فضلا عن كونه — كما شهد له كل من ابنوه بكلمات — لم يسىء الى اى انسان عامدا ابدا ..

على أن السنتين الاخيرتين كانتا افضل واكمل واقرب واجمل سنوات صلاتنا ..

وكانما لاشعر بالفجيعة اكثر واكثف حينما « يقطع بى » كما فعل .. رحمه الله رحمة واسعة .

وان مصابنا فيه لفادح ، وان خسارتنا لا تعوض ، فانا لله وانا اليه راجعون ..

وبعد ..

فماذا قلت ؟ وماذا اقول يا « ابراهيم » ؟

لعل « اصدق » ما « اهديه » اليك معبرا عن مشاعرى .. اغنية !

نعم .. اغنية من اعذب واشجى اغانى « عبدالوهاب » الذى احببناه معا . اغنية « ملتاعة » « ملوعة » تشد السمع دائما وتسترعى انتباه « الطبيعة المصرية » الحزينة . اغنية اشبه « ببكائية » .

اغنية « حنانك بيا ياربى »

لأقول مثلما قال فى ختامها :

« قلبى ملاه الشجن »

« والدنيا قضيت عليا »

واهدى اليك ــ معها ــ اشواقى ..

٧٣/٨/٢٣

الكلية الحربية «موديل ٤١»!

فتح الطبيب حقيبته الرشيقة ، واخرج محتوياتها فى حركات اكثر رشاقة .. حصيلة خبرة وممارسة ٢٠ سنة و٧٠ الف مريض على الاقل ! وانتثرت الاجهزة امامى : سماعة وجهاز ضغط و « شواكيش » مطاطيــة الخ ! وبدأ يفحص وقد اكتسى وجهــه بشبح ابتسامة وشبح « تكشيرة » ملتزما صمت « ابو الهــول » الا أن يقول بين الحين والحين : خذ نفسا ، او قل «آه» وكأنما كنت محتاجا الى « اوامر » حتى اقولها ! و « قاس » الضغط وسمع القلب و « تحسس » الكبد و « دق » الرجلين بشاكوشه ، ثم توقف اخيرا بعد قرابة ثلث الساعة ورمقنى بنظرة « فاحصة » وكأنما لم يكفه كل ما اجراه من فحص ! وجاء دورى لاسأله عما اعانى وأتعرف سر « التنميل » هنا وهناك فقال ــ لا فض فوه ــ كلمة واحدة هى « اكتئاب » ! وابتسمت وقلت للطبيب الصديق : يا راجل حرام عليك ! اننى اضحك واسخر واداعب حتى من خلال العمل خمسين دقيقة فى الساعة الواحدة ! وعاد صاحبنا لاسلوب الكلمة الواحدة قائلا : ولو ! قلت : والعلاج ؟ فاخرج دفتر « الروشتات »وخط بضع كلمات ادهشنى انها لم تكن « بالفرمة » الانجليزية الطبية المعتيدة ، وانما بخط عربى مبين ! وأمسكت بالروشتة فاذا به قد دون العبارة التالية : تسافر الى الخارج لمدة اسبوعين او ثلاثة ! اذن « فالمسألة » ليست ، قبل الاكل ولا بعده »

حبوبا أو « برشاما » ولا هى « وصفة بلدى » بل هى على الاصح « وصــفة افــرنجى » ! قلت للطبيب الظريف صــاحب البال « الرايق » الخالى : أسافر للعــلاج ؟ قال : لا .. تسـافر كعلاج !

ولست أدرى ما الذى جعلنى « أسرح » فجـــأة فى ايــام « الكلية الحربية » ؟ ربما لان الطبيب الصديق يعمل كضابط « عقيد » دكتور فى القوات المسلحة . ربما لأن موعد الزيارة وقد كان صاحبنا يزورنى زيارة اخوة « عادية » فى يوم الفاتح من سبتمبر ، وهــذا التــاريخ يوافق مــرور ٣١ سنة على تخــرج « دفعتى » فى الكلية الحربية سـنة ١٩٤٢ . ربما لاننى سمعت هــذه الــكلمة « اكتئاب » لاول مرة فى حيــاتى فى « القســم الاعدادى » بالكلية الحربية سنة ٤١ وكانت هذه الكلمة فى ذلك الحين نادرة التداول بل شديدة الغرابة على السمع !

على اننى فى ذلك الزمن البعيد كنت « امثــل » الاكتئاب عامدا متعمــدا واود ان اظفر به كتشخيص أو ان « أوهــم » الطبيب « النوبتجى » به أو بأى مرض آخــر عسى ان « احجز » فى « الشفخانة » أو المستشفى هروبا من موقف بدا لى « ثقيلا » و « عــزت » على نفسى ان أواجهــه ! ونجحت فى « التمثيــل » و « الهروب » !

ولهذا الموقف حكاية لا بأس من روايتهــا ومن الاسترسال فى غيرها من ذكريات « طريفــة » عن الــكلية الحربية مما يناسب « التصنيف » أو « التخريف » !

لم تكن وجبات الطعام الثلاث لطلبة الكلية الحربية — فى الاربعينات — كافية فيما عدا « طبق العدس » الذى نفطر به ثم يعقبه فى الغداء « عينات » لا تسمن ولا تغنى من جوع عبارة عن « حفنة » خضار « مجهول النسب والطعم » وقطعــة لحم

« ارق من دين اليهودى » ثم حبات من الارز نستطيع بمنتهى السهولة ان نحصى عددها فى لحظات ! واخيرا « يوسفندىايه » كبيض الحمام غالبا ما تكون « مضروبة » ضربا مبرحا ، وفى العشاء مثل هذا او اقل قليلا ! وبطبيعة الحال ومع الجهد المضلى و « الجرى » الذى « علمونا » ان « نتحرك » به فى الكلية الحربية (!) ومع دروس متعددة الانواع والاشكال عسكرية ومدنية تصل الى ثمانية عشر علما بالتمام والكمال ، ومع سن النمو والنهم الذى هو فى المتوسط سن السابعة عشرة لم يكن مثل هذا الطعام « الحرمانى » كافيا بأى حال من الاحوال . وامعانا فى الحرمان وفى « العقوبة » لم تكن الكلية الحربية تعرف أو تعترف « بالكانتين » حيث يمكن للطالب أن يشترى منه « اى شىء » يسد به فراغ بطنه حتى ولو كان « العيش الحاف » !

اذن ما العمل ؟

لم يكن امامنا سبيل الا «تهريب» ما يسمى «الاكل الملكى» ! ولا تحسن الظن فى مدلول الاكل الملكى ، فهو لم يعد أن يكون علبة «حلاوة طحينية» أو نصف كيلو « تمر » أو فولا سودانيا ، واذا اردنا « المنجهة » فربع كيلو فستق ، وقد كان كيلو الفستق فى ذلك الزمان ـ الغابر ـ فى حدود ثلاثين قرشا !

وكان « التهريب » يجرى بعد العودة من اجازة « الخميس والجمعة » وداخل حقيبة الكتب التى نعود بها . نهايته ! فى احدى اجازات الخميس والجمعة عدت بالحقيبة قبيل الساعة الثامنة مساء الجمعة ـ وهو آخر موعد محدد للرجوع ـ وهى تطوى قليلا من الكتب التى لم تفتح ، وكثيرا من الطعام « المتواضع » الذى لا يفتح النفس بقدر ما يسدها ! وفوجئت بأن الضابط النوبتجى قد أخذته نوبة من النشاط الزائد واعلن

حالة الطوارىء والتفتيش الدقيق لكل حقيبة لدرجة « تفسيخها » وكأننا نهرب « مخدرات » ! والحق والشهادة لله ان الضابط المذكور - ودون تجن - كان مشهورا بأنه Exentric أي «شاذ» او متطرف حاد الطبع .

واسقط فى يدى وقد لاحظت « كثافة الطوابير » المعطلة فى الدخول من باب الكلية الحربية خضوعا « لمحاكم التفتيش » !

واشفقت على نفسى ان اضبط « وأروح فى الرجلين » ، كما اشفقت على الطعام ان يتبدد ويذهب سدى ولا يعبر حواجز الكلية الحربية والضابط النوبتجى . ومضيت اتجول من وراء سور الكلية الحربية حتى وقع نظرى على طالب زميل انفقت معه على ان القى اليه من فوق السور بالحقيبة ليسلمها لى سليمة مليئة فى « العنبر » وله « الحلاوة » !

وبالفعل رميت بالحقيبة ، ثم توجهت الى باب الكلية الحربية وبراءة الاطفال فى عينى ! لم تكن معى حقيبة ولا كتب وكأننى بالغ الثقة فى استيعاب الدروس او حفظها عن ظهر قلب . ولم يتعرض لى لا « جاويش » ولا « امباشى » بتفتيش بل اعتبرت من بين الطلبة « المثاليين » !

وانتظرت الطالب الزميل ان يأتينى « بالامانة » ، ولكن مر نصف ساعة على وصولى الى العنبر ولا كأن اتفاقا ابرم ولا حقيبة القيت ! وفجأة سمعت اسمى ينادى فى الميكروفون لاقابل الضابط النوبتجى ، فتطيرت شرا ، لان احدا من الطلبة لم يكن يستدعى لتوجه له كلمة تحية أو تشجيع ، بل تقريع وما وراء التقريع ! وكانت الملابسات - والاستدعاء - ادهى وامر . فالذى حدث - كما علمت - ان صاحبنا الطالب «الخائب» «الخائن» توهم ان احدا يتعقبه ، فرمى بالحقيبة أمام حجرة الضابط النوبتجى ! ووقعت فى يده واكتشف اسم صاحبها وتابط شرا « وزمجر » فى الميكرفون يدعونى « لشرف » مقابلته ، ثم ليقول ما فيه

« القسمة » من كلمات التبكيت و « القذف » فى حق « المفجوع » « المهرب » الذى هو العبد الفقير ! وحرر الضابط « الهمام » أمامي وضدى مذكرة الى قائد الكلية لم يضبط فيها غضبه وانما ارفقها « بالمضبوطات » !

و « عرضت » على مكتب « كبير المعلمين » يوم الاربعاء ، وعبثا حاولت ان ابرر تصرفى « المراهق » « الجائع » ووقعت على العقوبة بـ « ثلاثة أيام حجز قشلاق » ، وكان هذا يعنى فى نظام الكلية الحربية أن ارتدى الملابس «السفرى» واظل أعبر فناء الكلية — شمال يمين — فى فترة راحة بعد الغداء على « قرع الطبلة أمام الشامتين والرائين » ، بينما كانت كرامتى و « عزة نفسى » فوق كل اعتبار وحتى ميزان الكلية الحربية نفسها ! وهكذا « تمارضت » وهربت من العقوبة والشماتة !

ويشاء « السميع العليم » الا يمر اسبوع الا ويصبح الضابط المذكور سخرية الطلبة .. « ويستاهل » لانه كان « مؤهلا » لذلك بتركيبة مخه وتصرفاته ..

فقد كنا — طلبة السرية الثالثة — فى « حصة البيادة » الصباحية تحت اشراف ونداءات الضابط المذكور بأرض ملعب الكرة المجاور لمبنى الكلية الحربية القديم بكوبرى القبة ..

واثناء « الخطوة تنظيم » التى كان « يتلذذ » بتدريبنا عليها — وما كان أكثر خطوات التنظيم فى الجيش .. بلا «تنظيم» ! — اقبل من اقصى الملعب اللواء مصطفى صادق « باشا » قائد الكلية الحربية ، فلم يعجبه « الحال » كالعادة ! وباعلى صوته نادى على « صاحبنا » الضابط محتجا : ايه ده ؟ ايه « البعككة » دى يا حضرة الضابط ؟ اجرى .. ! — وفهم الضابط « النابغة البيادى » انه المقصود بتسليمات « الجرى » ولم « يكذب خبرا » .. بل على الفور بدأ « ينفذ » !

على انه قبل التنفيذ ولزيادة « التحبيك » ولاحكام الموقف « الميلودرامى » و « الميلوهزلى » على السواء نادى علينا ـ بسلامته ـ : سرية « صفا » ! سرية « استرح » ! ثم امسك بالمؤشر فى وضع أفقى « حسب الاصول » « وهات يا جرى » بالخطوة السريعة المثيرة للاشفاق وللضحك معا ! وضجت « السرية » « بالقهقهة » وهى تسمع صوت قائد الكلية « الملعلع » يأتى من بعيد قائلا : يا حضرة الضابط مش انت ! انت مالك ؟ انت غلبان ! اللى يجرى الشياطين دول !

وعاد الضابط ـ بالخطوة السريعة ايضا ـ يتصبب عرقا وحرجا وخزيا ليعيدنا من وضع « استرح » ومن استلقاء بعضنا على ظهره وعلى راحته ضحكا وشماتة لنجرى حول أرض الملعب سبع مرات وكاننا « نطوف » ونؤدى « مناسك » الكلية الحربية !

وفى الحق انه لم يكن « يعزينا » ويطوع لنا « تحمل » ارهاقات الكلية الحربية غير جو السخرية الذى « تشعه » من الخارج امثال هذه المفارقات ، او « تعليقات التريقة » التى كنا ـ او كان بعضنا ـ يشعها من الداخل !

وكان « الصف ضباط » أى طلبة القسم النهائى الذين يشرفون على الطلبة « المستجدين » والاحدث « يسوقون » فيها « بسخف » أحيانا و « بظرف » أحيانا وبالجمع بينهما فى أحايين اخرى .

اذكر أن طالبا « جاويشا » فى احدى الليالى وفى عنبر النوم جمع بعضا من طلبة الفصيلة ليستعرض « عضلاته » ويلقى ما يسمى « داخلية » وهى عبارة عن نقد وتقريع وتجاوز بكلمات محفوظة ومتوارثة « ورزلة » !

ووقف « الجاويش » الطالب يرفع « عقيرته » منددا « بالبوظان » ثم اردف قائلا : انتم « شوية عيال » !

وعن له ان يمتحن « شجاعتنا » فسألنا باللهجة نفسها الحادة المستفزة : اللى فاكر نفسه « راجل » ياخد خطوة الى الامام !

و « حسبتها » المجموعة .. هل « الحدوته » « تحرز » انها « لعب عيال » وغرور جاويش مراهق « بتعاجب » بسلطته و « شرايطه » ؟ !

وكانت الاغلبية فى صف مبدأ اعتبار « ودن من طين وودن من عجين » ولم تحرك ساكنا .. وبحق !

غير انني ـ ومعى ثلاثة آخرون ـ بثورة كرامة كامنة لم ندع المناسبة تمر دون اتخاذ موقف !

واخذنا خطوة للامام نحن الاربعة . وفجأة « ندم » واحد منا على « فعلته » المتسرعة التى قد تعرضه ـ دون داع ـ لما لا يحمد عقباه ، فعاد ادراجه واخذ خطوة الى الوراء !

والتفت الجاويش الينا بعد هذا « الفصل » الطريف قائلا : آدى ثلاثة رجال ونصف فى الفصيلة !

وصارت مثلا وعبرة لعدم التردد ! ولقد كان الطلبة ـ والشهادة لله وبغير تحيز ـ رجالا بمعنى الكلمة ، وكانت غالبيتهم من الاذكياء اللماحين ومن ذوى المبادرات والقدرات على ان الامر لا « يسلم » من حفنة قليلة جدا كانت تعانى من بعض « التخلف الذهنى » !

اذكر اننا فى حصة نظرية لعلم « التكتيك » كنا نجلس فى « الفصل » وكان مدرس التكتيك يشرح خطة هجوم فصيلة

على « العدو » بينما هي تحتل « تبة » اى ربوة عالية . ووصل الى مرحلة تحديد قائد الفصيلة لمكان وجود العدو فقال : « الافق امامنا مستدير . ولتحديد مكان العدو بالضبط نستعين بأسلوب عقارب « الساعة » بمعنى ان قائد الفصيلة يحدد مركز العدو بقوله يمين الساعة ثلاثة أو يمين الساعة خمسة أو شمال الساعة تسعة او شمال الساعة عشرة » وظل يوضح ويوضح ، ثم يطرح السؤال التقليدى : هل هناك احد يريد الاستفسار عن شيء ؟!

ورفع طالب من « التعبانين » يده بحماس زائد قائلا : هو معقول يا افندم فيه ساعة كبيرة جدا مثل هذه ؟ !

وسخر « الاستاذ » منه سخرية خفيفة ، وعاد مرة اخرى يشرح ويوضح و « يجود » ، ثم سأله : « مفهوم » ؟ وعاد الطالب « المتعب » يتساءل : هو يعنى يا حضرة اليوزباشى معقول كل عسكرى يكون معه ساعة ؟!

واسقط فى يد « اليوزباشى » وزمجر وثار : يا « ... » يا « ... » اطلع بره !

وصارت « مثلا » هى الاخرى .

وبما عرضت اكثر ما عرضت الى بعض من الجوانب شبه « الفكاهية » فى تلك الذكريات « الحربية » ، ولكنى مرة اخرى وبايمان واخلاص أشهد ان هذه « الدفعة » وما قبلها وما بعدها كانت من خيرة شباب مصر وطنية وذكاء واقتدارا وشجاعة .

واعلم ان دفعتى الآن ، او البقية الباقية منها ، تحتل مراكز قيادية فى القوات المسلحة ، وانه قد سقط منها شهداء ابطال وان آخرين تحولوا الى اعمال مدنية اكدوا فيها كفاءاتهم وارتفاع مستواهم وامانتهم .

غير ان هذه الدفعة ـ وما حولها ـ وقد عاصرت ثلاث معارك في مواجهة اسرائيل ـ عدونا الالد ـ ولم تساعدها الظروف لتحقيق امانيها واماني هذا البلد الاعز في النصر النهائي ، مازال يراودني الامل ـ بل الثقة ـ في ان هؤلاء واخوانهم من الضباط والجنود بالقوات المسلحة سوف يثأرون لانفسهم ـ وقبل بلوغ سن التقاعد ـ وينتقمون لعزة وطنهم ولكرامة الجيش المصري « المظلوم » الذي لم يمكن قط ـ للاسف وسوء الحظ ولعوامل اخرى ـ من اثبات قدرته التي لا تقهر « والبذرة » المصرية الاصيلة النبيلة الشجاعة في اعماقه ، وانهم ـ مع الشعب المصري العظيم حقا ـ سوف يحققون الحق والعدل ويستعيدون الارض ويحررون وينتصرون .

ولتنتهي المرارة والتمزق ..

وتعود الابتسامات الحقيقية الى الشفاه ..

٧٣/٩/٨

فى الطريق إلى أمريكا

قالت له زوجته ـ غير معابثة ولكن عابسة بين الحزن والاشفاق ـ وهو يحزم حقائبه : حذار من السفر الى هذه المنطقة الخطرة المعادية فى الشرق الاوسط ! انهم اما ان يضربوك واما ان يخطفوك او يقتلوك !

غير ان رجل الاعمال الامريكى لم يصغ الى تحذير زوجته ؛ لا لأنه « رجل أعمال » فحسب ولا لأنه « مخاطر » بطبيعته ، ولكن لان شيئاً فى أعماقه كان يحدثه أن « التوفيق » حليفه الدائم وانه اشبه بما اصطلح على تسميتهم « بالمحجبين » !

أى أنه لم يعترض على احتمالات الضرب والخطف والقتل ، وانما اعتمد على حظه السعيد !

ومضى صاحبنا يروى لى « حكاية » رحلتــــه الى الشرق الاوسط والمنطقة العربية (وان ادخل ايران ـ خطأ ـ فى عداد الدول العربية !) قائلا : لم الق الا كل ترحيب ، وجدت اناسا طيبين بشوشين مضيافين ، فى الفندق ، فى المكاتب ، فى الشارع فى كل مكان .

وكان الحديث يدور بيننا بعيدا بعيدا بآلاف الاقدام فوق السحاب ، وداخل صالة الطعام « الاسطورية » بالدور الثانى

للطائرة الجامبو العملاقة المتجهة من لندن الى مدينة « سياتل » فى ولاية واشنطون بغرب امريكا التى صنعت فيها تلك الطائرة ، بل التى قامت شهرتها وثراؤها اساسا على انتاج مصانع « بوينج » للطائرات ومركبات الفضاء !

ولم اكن فى الواقـــع ابغى التطرق فى احاديثنا الى أعمــاق المجالات السياسية ، وانما ـ اذا اقتضى الامر ـ أمر بهــا مر السحاب ، فقد كنت ـ بعد ـ فى بداية الرحلة ومتعبا وحذرا بادىء ذى بدء ! كان يكفى أن نعرض للمسائل العامة والخاصة والرحلات ومناحى الجمــال والتجارب هنــا وهنــاك ، فلا المجال يسمح ولا الطعـــام !

وحتى عندما اخذ الدكتور كينيث وولف مــدير مشروعات التكرير والكيماويات فى شركة بكتيل بسان فرنسسكو ـ وهذا هو اسم وعمل رفيق اللقــاء الجوى العفوى ـ يحدثنى عن الـكرم والسماحة العربية ـ غير المتوقعة ـ فاننى لم أعلق بأكثر من قولى اننا بشر نحمل فطرة البشر السليمة أن لم نكن من خيارهم انسانيا وحبا للعدل والسلام ، واننا نفرق ـ عادة ـ بين الشعوب ـ أيا كانت هذه الشعوب ـ وبين مواقف بعض حكوماتها وساستها .. ولم أدخل فى التفاصيل !

على أن الرجل ساقنى سوقا ـ دون أن يريد أو أريد ـ الى أدق تفاصيل « القضية » ـ ولا قضية لدينا ابدى من قضية العرب واسرائيل وأمريكا ـ اذ راح يهاجم ـ أو ربما « يسفه » ـ اتجاه العرب الى استخدام « سلاح البترول » فى المعركة !

ووجدتنى أفتح ملف القضية من أوله الى آخره . لم اكن احادث نيكسون أو كيسنجر ولا أى مستوى عال فى السياســة الأمريكية ـ ولا أريد ولا أتمكن .. وقد لا يفيد ـ ولكن لا احسب أن الموقف كان سيختلف كثيرا .. أو أن المنطق والعبارات كانت

ستلبس ثوبا آخر .. المهم أن تعبر وترضى ضميرك ـ والضمير العالمى فيما تتصور ـ ـ وتقول كلمتك حتى ولو لم تلق أذنـا مصغية ..

واشهد إن الرجل استمع لى واحتملنى ، وبدا لى « معقولا » ومستعدا للاقتناع .

ولم نتناول الطعام بقدر ما تناولنا هذه المسائل « الحساسة » وامتد الطعام والكلام أكثر من ساعتين ونصف الساعة .. لم ينته الا الاعلان عن بدء العرض السينمائى داخل الطائرة !

● قال لى : ما هذا الجنون « الليبى » وغير الليبى بالاتجاه نحو تأميم شركات البترول الاجنبية ؟ انه « تخريب » واهدار لأعمال تكنولوجية طويلة مجهدة ! ثم ان تهديد العرب بمنع تدفق البترول وحرمان الغرب من شرايين الحياة وخلق أزمة طاقة لايعدو أن يكون عملا وحشيا غير انسانى !

● قلت : هذه بداية طيبة ، فالحديث عن معنى الانسانية والوحشية شهى يلذ لنا ـ نحن العرب ـ بل ربما هو ما بقى لنا !

ماذا تريدون منا وقد ضيق الخناق علينا وحرمنا من ابسط الحقوق .. وأعنى بها الحرية المشروعة فى الحياة وفى الأرض التى هى أرضنا اذ رأيناها يعتدى عليها وتحتل ويسلب حقنا .. سواء نتيجة خطئنا وضعفنا أو نتيجة غدر وتآمر وشراسة قوات غازية معتدية ؟

هل تعلم ـ مثلا ـ موقف حكومتك منا ، عبر هذه السنوات الكالحة التى زادت عن ست ، والتى تعاتبنا اليوم على «تهديداتنا» غير الانسانية تجاهها ، وكأنما حرام على من هم تحت ضغط قبضات العتاة المتسلطين فى صلف اجرامى أن يقاوموا أو حتى أن يحاولوا « الخربشة » ؟!

● قال : أعلم أن السوفييت يمدونكم بالاسلحة ويبذلون جهدهم نحو « بلشفة » المنطقة !

وضحكت ضحكة تكفى مراراتها لتحويل المحيط الاطلسي الذى كنا نطير فوقه الى بحيرة مرة شديدة المرارة !

اذن فها هو ذا أمامى ـ مجسدا ـ « مفهوم » الامريكيين التقليدى الذى يخدعهم به تجار السياسة « والشطارة » والارهاب في بلادهم

ياسيدى .. ماذا كنت تنتظر من « صديق » ملتزم بالشهامة وبردود فعل « خيبة الامل » ـ ولا أقول المسئولية ـ ان يتصرف وقد راى قواتنا ـ فى غمضة عين وفى ضربة سوء حظ أو سوء تصرف ـ تفقد غالبية اسلحتها فى معركة غير متكافئة لاسباب شتى ، بينما اسرائيل ـ عدونا البادىء بالعدوان دائما ـ احتفظت باسلحتها واضافت اليها ما فقدناه ؟ هل يتركنا فى العراء تحرقنا « قوانين الغاب » التى عفت عليها تجربة « ونضوج » النصف الثانى من القرن العشرين وميثاق أممه المتحدة ؟

نعم أعادت « روسيا الشيوعية » ـ مشكورة أخلص الشكر ـ تسليحنا بالقدر الذى يسمح لنا ـ مؤقتا ـ بالوقوف على أقدامنا والدفاع عما بقى من أرضنا . فلماذا تغضب أمريكا ، بل ماذا فعلت امريكا ؟ انها « حمت » المعتدى وأيدته ومدته بمزيد من الاسلحة الهجومية التى تضرب فى الاعماق حتى تقهر ارادتنا .. وهو الشيء الذى لم يحدث ولن يحدث ابدا .

● قال : ولكنكم ترفضون « وجود » اسرائيل ذاتها !

● قلت : ما علينا من نشأة اسرائيل التى قامت على اغتصاب أرض فلسطين قوة وارهابا وظلما وعدوانا ومكرا وتواطؤا مع أعداء العرب التقليديين وفى مقدمتهم ـ للاسف ـ الولايات المتحدة

الأمريكية التي ثبت انها لا تعرف مصالحها . انني لا اناقش هنا « مزاعم » اسرائيل وحقوقها التاريخية « المدعاة » في أرض فلسطين والتي يستطيع « أصغر » قارىء أو فاهم للتاريخ أن يفندها ويكشف زيفها الذي لا يقوم الا على الاطماع والقهر غير المشروع والطرد الماساوى لأصحاب أرض فلسطين الشرعيين . هذه قصة اخرى وربما نتحمل ـ نحن العرب ـ الوزر الأكبر فى تمكينها من فلسطين. ولا تحاسبنى على « أباء » ضميرى الانسانى ـ لا العربى فحسب ـ لجريمة قيام اسرائيل بالصورة التي قامت عليها سنة ٤٧ و ٤٨ فهذه مشاعر « باطنية » لا املك ردها عن نفسى حتى أموت ! وأظن أن « المشاعر » هى ابسط حقوق البشر الذاتية .. ولكن حاسبنا على موقفنا « الرسمى » و « العملى » !

ماذا حدث فى ٥ يونيو ٦٧ أو فى حرب الأيام الستة ؟ ان اسرائيل احتلت بالقوة أراضى لثلاث دول عربية مستقلة هى مصر (سيناء) وسوريا (الجولان) والأردن (الضفة الغربية) .

و « هاج » العالم حتى هؤلاء المتعاطفون مع اسرائيل فيما عدا أمريكا التي دعمتها سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

وأية جريمة ينبغى الا تمر بغير حساب وعقاب ، ولكن اسرائيل لم تحاسب ولم تعاقب .. وبسبب أمريكا وحدها !

وميثاق الامم المتحدة ينص على ادانة العدوان وعلى منع احتلال أراضى الغير بالقوة ، ولكن اسرائيل « استمرأت » العدوان والاحتلال ومضت « تهز » قدميها فى مياه قناة السويس بالضفة الشرقية وتنصب وتضرب مدافعها ، ومن ورائها أمريكا سعيدة راضية « متشفية » تحول دون صدور قرار بادانة هذا العدوان الرهيب !

غير ان « الضمير العالمى » تجمع واتفق وتنبه وأصدر مجلس الأمن قراره المشهور رقم ٢٤٢ فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، ولم

لتجاسر – حتى أمريكا – على مخالفته فصدر بالاجماع . وهو قرار ملزم ينبغى تنفيذه والا تحولت الامم المتحدة الى مهزلة والى مهرجان بلاغة لفظية سخيفة او الى « عصبة أمم » اخرى يمكن أن تشتعل تحت ظلالها نيران حرب عالمية ثالثة ، أم انه لا « حساب » للامم « الصغيرة » فى عداد الامم المتحدة ؟

هل قرأت هذا القرار .. هل تذكره ؟

انه – ببساطة – ينص على أربعة أمور رئيسية .

● الاول : حرية الملاحة فى الممرات المائية .. اى أنه يمكن لاسرائيل أن تمر سفنها فى خليج العقبة وهو بداية المشكلة المصطنعة .. وقبلنا ذلك ، وان تمر حتى فى قناة السويس (ورغم كل ما يمثله هذا من جرح وطنى .. فقد قبلناه أيضا) .

● الثانى : الاعتراف بحدود آمنة لاسرائيل .. اى – مع التجاوز وبوضع النقط على الحروف – الاعتراف باسرائيل ذاتها وهو « اكثر » مما كانت تحلم به اسرائيل ، وعلى « قسوة » ذلك الاعتراف فقد قبلناه أيضا وسلمنا به وكان ثمنا « فادحا » لهزيمة ظالمة وغير متوقعة لقواتنا فى معركة ٥ يونيو .

● الثالث : انسحاب اسرائيل من الاراضى التى احتلتها بالقوة فى عدوان ٥ يونيو . ولا اقل من ذلك .

● الرابع : ضمان واحترام حقوق شعب فلسطين .

وافقنا على هذه القرارات واجراءاتها التنفيذية وعلى مهمة يارنج فى اعمالها . وادعت اسرائيل الموافقة عليها أيضا .

ولكنها لم تفعل شيئا الا كل المعوقات المستفزة لتنفيذ هذا القرار الذى جاوز تمنياتها وان لم يجاوز أطماعها . وعملت على افشال مهمة يارنج . وقامت أمريكا – وللاسف مرة أخرى – بالنصيب الأوفر فى تعطيل تنفيذ القرار الذى وافقت عليه مع

المجمعين . بل راح كل من جونسون ونيكسون والبنتاجون والكونجرس يزايدون ويزيدون فى تسليح اسرائيل بالفانتوم والصواريخ وكل ما يمكنها من الارض ويحاول ان « يدمر » ما بقى من ارضنا ومصانعنا ومدارسنا . اكثر من هذا أن امريكا كررت محاولاتها « الضغط » على السوفييت حتى لا يمضوا فى استكمال تسليحنا بالأسلحة الهجومية التى تطوع تحرير ارضنا بالقوة ما دامت اسرائيل ترفض الانسحاب بالقرارات ورغم كل « تنازلاتنا » فى ظروف لا نحسد عليها !

اما حكاية « بلشفة » المنطقة فهى « لعبة » امريكية « مكشوفة » ما كان يجب أن « تنطلى » على احد ، ومن الواضح الآن - وبعد سياسة الوفاق - أنها « اسطورة » قصد بها كسب وتخويف الراى العام الأمريكى وتعطيل مسيرتنا كأمة نامية !

ماذا بقى لنا اذن ؟

ان نحاول المزيد من ايضاح عدالة قضيتنا امام الراى العام العالمى ؟ واعتقد اننا فعلنا ذلك بتوفيق بالغ ، واننا قطعنا شوطا دبلوماسيا واضحا وناجحا فى هذا الميدان ، وان الرئيس انور السادات بمبادراته واتصالاته ومؤتمراته ومثاله قد اكد هذا الخط السلامى العادل ببراعة ملحوظة محاولا ان يضع الدول الكبرى بالأخص امام مسئولياتها .

ان نحارب معركتنا ؟ وهذا حق قد لا يكون هناك مفر منه ان آجلا او عاجلا ونحن نضحى فى سبيله - وصدقنى - بالكثير من متطلباتنا الحيوية .

ولكن قبل هذه المعركة الحاسمة وتضحياتها الدامية اليس من « العدالة » ان نستخدم - عمليا - آخر ما فى جعبتنا من محاولات الضغط « السلامية » واسميها سلامية رغم انك تصفها بانعدام الانسانية .. واعنى سلاح البترول والطاقة ؟

ماذا نفعل لو كنت مكاننا ؟! كيف نحرك الدول الغـربية وامريكا بالذات لتفيق الى مصالحها « الحقيقية » وتضغط على اسرائيل وترجع عن غيها واحتلالها غير المشروع وليحل السـلام القائم على العدل ؟

● وصمت « رجل البترول » صمتا طويلا قبل أن يقول : ولكن لابد ان تكون هناك طرق اخرى غير هذا الطريق « العدوانى » ؟

● قلت : لا تنس اننـا نحن المعتـدى علينـا أولا واخيرا وبمساندة امريكا شخصيا ! ومع ذلك فانني « أتطوع » لأعرض الى طريقة « سقيمة » غير مقبولة تلوح بهـا أمريكا منـذ بداية ٧٣ ، واقصد : المفاوضات المباشرة بين مصر والدول العربية من جانب واسرائيل من جانب آخر !

المفاوضات المباشرة ؟ ما قيمة المفاوضات المباشرة التى تلـح عليها أمريكا ويؤسفنى أن أقول انه الحاح سوء النية ؟؟

أو ليس قرار مجلس الأمن المذكور آنفا كافيا بذاته دون حاجة الى مفاوضات مباشرة ؟ ان تلك حقيقة لا تحتاج الى « متضلعين » فى الشئون الدبلوماسية اذا كان حسن النية موفورا والرغبـة قائمة لحل القضية المتعسفة الواضحة المعلقة !

وكما ننهى احاديثنا ـ عادة ـ بعبارة « وربنا يصلح الأحوال » فقد قالها صاحبنا بطريقته ـ مقتنعا بوجهة نظرى أو غير راغب فى التسليم « المتعجل » بها ...

على أن « ازمة الطاقة » كانت اضخم مما اتصور

صحيح أن نيكسون عقد مؤتمرا صحفيا طارئا بشأنها ، وهدد وحذر ووعد بالبدائل وبمشروعات طويلة الأمد الخ ، ولكن ما شهدته بعينى هناك فى آمريكا وما سمعته باذنى « بلور » الفـزع

الحقيقى الذى مثله مجرد « التلويح » باستخدام العرب البترول فى المعركة !

ولم أكن قد طرت الى امريكا منذ سنين طويلة لدى زيارتى الاولى فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٥٣ عندما شهدت اجتماع « الدورة الثامنة » للجمعية العامة للامم المتحدة فى نيويورك وأمضيت فيها قرابة شهرين مع مطلع الشباب الباكر !

ويشاء القدر - وغرائب المصادفات - أن تمر عشرون سنة بالتمام و « بالضبط » حتى أهبط الى الارض الأمريكية مرة أخرى ، فقد وافق وصولى اليها فى زيارتى القصيرة الاخيرة يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩٧٣ !

ولست أدرى هل « اتفاءل » برقم ١٣ ، وهل فى أمريكا ما يدعو الى « التفاؤل » ؟!

على أى حال ، لقد « تفاءلت » بدعوة تلقيتها فجاة من وزير الطيران المدنى لهذا المشوار الطويل السريع وللاحتفال بتسلم الطائرة الثامنة من طائرات بيونج ٧٠٧ التى تنضم الى الاسطول الجوى المصرى ، « ولاقطع » مع هذه المسافة البعيدة « رتابة » الحياة اليومية ومعاناتها وتشابهها ، ولأشهد - من جديد - ما جرى « للدنيا الجديدة » !

والحق ان مدينة « سياتل » بوداعتها واختلافها الكبير مع صورة الحياة فى « نيويورك » - والفارق بين غرب أمريكا حيث قضيت أسبوعا هذه المرة وبين شرقها حيث أمضيت عدة أسابيع فى المرة السابقة فارق كبير ومعروف ومتواتر لدى الامريكيين أنفسهم - اقول ان سياتل قد « حسنت » فكرتى - ولو ظاهريا - عن أمريكا ولم تكن هى « الوجه القبيح » !

وأنت تشعر - على الفور - أنهم « ينعمون » بحياتهم وبما أمدتهم به الحضارة والتقدم والرفاهية والتكنولوجيا الحديثة .

وان كان غنياً عن البيان انهــم لا يهمهم من أين جــاءت هذه « النعمة » أو كيف جاءت ، وبطبيعة الحال ـ وللاسف أيضــا ـ هم لا يشعرون أو ربما لا يريدون أن يشعروا بما وراء البحار . وبأزماتنا وبمشكلات الدول النامية التى «امتصوا» ثرواتها طويلا !

والظاهرة الملحوظة ـ والغريبة ـ أن ثمة « حيــاة عائليـــة » بين ظهرانيهم تلمسها بالاستقصاء والتعرف . واقول انها ظاهرة غريبة لأن الحياة العائلية فى بلدان وولايات عديده بامريكا تكاد تتوارى متفسخة !

على أننى لافطن الى مزالق الوقوع فى خطأ التعميمات ، وهو من الاخطاء المشهورة !

من الناس من يلتقى ـ مثلا ـ بأحد المتسولين أو باثنين او أكثر « فيحكم » أن هذا الشعب أو ذاك هو مجمـــوعة من المتسولين ! أو يرى تصرفا أو أكثر من المناظر « المبتذلة » فيعتبره شعبا عديم الأخلاق متحلل السلوك !

والعكس صحيح ايضا ..

ولعل « نظرتى » الى سياتل وأهلها أن تكون صائبة وليست متفائلة أكثر مما يجب أو مسطحة ، وأن كانت فى النهاية لن تقدم ولن تؤخر ، الا أنه يسعدنا حقيقة أن ينعم الاخــرون ويسعدوا وليت سعادتهم لا تكون على حسابنا .

و « سياتل » تعتبر كما تقول الاحصاءات واحدة من «أغنى» خمس عشرة مدينة بالولايات المتحدة الامريكية ، وهذه « مكانة » ممتازة ومتقدمة بغير شك .

وفوق شوارعها وطرقها « الباهرة » بنظافتها واتســـاعها وصلابتها الأسمنتية وطوابقها الخمسة فى بعض التقاطعات تمر

اربعمائة الف سيارة مملوكة لسكانها الذين يبلغون ثمانمائة الف » ، أى أن المتوسط هو سيارة لكل شخصين ، وهو « المعدل » الاقرب لنسبة تملك السيارات فى أمريكا

ماذا يعنى هذا ؟

لست اناقش هنا دلالته على الرخاء بطبيعة الحال ، ولكنى أسلط الأضواء والتقط صورة الامريكى العادى وهو يحس أن حياته اليومية مهددة فى الصميم بالنقصان والحرمان من وقود السيارة والصناعات وكل صغيرة وكبيرة من ضرورات الحضارة بل شرايين الحياة اذا ما بلغ التصميم العربى مداه فى أشعار الغرب وأمريكا بجريمة ترك اسرائيل على ما هى عليه من عربدة فى المنطقة وصلف وكأنها اقوى واهم من العالم مجتمعا ..

ولقد يقال انهم لن يشعروا بأثر ذلك على الفور ولكنهم بطبيعتهم قوم حاسبون حسابات الغد .

ومن هنا فقد « لفتتنى » فى كل مكان « التحذيرات » من الاسراف فى استخدام الوقود والطاقة حتى لتكاد تخلق حالة من « الذعر » .

فى قنوات التليفزيون كلما وأينما فتحتها طالعتك التنبيهات والنصح والتوجيهات والندوات عن أسلوب الاقتصاد فى الطاقة .

فى الاذاعة . فى لافتات الطريق . فى الفنادق . فى المجتمعات ، فى كل مكان .

ابتداء من « لا تترك النور مضاء بغير داع » الى « لا تقم برحلات لمسافات طويلة فى سيارتك » الخ !

هل يعلم الامريكيون أن « نيكسون » ومن يسيرونه هم وراء احتمالات أزمة الطاقة التى قد يواجهونها جامحة فى القريب ؟ بل

هل يدركون أن « الكراهية » الشديدة التى تنفرد بصـــدراتها « أمريكا » بين شعوب العالم هى بسبب الرئيس نيكسون «وطاقم» الحكم من تجار السياسة والسيطرةوالحروب سواء بين الجمهوريين أم بين الديموقراطيين ؟

على أي حال ، فلا أعتقد ان رئيسا فى تاريخ الولايات المتحدة الامريكية فقد احترام الشـــعب الامريكى مثـل الرئيس نيكسون .. لا بسبب فضيحة ووترجيت وحدها بل لقائمة طويلة عريضـــة من الأسباب ..

هل يمكن ان يتغير ويتطهر .. وهو غارق حتى الاذقان فى « سيئاته » وخضوعه المهين لرغبات اسرائيل مثلا ؟ من الصعب .. وقد فات الأوان

هل ممكن ان يفهم الشعب الأمريكى قضايانا ويؤثر فيهـا ايجابيا لصالح السلام العالمى والعدالة ؟ أخشى انها مسالة صعبة هى الاخرى .. وان لم يكن قد فات الاوان !

٧٣/١٠/٤

وجاء ٦ أكتوبر

نصر من الله وفتح قريب

ياقواتنا المسلحة الباسلة ..

يا امل مصر المجيدة العظيمة ..

يا قلعة العروبة الاصيلة الصامدة ..

انكم - يا أبطالنا الاعزاء - فى مواقعكم الامامية وفى خط القتال مستعدون متشوقون للثار ولرد اعتبار هزيمة ٥ يونيو ٦٧ التى ظلمتكم والتى نريد ان نمحو ظلمتها من تاريخنا لتهدأ وتهنأ أرواحنا وأرواح شهدائنا .

سنوات طويلة وانتم ترابطون وتصابرون وتناضلون وتتطلعون الى أرضكم المغتصبة المحتلة حتى تحرروها وتؤكلوا لنا العزة والكرامة .

ولقد حان اليوم ، وانه ليوم جليل الشان بعيد الاثر ..

حان الموعد .. ووعد الله عز وجل بالتاييد والنصر ..

واننا لنعلم انها لمعركة شرسة غير هينة ..

ولكن ايماننا بالله العزيز الكريم ايمان مطلق ، وثقتنا فى

بسالتكم وتصميمكم ونبيل تضحياتكم غير محدودة لتنتهى آخر الأمر بالنصر المصرى العربى الذى هو حق كما انه واجب .

قلوبنا معكم وارواحنا وتضحياتنا ودعواتنا .

فانكم ابناؤنا واخواننا . انتم نحن ، ونحن انتم . أنتم مصر الخالدة .

واننا لنتفاءل اذ يقودكم ويقودنا الرئيس انور السادات زعيما ومقاتلا ومحررا .

لقد بذل كل ما فى طاقته كى يحقق السلام القائم على العدل ؛ ولكن اسرائيل ابت واستعلت ووجدت فى مساندة أمريكا ما يطوع لها مزيداً من الصلف ومن التسليح والارهاب .

ولم يبق الا القتال . هم ارادوه . ونحن نعلم ان ما اخذ بالقوة لن يسترد بغير القوة ، واننا نحارب معركتنا للحرية والحق والعدل والسلام .. والنصر .

وجاءت « البشائر » التى دمعت لها عيوننا املا وانتفاضا وتطلعا الى المزيد « الاكيد » باذن الله : رفعت اعلام مصر فوق سيناء .. فوق ارضنا السليبة التى نحلم بها بحق .

ولكنها معركة طويلة ضارية ، ونحن لها قائدا وجيشا وشعبا ؛ ونحن الذين سوف نرفع اعلام النصر فى خاتمة المطاف .

وانت ايتها القوات السورية المسلحة الباسلة .

انت يا شعب سوريا الشقيق .

لطالما جمعتنا المحن والانتصارات .

نحن اليوم — ومرة اخرى — فى جبهة واحدة ، ولسوف يقضى الله هذه المرة — بحكمته وعدالته — ان يجمعنا انتصار واحد وحاسم

على قوى البغى والعدوان .. على اسرائيل التى تخال أن لها ان تفعل ما تشاء غير عابئة باستنكار الرأى العام العالمى .

وأن شعوب العالم قد أدانت بمختلف مؤتمراتها وقراراتها ومشاعرها اسرائيل المعتدية ، وأيدت الشعوب العربية المعتدى عليها ، ولكنها — فى النهاية — وقفت تنتظر ماذا سوف نفعل لتحرير أرضنا فانها مسئوليتنا بالدرجة الاولى .

وبالقوات المسلحة المصرية والسورية ، وبالشعب المصرى والسورى ، بل بالشعوب العربية جميعا — التى تتجمع فى الملمات — نتحمل هذه المسئولية ونرتفع الى مستواها وننتزع حقوقنا .

والله المستعان ..

ونصر من الله وفتح قريب .

٧٢/١٠/٧

صـــورة مصـــر

لم تبرح صورته الخاطر ، ولن تزال يجيش بها الوجـدان ابدا : وهو يحول نظرته التى كانت لا تتحول عنها ـ كحلم يقظة وامل صابر ـ الى عبور حقيقى يقظ لا خيال فيه وان فاق الخيال !

وهو يتدفق عبر المانع المائى الذى لم يعجزنا ـ اخـيرا ـ فاقمنا به ومن خلاله المعجزات !

وهو يحرر الضفة الشرقية وسينـاء ، ويهـاجم بمدرعاته وبسلاحه الابيض وبصدره النابض المستعذب الاستشهاد وبعقـله المفكر ، معاقل الاعداء وخط بارليف الاسطورة التى خدرت الاعداء ولم تخدرنا ، فيدك الدشم و « التكنولوجيا » الاسرائيلية بعلمه وبايمانه وجسارته ، ويسحق جنود اسرائيل وجيشـها « الذى لا يقهر » ولا يترك لهم خيارا الا لواحدة من ثلاث : اما ان يصرعوا واما ان ينسحبوا واما ان يستسلموا . ولقد فعلوا الثلاث متكاملة ، وبالمئات !

وهو يطوق القنطرة شرق ويحاصرها ، ثم يندفع اليها يقاتل من شارع الى شارع حتى يرفع من بقى فيها من جنود العدو علم الخضوع ونكسوا العلم الاسرائيلى ـ وهما سواء بمشيئة الله ـ وعادت القنطرة شرق لسيناء مصر ومصر سيناء !

وهو يتقدم ويتقدم فى معارك ضارية لا تهمد على طول خط المواجهة بطاقة عزم واصرار ومصرية لا تنفد .

وهو يوجه صواريخه فيسقط طائرات نجمة داود بالعشرات .

وهو يقود طائرته ويغير على مواقع العدو فيصيب فى الصميم ، ويلتقى بالمقاتلات الاسرائيلية فيسقطها وتهوى هى الاخرى بالعشرات لاعنة من قادوها ومن صنعوها !

وهو يمخر البحار بأساطيله « فيسحل » المجرمين على سواحلنا ويتصدى للقطع البحرية الاسرائيلية فيغرقها كما اغرق من قبل « عروستهم » النجسة « ايلات » ! .

وهو يجلس فى مقار القيادات يخطط ويرسم « ويتكتك » لمعركتنا ولنجاحها الموفق .

وهو « يمون » ويعمل فى « الشئون الادارية » وفى المستشفيات وفى كل موقع اختير له وكان الرجل المناسب فى المكان المناسب !

ولكن هل يأذن لى وهو ملء الخاطر والقلب والفكر والقلم ... وهو صورة مصر ، ان اتناول صورة اخرى لا استطيع ان ارد تدافعها الى رؤيتى ؟ انها صورة المصرى فى الخارج وما كان عليه يوم ٥ يونيو ٦٧ وما تلاه من أيام كالحة لن تعود باذن الله ابدا ؟ وصورته منذ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وما صاحبه واعقبه من عزة وكرامة ورفع رأس .

كل شىء قد تغير واختلف . اخذ وضعه الطبيعى الكريم المجيد .. ولا أزيد !

بل ان صورة « الاجنبى » قد اختلفت تماما فى نظرته الينا مهما كانت آراؤه وتعليقاته ...

ومثل آخر من موقع يكن لنا من السخائم والعداء والتآمر حقدا اسود ... فى « البيت الابيض » ! قد اكدت هذه المعركة للمرة الألف وبصورة حاسمة ان « أمريكا هى اسرائيل ، واسرائيل هى امريكا » ! الم تر كيف ان الشغل الشاغل للحكومة الأمريكية الآن هو معركة التحرير المصرية لمجرد أننا نجلى العدو المحتل

من اراضينا بعد ان ابى فى عناد واستعلاء وتحد لكل القرارات ولاجماع الامم المتحدة ؟ !

« اللقطة » والمقارنة والمفارقة هى بين موقف تعليمات البيت الابيض مساء ٨ يونيو ٦٧ الى مندوبه فى الأمم المتحدة ، وتعليماته مساء ٨ اكتوبر ١٩٧٣ !

فى الأولى كان يراوغ ويكسب الوقت لتمكين القوات الاسرائيلية القادرة من الحصول على المزيد من الأرض المحتلة بالعدوان ومن الوصول الى الشاطىء الشرقى لقناة السويس ثم قرار بوقف القتال دون أن يصحبه ـ ولاول مرة فى تاريخ مجلس الامن ـ قرار بعودة قوات الجانبين الى المواقع التى كانت عليها قبل العدوان .

وفى الثانية لهفة على التعجيل بوقف اطلاق النار مع امر اكثر قرابة ووقاحة واستفزازا وهو عودة « الاطراف » الى مواقعها التى كانت عليها قبل يوم ٦ اكتوبر ! اى « تكريس » لعدوان ٥ يونيو وكانه ابدى وحرمان لاصحاب الارض والحق من تحرير ارضهم وانتزاع حقوقهم !

على أن الذى صنع صورة المصرى فى الخارج اليوم واعلى هامته هو أنت وهو قائدك الأعلى الرئيس المقاتل أنور السادات .

ولن تضيع هذه الصورة الكريمة بددا ولن تذهب سدى ولن تتراجع برعاية الله .

والذى « لخبط » حسابات امريكا واسرائيل هو انت ..

وانت تدفع العدوان الاسرائيلى الجديد والقديم وتصحح الاوضاع .

وهكذا تقودنا « حركة التصحيح » الى « معركة التصحيح » !

فانت الآن صورة المصرى فى الداخل وفى الخارج ، لانك منا وبنا ولنا وفخرنا ، ولانك صورة مصر وقلبها وعلمها الخفاق الحبيب ، ولانك حقا تسترد الحرية والسلام والحق .

والله يحق الحق بكلماته وينصره .

٧٣/١٠/١١

وأصبح لكل شئ معنى

بينما كنا فى ختام مرحلة حوار « المتغيرات الدولية » نبدأ فيها ونعيد ونزيد ، اذ بمرحلة جديدة اكثر جدا وابعد اهمية وحسما حقيقيا تطلع علينا بعد ظهر يوم ٦ اكتوبر يمكن ان نسمى مرحلة « المتغيرات المصرية او العربية » !

الحوار فيها ليس بالقول ـ فما اكثر ما قلنا وما اطول سنوات القول ـ وانما بالفعل هذه المرة .

« المعركة المصيرية » انتقلت من « شعار » الى « ساحة ميدانية نارية » .

وهكذا قضى الأمر الذى كنا فيه نستفتى ونتساءل و « نتفلسف » احيانا !

وفجأة ودون حاجة الى تلقين او ايضاح ، اصبح لكل شيء معنى .

الأغنية والأناشيد الحماسية أصبح لها مدلولها وفاعليتها وترجمانها الحى الشجاع . كل اغانى القتال والكرامة والذود عن الأرض وعن العرض ابتداء من :

وما نيل المطالب بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وما استعصى على قوم منال
اذا الاقدام كان لهم ركابا

الى اناشيد عبد الوهاب وأم كلثوم وعبد الحليم وشادية وفايدة كامل .. الخ ، خلال السنوات الست الماضية !

ولم يعد احد يأبه لاختفاء برامج رمضان الترفيهية و « فوازير رمضان » فى الاذاعة والتليفزيون . لا احد يريدها او يحتملها . الجميع ينصتون ويتابعون البيانات العسكرية وانباء قتال قواتنا المسلحة الباسلة وتقدمها فى سيناء وفى الجولان . انها « فرض كفاية » وهى فى الوقت ذاته امتع ما نسمع ..

والقرارات الاقتصادية الواجبة هى الأخرى أصبح لها معنى وأصداء رضاء وتقدير ابتداء من تحديد اللحوم والسكر والشاى والبنزين الى قرارات وضرائب « الجهاد » التى اعلنت ليشارك الشعب فى المعركة مع مراعاة عادلة وحكيمة باعفاء ذوى الدخول المحدودة من « بعض ثقل » هذه الضرائب .

والكل يتلقون هذه الاجراءات الاقتصادية بروح عالية مؤمنين انها تعنى – على قلتها – الكثير . تعنى اننا فى مرحلة ضريبة الدم نفسها دفاعا عن الشرف والسيادة وكيان مصر بلدنا الحبيب الأعز .

« والوحدة العربية » تكاتفا وتكاملا اصبح لها معنى الآن فى هذه المرحلة المجيدة .

قوات سوريا مع قوات مصر تحملان عبئا ضخما ومباشرا فى معركة التحرير والمواجهة الشاملة .

العراق يلبى ويبعث بطياريه ومقاتليه ومدرعاته الى الجبهتين .

الجزائر هى الأخرى تتحرك وتشارك .

السودان لا تتوانى ، والسعودية تهب .. وتهدد أمريكا .

ليبيا تتعاون وتسهم بمالها وبترولها .

الكويت تتحول الى خلية وطنية تريد ان تقدم اى شيء ..
وكل شيء .

كل بلد عربى ..

المقاومة الفلسطينية لم يعد الحديث عنها حديث خـــلافات ومحاولة تصفية خلافات ، وعمليات شاردة فى خطف الطائرات ، وانما تضرب فى العمق داخل ارضها المحتلة .. فلســطين التى اغتصبتها اسرائيل .

ثم تنتقل « الحيوية » الى الاردن ، وها هى ذى الانبــاء تسعدنا بأن جيش الاردن قد دخل المعركة ، وأصبح لهذا الجيش العربى معنى .. معنى آخر غير هذا الذى نعجل بطى صفحاته التى كتبت عبر السنوات الثلاث الماضية . لقد نسـيناها فى غمضة عين ، بمجرد أن تيقظت العروبة الحقيقية فى الاعمــاق وشارك الجيش الاردنى الى جوار الجيش السورى فى المعركة .

وأكد الرئيس انــور السادات ان سياسته التى لخصها فى عبارة « الصبر والصمت » كانت تعنى الكثير من الاعداد والتحمل والمعاناة ثم ٦ أكتوبر الذى رد فيه على عدوان اسرائيـل الجديد ردا رادعا ليزيل العدوان الجديد والقديم .

ولعل ابلغ ما أشار به الســــادات الى هذا المعنى هو ما أنهى به آخر خطاب له قبل ٦ اكتوبر والذى القاه فى مساء ٢٨ سبتمبر الماضى عندما قال :

« هناك موضوع ربما تلاحظون اننى لم أتكلم فيه .. وهــو موضوع المعركة . ولقد قصدت ذلك قصداً . لقد شبعنا كلاما . اريد ان اقول شيئا واحدا : نحن نعرف هدفنا ، ونحن مصممون على بلوغه ، وليست هناك جهود لا نبذلها أو تضحيات لا نقدمها لتحقيق هدفنا . لن أعد بشيء . ولن ادخل فى تفاصــيل اى شيء . ولكننى أقول فقط ان تحرير الارض كما قلت لحضراتكم هو المهمة الاولى والرئيسية امامنا . وبعون الله سوف ننجزها

وسوف نحققها وسوف نصل اليها . هذه ارادة شعبنا . وهذه ارادة امتنا بل هى ارادة الله .. الحق .. والعدل .. والسلام »

وفى بداية هذا العام (١٩٧٣) اصدرت ديوانا من الشعر هو فى واقعه ومضمونه شوق الى سيناء والى تحرير الأرض واثر من آثار مرارة ٥ يونيو وامل فى المستقبل القريب .

ولقد كان « اهداء » هذا الديوان يقول :

« الى يوم يحسبه اعداؤنا عصيا بل ومتعذرا مستحيلا ، لانهم يريدونه كذلك . ولكنه ــ يا وطنى الحبيب المعذب المأمول ــ ليس اسطورة مستحيلة .. الا اذا اردناه نحن كذلك . ان هذا اليوم هو منثور فينا مفتت بيننا ، فلو تنبهنا وتماسكنا وتحركنا لتجمع واقبل واسفر .

الى « يوم النصر » الكبير الشامل الذى اتوق الى رؤيته بعينى ، حتى ولو انتزعه من ضمير الغيب ..

وقبل ان تقوم الساعة يا رب .. »

وبدت مقدمات النصر بحمد الله وبمشيئته ، وقبل قيام الساعة ..

واصبح للكلمات معنى . أصبح لكل شيء معنى ..
أصبح للموت معنى ..
وأصبح للحياة معنى ..

٧٣/١٠/١٤

مرحلة تستحق العناء

لشهر اكتوبر تاريخ بيننا وبين اسرائيل ، وان كنت آسفا اشد الاسف أن أشير بكلمة « تاريخ » الى تلك التى عدمت التاريخ ولوثته !

ففى ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٨ وكان يوافق « يوم عرفة » أى وقفة عيد الأضحى المبارك « تجاسرت » اسرائيل — ولأول مرة — فأسفرت عن مكرها وغدرها وأنيابها « السامة » المستوردة من بلاد « العم سام » .. أى من امريكا التى خلقتها وخططت بها سياستها فى المنطقة لتكون ما كانت بالضبط !

فى اليوم المذكور كنا فى مرحلة استجابة « غافلة » لقرارات من الأمم المتحدة بفرض « الهدنة » بين البلاد العربية من جانب وبين اسرائيل « الوليدة » من جانب آخر . ودامت تلك الهدنة حوالى شهرين حتى ذلك الحين . غير أن اسرائيل لم تضعها سدى ، وعرفت « الجسر الجوى » و « الجسر البحرى » بالامدادات و « المتطوعين » على أوسع نطاق . وفجأة « خرقت » اسرائيل الهدنة ، أو بالاحرى كان « أول عدوان » لها على مصر منذ ربع قرن بالتمام وبالكمال وفى « ليلة عيد » عامدة متعمدة ! وانتهى ذلك العدوان الأول بأن فقد الجيش المصرى مواقعه المتقدمة لتحرير فلسطين : فقد « أسدود » و « المجدل » وقصر خطوطه الى قطاع غزة تاركا بعض وحداته الباسلة محاصرة فى

الفالوجا ضاربة مثلا رائعا لمقاومة وصلابة وشجاعة الجندى المصرى .

وكان « اكتوبر الثانى » هو ذلك الشهير الأشهر الذى تآمرت فيه اسرائيل مع حليفتيها - فى ذلك الحين - بريطانيا وفرنسا ، وكان « العدوان الثلاثى » فى ٢٩ من اكتوبر سنة ١٩٥٦ ، والذى بلغت فيه القوات الاسرائيلية الغادرة الخسيسة الى الشاطىء الشرقى لقناة السويس بعد اضطرار القوات المسلحة المصرية الى الانسحاب سريعا - وبحق فى تلك المرة - الى غرب القناة حتى لا تقع فى « المصيدة » بين القوات الاسرائيلية فى الشرق والقوات البريطانية والفرنسية التى انزلت الى بور سعيد غرب القناة . وكان ما كان من « فضيحة » التواطؤ والعدوان الثلاثى و « هزيمته » وانقشاعه ..

وبين « اكتوبر الثانى » و « أكتوبر الثالث » الذى « نعيشه » ونسترد به انفاسنا وحرياتنا وارضنا الآن ، والذى بدأ فى السادس من اكتوبر سنة ١٩٧٣ سبعة عشر عاما حافلة بالبناء من جانبنا والتعويق من جانبهم ، بارساء الاشتراكية فى بلادنا وبالتآمر عليها من جانبهم وجانب حليفتهم الكبرى الامريكية . على ان الضراوة البالغة والأهداف العدوانية التوسعية لاسرائيل بلغت ذروتها فى ٥ يونيو ١٩٦٧ بين « الأكتوبرين » الثانى والثالث .

وكم دفعنا ثمنا غاليا فى خسارة الأرض و « السمعة » عقب هزيمة يونيو ٦٧ .

كم « تمررنا » .. وكم تحملنا .

وكم تعالوا واغتروا وتغطرسوا وامعنوا فى التخريب واستعراض العضلات والعدوان ..

وبعد وقف القتال فى يونيو ٦٧ اطلقوا مدافعهم وصواريخهم على معامل تكرير البترول فى « الزيتية » بالسويس فجعلوها دكا ونيرانا مشتعلة .

وعلى طول خط القناة .. وعلى المدنيين الامنين .. على مساكنهم ومعابدهم .. على نسائهم واطفالهم وشيوخهم فى السويس والاسماعيلية وبور سعيد نشروا الموت والدمار .. وامريكا واقفة تشجع وتضحك وتسخر وتعطل كافة المحاولات والقرارات للوصول الى حل لقضية الشرق الأوسط .

ثم مضوا يضربون فى الاعماق : على مدارس الأطفال فى « بحر البقر » ، على المصانع فى « ابو زعبل » و « حلوان » وفى كل مكان ..

وكأن اسرائيل قوة لا تقهر ولا تحاسب .

ورددنا بحرب الاستنزاف ، ولكنها ـ على قيمتها وصمودها فى ذلك الحين ـ كانت « جهد المقل » واضعف الايمان !

ثم كانت « مبادرة روجرز » أو خدعته ..

وبلغت اسرائيل وامريكا غايتهما . وقف اطلاق النار يعقبه « التجميد » ومحاولة فرض الأمر الواقع والاذلال ..

وكدنا نفقد الرشد والايمان بالانسانية ..

ليس ثمة ـ فى التاريخ ـ قضية « أعدل » من قضيتنا او « أوضح » ..

ولكن لا حراك ولا حياة لمن تنادى ..

صحيح اننا حصلنا على « عطف » العالم ولكن ماذا بعد ؟ وشتان !

وكما قال بحق الرئيس المقاتل انور السادات فى خطابه التاريخى فعلا والعظيم حقيقة : « اقول لكم بصدق وامانة اننى افضل احترام العالم ولو بغير عطف على عطف العالم اذا كان بغير احترام » ..

كنا نعرف ونقول ان ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة ، هكذا علمتنا « تقاليد » البشرية .. ولكن كان لا بد ان نواجه القوة بقوة اكثر استعدادا وتحملا . حتى لو عانينا فى سبيل ذلك اليوم الحاسم المصيرى المنصور ـ بمشيئة الله ـ الكثير من التساؤلات والتشككات « والتريقة » !

وكان اليوم هو معركتنا الحالية التى بدأت فى ٦ اكتوبر « سبت الغفران » العيـد الاسرائيلى الكبير ، وكأنما نثأر من عدوانهم الاول فى عيد الاضحى سنة ١٩٤٨ !

على اننى أريد ان انبه مع كل من يتنبه وينبه الى مسألة هامة هى : ان المعركة طويلة وصعبة وضارية بكل المقاييس ايضا .

اننا نواجه بايماننا وبعدالة قضيتنا وبعزيمتنا وبأسلحتنا وبفكرنا واستراتيجيتنا وتكتيكنا « ترسانة مسلحة » باغية ومتمرسة وخبيثة هى اسرائيل التى تساندها أمريكا .

واذا كنا ـ بفضل الله عز وجل وحمده ـ واثقين من نصره هذه المرة فاننا نعلم انها معركة ليست سهلة . ليست نزهة . اقتحام خط بارليف الاسطورى ـ وكان اقتحامه والاستيلاء عليه آية عظمى من آيات الله ومن بسالة وتوفيق الجندى المصرى ـ لا يعنى ان كل المعارك ستدور على هذا النحو .

ان الرئيس المناضل المقاتل أنور السادات اعلن لسنوات ثلاث قبل بدء المعركة الحقيقية اننا سوف نحرر سيناء شبرا شبرا وبوصة بوصة . وهذا هو ما نفعله اليوم : بكثير من الانتصارات ، ولكن بكثير من التضحيات ايضا .

هذه مسألة لا يجب أن تغيب عن البال وهى بالتالى ينبغى ان تهبنا الصبر والتحمل .. مع الثقة .

لقد أبكانى أنور السادات مرتين :

الأولى فى العاشر من يونيو سنة ١٩٦٧ وهو يعلن ــ كرئيس لمجلس الأمة فى ذلك الحين ــ اننا سنستأنف المسيرة وسنبنى قواتنا المسلحة من جديد وان قيادة جمـال عبد الناصر مستمرة ».
وكنت ــ فى واقع الامر ــ ابكى تأثرا على « حال » بلدى الحبيب .. مصر ...

والثانية فى خطابه البليغ الجليل يوم ١٦ــ١٠ــ١٩٧٣ وكنت أجد فيه نفسى وبلدى من جديد .

وعلى عمق وبلاغة وصدق وتواضع واصالة هذا الخطـاب الذى شد انتباه العالم ، فصدقونى ان ابلغ وارفع ما فيه عبارة علينا ان نتأملها ونعيها فى مرحلتنا الحالية والقادمة وهى قوله :

« هذه ساعات تقرر فيها مصائر وتتحدد فيها علاقات .. سوف تفرض نفسها على المستقبل وهى تؤكد نفســـها فى الحاضر . هذه ســـاعات تقدم فيها ابطال . هذه ساعات سقط بل ارتفع فيها شهداء . هذه ساعات حــافلة بمشاعر متباينة تمتزج فيها صيحة الفرح بمشاعر عميقة اخرى . ذلك اننا كنا ولا زلنا نريد الحق ولا نريد الحرب . لكننا كنا ولا نزال نريد الحق حتى اذا فرضت علينا الحرب . وحين كانت نشـــوة الانتصار تملأ كل القلوب فاننى كنت فيما بينى وبين ربى أعرف مدى العنـــاء الانسانى الذى ندفعه فى ســـبيل النصر » .

مرحلة انسانية صعبة ومصيرية ، ولكنها تستحق العنـاء والنصر .

فاللهم كن لنا عونا وهدى ، وانصرنا واشف صدور قــوم مؤمنين .

٧٣/١٠/١٨

فلنحتفظ بتماسكنا وجباهنا عالية

مع وقف اطلاق النار ، ومع مشاعر « متباينة » حوله ، ومنذ البيان العسكرى الاول فى ٦ اكتوبر الى البيان العسكرى ٦٠ خلال تسعة عشر يوما ، فان ثمة مسألة بالتحديد ظلت أعماقنا تحتفظ لها بالتقدير الكبير لانها تساوى الكثير . انها بسالة قواتنا المسلحة ومعنوياتها العظيمة وقدرتها وعزيمتها التى بلورت تحرك الارادة الشعبية المصرية للقتال والعبور والتحرير .

ولم تشب مشاعرنا أو تحد منها كثيرا بعض تمنيات «سلبية» ربما شاغلتنا .. كأن نقول : لو كنا « تنبهنا » الى كذا أو كيت الخ . كذلك لم نجنح فى المراحل المختلفة الى « غرور » ولا الى « قنوط » . ذلك « انها الحرب » بكل ما فيها من انتصارات وتضحيات .. من تقدم وتأخر فى معركة أو اخرى . انه كفاح طويل من اجل مصر والعروبة بدأ منذ أجيال وسيبقى مستمرا الى اجيال .

المهم فى هذه المرحلة ـ وبحق ـ أن علينا أن نحتفظ بجباهنا عالية .

اننا بالفعل قد جاوزنا مرحلة المهانة والعار التى صنعتها هزيمة ٦٧ الى مرحلة رحيبة مليئة بالكرامة رغم التحديات ورغم كل شىء .

بقيت « ملاحظات » حول ايام اكتوبر ودروسها وددت أن أعرض لها فيما يلى :

(١) اننا خضنا ولن نبرح نخوض معركة تحرير فى سبيل حقنا المشروع واستعادة أرضنا المحتلة التى لا يختلف احد على حقنا وواجبنا نحوها .

(٢) اننا حققنا « معجزة » فريدة شهد لنا بها الجميع فى عبورنا القناة واقتحامنا خط بارليف ، وكان يمكن أن نفقد فيه عشرات الالاف دون أن تتم ، ولكنها تمت وانجزت فى ساعات وبعدد من الشهداء يعد بالعشرات .

(٣) انه فى تحرير ما حررناه من سيناء جرت معارك بمئات الدبابات والطائرات لم يشهد التاريخ مثل ضراوتها وكانت الغلبة لنا .

(٤) ان العدو الاسرائيلى قد تكبد خلال معارك اكتوبر من الخسائر ما يزيد عشرين ضعفا ـ بغير مبالغة ـ عن كل ما خسره فى معاركنا معه سنة ٤٨ وسنة ٥٦ وسنة ٦٧ مجتمعة . وكانت هذه الخسائر الفادحة والجسيمة والرهيبة أشد ما أوجعه ، بل كانت نصرا حقيقيا لنا .

(٥) أن أمريكا ـ ووسط مشاغلها الداخلية العديدة ـ اعتمدت على الفور ٢٢٠٠ مليون دولار لتعويض اسرائيل بجسر جوى متصل ومنذ اليوم الأول بالطائرات والدبابات والاسلحة التعويضية فى مواجهة معركتنا الشريفة .

(٦) ان أمريكا لم تكتف بالدعم العسكرى والمادى والسياسى لاسرائيل فى السنوات السابقة وفى ايام اكتوبر ، وانما تجاوزتها الى خطوة اكثر خطورة ومواجهة للحق العربى المشروع بكونها بعثت بجنود امريكيين محاربين جاهزين ليشاركوا مع اسرائيل فى انتزاع أرضنا التى احتلوها .

(٧) انه قد ثبت ، كما ثبت دائما عبر التاريخ منذ الحروب الصليبية والبعث المصرى أيام محمد على وبدء الاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ ، أن الشرق العربى كلما تجمع وحاول ان يؤكد حقه

فى الحياة « تحالف » ضده الغرب بصورة أو بأخرى . وان كان هذا لن يبعث اليأس الى نفوسنا أبدا .

(٨) ان الاسرائيليين « ملوك الدعاية النفسية » وان نجحوا بعض الشيء فى الأيام الأخيرة من اكتوبر فى محاولة حجب الانجازات العربية العسكرية فانهم لم يستطيعوا ان يفعلوا فى هذا المجال واحدا على مائة مما افلحوا فيه سنة ١٩٦٧ . فقد شهدت صحافة العالم لنا ولشجاعتنا ولقدرتنا رغم كل المعوقات .

(٩) ان اغرب ما سمعناه ـ على غرابة واستفزاز تصريحات القادة الاسرائيليين ـ ما جاء على لسان يوسف تيكواه مندوب اسرائيل فى الأمم المتحدة من اشادة بالحركة « الصهيونية » ومحاولة تصويرها بأنها ـ تلك العدوانية العنصرية ـ « أعدل » حركة فى الوجود على الاطلاق . وظل يلقى الدروس « البدائية المغلوطة » عن عظمتها وكيف انها هى التى كسبت الحرب العالمية الثانية وكيف .. وكيف ..

(١٠) وفى مقابل ذلك فانه قد جاء على لسان وزير النقل الاسرائيلى منذ ايام تصريح ذو دلالة مؤداه أن اشد ما تواجهه اسرائيل فى مستقبلها أمران هما الكثافة العربية والسكانية وتحول الرأى العام العالمى عنها .

وبالفعل فان هذه الكثافة العربية السكانية هى الصخرة التى سوف يتحطم عليها مصير اسرائيل المصطنعة التى لا جذور لها فى المنطقة ولا مستقبل . ولا اريد أن يجمح بى الخيال كثيرا لأقول ان امريكا سوف تتبين آجلا ان مساندتها لاسرائيل أشبه بمساندتها السابقة لفورموزا التى انفقت عليها المليارات من الدولارات عبثا ثم تراجعت عنها أمام المد الشعبى الصينى . وهكذا كان الأمر فى فيتنام .

أما فيما يتعلق بتحول الرأى العام العالمى عن اسرائيل فهذه حقيقة مؤكدة .

ليس فقط فى تأكيد عزل وادانة الدول الاشتراكية لها وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ، ولا فى توالى قطع العلاقات الدبلوماسية بين الدول الافريقية وبين اسرائيل حتى بلغ عدد الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها مع دولة البغى والعدوان فى فترة قصيرة ٢٩ دولة ، ولكن ايضا الرأى العام العالمى كله غربه وشرقه فيما عدا أمريكا .

(١١) ان موقف الدول العربية فى مرحلة حرب اكتوبر كان موقفا عظيما وكريما وموحدا ومنتظرا وتعزيزا لوحدة العمل والهدف والمصير .

(١٢) وأخيرا – وهى قضية هامة لها الأولوية – أن تماسك القوات المسلحة المصرية الباسلة والشعب المصرى المجيد فى هذه المرحلة المصيرية هو الأساس والقاعدة واليقين وضمان النضال والنصر ..

ولم يكن متوقعا الا أن يكون الأمر كذلك ..

وبهذا التماسك والاصرار والكفاح الاصيل نضمن – بمشيئة الله – لا المقاومة فحسب بل مواجهة كافة التحديات وبلوغ أمانينا وحقوقنا المشروعة التى ضحينا ولن نزال نضحى لها .

ونموت .. وتحيا مصر ..

٧٣/١٠/٢٥

ماذا تساوى إسرائيل؟!

ماذا حدث ؟

نيكسون يراس اجتماعات طارئة يقرر بعدها اعلان حالة التأهب فى القواعد الامريكية فى كل انحاء العالم لمواجهة الموقف !

كيسنجر « عبقرى آخر الزمان » يصيح : نحن على حافة الهاوية !

قواعد الصواريخ النووية الامريكية عابرة القارات داخل الولايات المتحدة ، وفى « طواغيتها » بجميع أنحاء العالم تستعد !

ماذا حدث ؟ ما هى الحكاية ؟

هل احتل الاتحاد السوفيتى فجأة ولاية « الينوى » الامريكية مثلا ، أو اى « الف » اخرى من الولايات المتحدة الامريكية ؟!

هل انطلق صاروخ سوفيتى من ذات الرؤوس النووية ــ ولو على سبيل الخطأ ــ ولم ينفجر ، ولكنه مس « حذاء » اى « متسكع » من الرعايا الامريكيين ؟ !

ام ترى هل اعتدى الاتحاد السوفيتى على دولة « حليفة » لامريكا ؟

ان شيئا من هذا كله لم يحدث ..

حسنا ! اذن هل ثمة دولة « عريقة » « رقيقة » و « صديقة » لامريكا تعرضت « لعدوان » سوفييتي بصورة أو بأخرى ؟!

أبدا .. لا عدوان سوفيتيا ولا يحزنون ..

« الحكاية » وما فيها أن « دولة » لم تكن دولة منذ ٢٦ سنة بل كانت مجرد « عصـــابات » ، ثم فى غفلة من الزمن ومن الامم المتحدة اصبحت دولة .. بعد اغتصـــاب أرض وحقوق وأرواح لاصحاب البلد الشرعيين ، ثم مضت تنشر الارهاب « والبلطجة » وتعتدى وتتوسع فى حماية « غفلة » الضمير العالمى حتى كان الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ ، فلم تكتف بمـا اغتصـبته ظلما واجراما برغم تنديد وادانة الامم المتحدة للكثير مما صنعت من قبل ، وانما مضت تشن عدوانا جديدا وخسيسا وواسعا عـلى ثلاث دول عربية ، واستطاعت فى مفاجأة سريعة وغريبة أن تحتل مساحـات واسعة من اراضى الدول العـربية الثلاث المستقلة والمعترف دوليا وشرعيا ومنذ الازل بحدودها وحقوقها .

و « هاج » المجتمع الدولى ـ رغم معارضة وتآمر امريكا ـ وبلغ ذروة غليانه فى ٢٢ من نوفمبر سنة ١٩٦٧ حيث اصــدر مجـلس الامن قراره ٢٤٢ بضرورة تخلى هــذه الدولة المتحـدية العدوانيــة عن الاراضى العــربية التى احتلتها بعــد ٥ يونيو لانه ـ بداهة ونصا فى ميثاق الامم المتحدة ـ لا يمكن لمعتد أن « يفيد » من عدوانه .. هذا على الاقل ، أن لم توقع عليه عقوبات رادعة وواجبة اخرى .

وشاركت امريكا فى القرار المذكور الذى صدر بالاجماع ، وانما مشـــاركة تضمر نوايا من يبغى كسب الوقت للدخـول فى المتاهـات والتعقيد والتجميد والاقتــراب من « فرض » الامر الواقع ! بل توسعت فى تأييد وتغذية العدوان بمزيد من التسليح ومعدات الدمار ومحـاولة كسر ارادة الدول المعتـدى عليها حتى تذعن وتستكين وتيأس !

ومرت السنوات ولا حــل بلّ مراوغات وارهــاب من تذمين الدولة المعتدية والدولة الكبرى التى تساند وتبـارك العـدوان ! « وتجمدت » القضية بالفعل حتى اصبحت كقطعة الثلج المتحجرة التى لا يمكن تحريكها من « الفريزر » .

ثم كان يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ وآن أن ترد مصر وبقوة على هذا العدوان المستمر ..

من الذى يمكن ان ينكر على مصر حقهـا فى تحرير اراضـيها المحتلة بعـد أن اعيتها السـبل السياسـية والسلمية والمباحثات « اليارنجية » وغيرها ، حتى ان دولا كثيرة أوروبية وغير اوروبية ساءلتنا : ماذا تنتظرون لتحرير اراضيكم بالقوة وبالحق ما دام عدوكم على هذاالقدر من الامتناع الصلف ، والتعنت ، والاستهتار بكل القيم والقوانين والشرائع ؟ بل أكاد استطرد الى القول ان « بعض الدوائر » الامريكية نفسها قالت : هذا حقكم فأمضوا فيه اذا شئتم واذا استطعتم فلا خيار !

المهم اننا رددنا على العدوان القديم والجديد والمستمر بعبور قنـاة السويس واقتحـام خط بارليف والتقـدم فى سيناء وبدء استعادة أراضينا ، ثم على سبيل اليقين اكدنا كرامتنـا وعزتنا ، وثارت قواتنا المسلحة الباسلة وشعبنا الاصيل العظيم « للسمعة » الظالمة التى « شوشرت » علينا طويلا .. وشهـد لنـا ولقدرتنـا ولشجاعتنا العالم بحق .

غير أن امريكا ــ وامريكا مرة اخـرى .. ودائمـا حتى الان ــ لم ترض ان يعود الحق والارض لأصحاب الحق والارض فأمدت اعداءنا ــ منذ مساء ٦ اكتوبر ــ بأغزر الاسلحة المختلفة واحدثها حتى تلك التى لم تستخدمها فى حرب فيتنـام ، واعلنت هـذا جهارا ، واضافت انها لن توقف ارســال المزيد من الطائرات

والدبابات والصواريخ الخ بآلاف الملايين من الدولارات ـ مجانا ـ الى ان يكتفى اعداؤنا وهم لا يكتفون ..

لماذا تفعل امريكا ذلك ؟

حتى توقف مصر وسوريا عن تحرير أراضيهما المغتصبة التى رفضت اسرائيل ـ متحدية العالم ـ أن تنسحب منها ؟

بل « ربما » لا مانع ، لدى تلك الدولة الكبرى « المسئولة » للاسف ، الا تنجح مصر فى استعادة شبر واحد من اراضيها ، او « حبذا » ـ ولست ادرى بأى منطق وبأى سياسة وبأى عدالةوبأى مسئولية « محترمة » ـ لو فقدت أرضا جديدة !

ولكن مصر نجحت فى عبور الحاجز المائى العسير ، وفى اقتحام خط بارليف « الاسطورى » ، وفى تحرير ٣٠٠٠ كيلومتر مربع من سينائها ، وعبر معارك صارية أكدت اقتدار وجسارة الجندى المصرى الذى ظلموه فحطم الظلم والمهانة الى الابد ، وخاض بدباباته وبطائراته وبمدافعه وبمشاته وبمختلف اسلحته معارك تاريخية مجيدة كبد فيها أعداءه خسائر جسيمة فادحة بلغت مئات المئات من الدبابات والمدرعات والطائرات والمعدات الحربية التى تباهت بها « المؤسسه العسكرية » التى لا تنال ، والتى ما فتئت نعلن أن الجيش المصرى يستطيع ان ينتصر لمدة نصف ساعة فقط ! وكان أهم واوجع ما فى خسائر الاعداء تلك الخسائر فى الارواح ، والتى تصل الى عشرة آلاف قتيل من جنود الاعداء المعتدين المتعالين (نعم ١٠٫٠٠٠ قتيل وليس ٤٠٠٠ كما « نتواضع » بتقرير ما يرددونه .. اخفاء لاوجاعهم المدلهمة) بخلاف آلاف الجرحى ومئات المئات من الاسرى

وليس ادل على «صحة» ما نعلمه من فداحة الخسائر البشرية الهائلة فى الجيش الاسرائيلى من ذلك « الشرخ » النازف العاتى

الذى « قلب كيان » الوزارة الاسرائيلية ، واشاع الذعر والانقسام بين اعضائها ، حتى طالب بعضهم باستقالة موشيه ديان وزير « الدفاع » الاسرائيلى صاحب الصولات والجولات ..

وبمعاونة الاسلحة الامريكية الجديدة والمتزايدة والمتطورة ، وبطائراتها الاستطلاعية الالكترونية المتلصصة ، وباعداد هائلة من الجنود الامريكيين المحملين جوا مع الجسر الجوى الذى نقل الترسانات الحربية التعويضية الى حد الاكتفاء خلال أيام قليلة منذ السادس من أكتوبر ، استطاع العدو ان يتسلل عبر البحيرات المره فى منطقه الدفرسوار الى مواقع متفرقة غرب القناة .. وتصدت له قواتنا ببسالة وبفدائية منقطعة النظير وحصرته فى تلك « الجيوب » ، مع تحميله خسائر باهظة جديدة ، ومع احتفاظها بما حررته شرقى القناة من أراضينا ، بل اكتسابها مساحات أخرى جديدة .

واجتمع مجلس الامن فى ٢٢ اكتوبر وقرر وقف اطلاق النار مع التنفيذ « الفورى » - وأكرر .. الفورى - لقرار مجلس الامن ٢٤٢ الذى يلزم اسرائيل بالانسحاب من الاراضى التى احتلتها بعد ٥ يونيو ٦٧ ، ومع تعهد أمريكا والاتحاد السوفييتى تعهدا لا نقض فيه ولا ابرام ولا التواء بوجوب هذا الانسحاب وتنفيذ قرار ٢٤٢ ، ومع الاستجابة « لروح » مشروع السلام الذى تقدم به الرئيس انور السادات فى ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ ..

وبادرت اسرائيل بقبول قرار مجلس الامن الجديد ، ولم نمانع فيه ما دام الجانب الآخر ينفذه وينفذ القرار ٢٤٢ أيضا الذى هو جزء لا يتجزأ من القرار الجديد .

غير أن اسرائيل - كالعادة - لم تلتزم ..

وكان لا بد أن نرد على اطلاق النار باطلاق النار .

ولم تصنع أمريكا شيئا ، بل وقفت « تتفرج » .. وربما « تشجع » ، رغم تعهداتها « القاطعة » على « الخط الساخن » مع الاتحاد السوفييتي .

ولان « الدولتين العظميين » تعهدتا ، فكان من المناسب أن يطلب منهما الاشراف على تنفيذ قرار وقف اطلاق النار الذى تنتهكه اسرائيل ، وكذلك على التنفيذ « الفورى » لقرار مجلس الامن ٢٤٢ الذى ردت له الحياة من جديد وبحسم ملتهب وضرورى لحفظ السلام فى المنطقة وفى العالم .

ولنعد ـ بعد هذا الاستطراد ـ الى ما أشرت اليه فى صدر هذا الحديث من ان امريكا تهدد وتتوعد وتعرض السلام العالمى لاوخم العواقب ، بل تلوح باثارة حرب عالمية « ثالثة » « نووية » بسبب تطورات « الموقف » فى الشرق الاوسط !

ما هى الحكاية بالضبط ؟ !

ماذا « تساوى » اسرائيل هذه ؟ !

هل تساوى اسرائيل المعتدية والمدانة من العالم بأسره كل هذه الضجة والتعبئة وتأهب القواعد الامريكية النووية وغير النووية فى جميع انحاء العالم ؟

هل يستأهل العالم الهلاك لتأكيد « وحماية » عدوان الثلاثة ملايين « يهودى » من الغاصبين المعتدين المدانين « الغرباء » فى المد العربى المكثف بأكثر من مائة مليون ؟ !

بل لماذا تتصور أمريكا ان المسألة هى « مواجهة مباشرة » بينها وبين الاتحاد السوفييتى ، ما داما قد اتفقا على وقف القتال فى الشرق الاوسط ، والتزما بتنفيذ هذا الوقف ، وكذلك بانسحاب

اسرائيل من جميع الاراضى التى احتلتها عدوانا على مصر وسوريا والاردن والامم المتحدة جميعا ؟

ولماذا ترفض الولايات المتحدة الامريكية ان « يشرف » الاتحاد السوفييتى وامريكا على وقف اطلاق النار وعلى تنفيذ الانسحاب الكلى والواجب لاسرائيل ؟

هل « تضمر » امريكا نوايا لا أعرف كيف أصفها ؟ !

شيء « محير » و « مستفز » ولا مثيل له فى التاريخ حقيقة ..

ان حرصنا شديد ومخلص ألا نعرض سلام العالم للخطر ، مع ايماننا المشروع والقتالى والايجابى بأن حقنا لا شك حوله فى تحرير اراضينا وفى تحقيق السلام القائم على العدل .

على إنه قد ثبت ــ بالتأكيد وبالقطع ــ أن « ايجابيات » حرب أكتوبر قد حققت ومازالت تحقق الكثير .

● أثبتت للعالم أجمع بسالة وكفاءة ورفعة شرف القوات المسلحة المصرية العربية ، ونضال واصرار شعبنا العظيم ، كما أكدت تماسك وتكامل الشعب والجيش والقيادة .

● محت والى الأبد « مهانة » حرب الايام الستة ، وأعلت كرامتنا .

● حطمت اسطورة الجيش الاسرائيلى الذى لا ينال و « خلخلت » مؤسسة اسرائيل العسكرية وكبدتها خسائر فادحة لم تحدث طوال ٢٥ عاما .

● بددت « وهم » استحالة العبور وتحطيم خط بارليف ، كما حررت شاطئنا الشرقى ومساحات من سيناء .

● « الزمت » أمريكا « باحياء » القرار ٢٤٢ الذى ينص على انسحاب اسرائيل من جميع الاراضى التى احتلتها فى عدوان

يونيو ٦٧ كما ينص على ضمان وتوفير حق الشعب الفلسطينى فى وطنه ، وكانت تصفه فى شهر سبتمبر الماضى بانه « قالب قديم » !

● وحدت الدول العربية فى اهدافها وفى اجراءاتها الايجابية كما لم تتوحد من قبل .

● زادت من عزلة « وفضح » اسرائيل فى افريقيا وفى العالم كله واخيرا ـ وهذه « محصلة » ونتيجة لكل ما تقدم ، ولكنها اضافة حقيقية أيضا من واقع الاحداث ومن مضمون ما طالعناه أمس ونشهده اليوم وغدا ـ أن قضيتنا لم تعد « متجمدة » .

نعم ضحينا وسوف نضحى فى سبيل ذلك ، ولكنه هدف « يستأهل » ، لكونه حياتنا ذاتها وشرفنا ومستقبل امتنا .

قضيتنا اذن أصبحت وستبقى متحركة .. ساخنة .. حامية ، ولانها كذلك ـ ولعدالتها ـ فهى منتصرة بمشيئة الله .

٧٣/١٠/٢٧

أحاديث عن أمريكيين معتدلين

واحد من « أعقل » الساسة الامريكيين ـ ولست أخفى اعجابى الشخصى باتزانه ورجاحة عقله ـ وجد نفسه مع نهاية اكتوبر ٧٣ فى موقف الدفاع عن الفكر الثاقب وعن « الوطنية الامريكية » !

ذلك ان السناتور الديمقراطى « وليم فولبرايت » رئيس لجنة السياسة الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى ـ وهو الذى أعنيه بالحديث ـ « اضطر » ـ دفاعا عن النفس ـ أن يرد على مقال نشرته احدى الصحف زعمت فيه انه كان الشخصية الرئيسية فى المفاوضات التى جرت أخيرا بين امريكا والاتحاد السوفيتى بشأن الشرق الأوسط « باعتباره أكثر صداقة للعرب منه لاسرائيل » !

واجاب فولبرايت بكلام بسيط ومعتدل « ووطنى » نافيا أن ثمة « جريمة » ارتكبها بقوله : « انا لست مواليا للعرب ، ولا ضد اسرائيل ، ولا احب هذا النوع من التصنيف ، فاننى أعمل من اجل الولايات المتحدة الامريكية اولا » . واضاف قائلا : « اننا نحاول تسوية الحرب بالطبع ، واعتقد ان التوصل اليها على أساس الخطوط التى حددها قرار مجلس الامن فى نوفمبر ٦٧ هو الأساس السليم » ..

ومن نفس هذا المنطلق « الوطنى » ـ ولعل هذه هى «خطيئته» المستمرة لدى عملاء اسرائيل والصهيونية ـ كان فولبرايت قد صرح فى ١٦ من اكتوبر ٧٣ تعقيبا على « جنون » الامدادات والتورطات والمشاركات الامريكية مع اسرائيل بقوله : « ان الولايات المتحدة تكرر فى الشرق الأوسط نفس الخطأ الذى وقعت فيه حكومة الرئيس الاسبق ليندون جونسون حين ورطت أمريكا فى فيتنام .. ان مصلحتنا القومية هى فى عدم الذهاب الى الحرب .. ان اسرائيل هى المسئولة عن الموقف الحالى برفضها اى تسوية سلمية طوال السنوات الست الماضية » .

كما انه فى نفس الفترة « انتقد سيطرة اسرائيل على الحياة السياسية فى أمريكا ، وقال انها تتمتع بنفوذ قوى جدا فى الكونجرس حيث تسيطر على ما بقرب من ٨٠ فى المائة من اعضائه » ! ومضى يقول « ان الخلاف الوحيد بين اعضاء الكونجرس ينبغى أن يكون منصبا على تحديد الطريق الاكثر فعالية لتأمين مصالح الولايات المتحدة » .

لهذا اذن هاجمه المأجورون « الخونة » الضالعون مع اسرائيل .. هاجموه ـ وعبر سنوات طويلة ـ لانه يضع « مصالح أمريكا » أولا ، ولا يلقى بالا لسيطرة النفوذ والدعاية الصهيونية فى بلاده . حبا فى بلاده وحرصا عليها لا حبا فى العرب أو كراهية فى اسرائيل ، وكأنما المطلوب العكس ليصبح أمريكيا صميما : ان يحمل « نجمة داود » فوق كتفيه بل أن يجعلها « قبلته » ، وأن « يسب » العرب بالليل والنهار ويضطهدهم وينكر حقوقهم حتى واو فتح « فيتنام جديدة » وساق بلاده الى خراب جديد !

ونماذج اخرى امريكية مماثلة ـ على قلتها وان لم تبلغ وضوح وحرية فكر فولبرايت ـ نجدها متناثرة فيما تنقله لنا الصحف ووكالات الانباء .. مثلا .. السناتور الجمهورى مارك هاتفيلد يعلن فى ٢٧ اكتوبر انه سيسعى فى الكونجرس الامريكى الى

استصدار قانون بمنع استخدام أى قوات امريكية فى الخـارج ويعترض على اعتماد رئيس امريكا لمبلغ ٢٢٠٠ مليـون دولار من المساعدات العسكرية الجديدة لاسرائيل .. وكأنها اغلى « عشيقة » فى التـاريخ !

وآخر ، هو النائب الامريكى « ليو ريان » يعلن ان المساعدات الامريكية لاسرائيل تكلفها التضحية بالوقود اللازم لبيوت الامريكيين ويضيف قوله ـ بشجاعة يحسد عليها ـ « ان امريكا لا تستطيع ان تكون رهينة فى يد اسرائيل » !

وكان « ريان » يدلى بتصريحاته هذه فوق جانب محتـل من هضبة الجولان السورية وامام بعض قادة المؤسسة العسـكرية الاسرائيلية التى بدأت « تتعرى » وتتكشف « مخالبها ودروعها المستوردة » عن « عورات » بدت أكثر ما بدت فى الايام العشرة الاولى للقتال بعد ٦ اكتوبر ، غير ان ضابطا اسرائيليا بادره بقوله « اننا سوف نحتفظ بالاراضى السورية المحتلة » ، فأجابه النائب الامريكى فى غضب « اف لكم ايها الاسرائيليون ! ان حمائمـكم تريد البقاء هنا ، وصقوركم يريدون غزو موسكو » !

ولقد التقيت فى اكتوبر ٧٣ بثلاثة او اكثر من رجال الصـحافة والاعلام الامريكيين الذين هرعوا الى المنطقة والى القاهرة بالذات لتغطية انباء المعارك واحاديث الحرب والسلام ، والذين احتشدوا فى المؤتمر الصحفى العالمى الكبير الذى عقده الرئيس المقـاتل المناضل انور السـادات ، والذى كان حديثه فيه واحـدا من « أبرع » و « أذكى » و « أصدق » ما يمكن أن يخاطب به الرأى العـام العالمى .

وكانت قضـية « ماذا تسـاوى أسرائيل ؟ ! » هى موضـع حوار اثنين « معتدلين » من هؤلاء الصحفيين الامريكيين معى ، حيث أشرت فيها الى الاشـتراك الامريكى مع اسرائيـل فى حرب اكتوبر ، والتصعيد النووى « الغريب » الذى وصلت به امريكا

الى حافة الحرب العالمية الثالثة من اجل سـواد أو « دهاء » عيون اسرائيل !

وكنت أتحدث فى مكتبى مع « بوب اليسون » مندوب اذاعة كولومبيا الامريكية ، وكنت ـ فى اعتزاز عانى من « الكبت » طويلا وان نفس عن نفسه بكتابات مرة واشعار اكثر مرارة طـوال سنوات ست حتى ٦ اكتوبر ـ كنت القى نظرات المحـبة المصرية والكبرياء الوطنى الى زجاجة مرطبات كتب عليها اسمها باللغـة العبرية وامتلأت بحبات رمال غالية من سينائنا العزيزة المحررة ؟ وكانت أكرم هدية تلقيتها من ضابط مقاتل شجاع مثقف صـديق يعمل الآن فى الجبهة والى ما بعد ١٥ كيلو من الشـاطىء الشرقى لقناة السويس .. واحتلت هـذه الرمال ـ الهـدية ـ الغاليـة « الصدارة » فوق مكتبى .

وتناولنا بالحديث « التدخل الامريكى » المباشر فى حـرب اكتوبر ٧٣ .. وقال لى اليسون « دعنى اولا وقبل كل شىء اهنئك كمصرى بهذه الشجاعة والبراعة والروح المعنوية العالية التى يتحلى بها المقاتل المصرى والتى شهدتها شخصيا وفى عمليات حربيـة متصلة منذ ايام على جبهة القتال . اننى ـ كانسان قبل ان أكون امريكيا ـ قد سعدت حقيقة ان التقى بهذا الطراز من الرجـال الاشداء المقتدرين المتلئين صلابة وجسارة » وهذه هى كلماته ـ مترجمة ـ بلا تزيين ولا زيادة ولا نقصان .

ثم مضى اليسـون يعترف : « لقـد ظلمتم امريـكا فى سـنة ٦٧ باتهامها بالاشتراك مع اسرائيل فى حرب يونيو . أما هـذه المرة ـ فى حرب اكتوبر ٧٣ ـ فاننى اقر واعترف ان امريكا قـد اشتركت مع اسرائيل بالفعل سواء بالاسلحة الثقيلة الجـديدة والمطورة والمرسـلة فى لهفة عبر الجسر الجـوى أم بالخـبراء أم بالمتطوعين .. ان امريكا ـ للأسف ـ قد جاوزت المدى » ..

وكان اللقاء الثانى مع «أرنولد بورشجريف» نائب رئيس تحرير مجلة نيوزويك الامريكية ..

ولقد قال كلاما مشابها عن شجاعة المقـاتل المصرى ، كما اضاف ان ثمة فارقا كبيرا بين آخر لقاء جرى بيننا منذ قـرابة السنة وبين هذا اللقاء الجديد ، والذى بلوره ـ كمـا بلورته من قبل ويبلوره كل مصرى وكل عربى ـ فى نقطتين هما : « اننا أكدنا كرامتنا وعزتنا وما نستحقه من سمعة طيبة .. واننا قد حركنا القضية او بالأحرى اصبحت ساخنة حامية ومضمونة » .

على أن السؤال المصرى العربى طرح مرة أخرى امام مواطن وصحفى امريكى كبير : ماذا تساوى اسرائيل هذه ؟ وعلام كل هذه الضجة النووية التى « اصطنعتها » أو « عنتها » امريكا فى الخامس والعشرين من أكتوبر وضد مصالحها فى المنطقة العربية .

وقال بورشجريف : انت تعرف السبب كما اعرفه تماما ! ان السبب يكمن فى هؤلاء الثلاثة أو الاربعة أو الخمســة مليون يهودى الموجودين فى أمريكا (تعدادها الآن حوالى ۲۱۰ ملايين نسمة) بينما لا يوجد مثل هذا العدد من العرب فى امريكا !

واستدرك الزميل الصحفى الامريكى قائلا « علاوة على النفوذ الصهيونى فى المال والاعلام والانتخابات داخل أمريكا » !

وفى الحق انها اجابة « تقليدية » وغير مقنعة .. فالمسألة أعمق من هذا ، وما لم تتغير نظرة امريكا غير الواقعية .. ما لم ينتهج ساستها المنهج المعقول « الفولبرايتى » « الوطنى » فانها سوف تلقى عنتا شديدا واشد مما تتصور وفى كل مـكان لا فى المنطقة العربية وحدها ..

بقيت نقطة اخيرة لعلها كانت « القاسم المشترك الأعظم » فيما أراد هؤلاء الصحفيون استشفافه لدى حوارهم معى ..

ما هو الشعور الحقيقى المصرى ـ شعبيا ورسميا ـ نحو الاتحاد السوفييتى ؟

ولقد أجبت : اننا ـ وبغير استثنـاء ـ نشـعر بمزيد من الصداقة المؤكدة عمليا نحو الاتحاد السوفييتى العظيم ، كما ان أعماقنا تجيش نحوه بامتنان غير محدود لمساندته ومواقفـه الجليلة غير المحدودة والتى ظهرت ـ بالاخلاص والصلابة وحسن التقدير وتحمل جسامة المسئولية كقوة عظمى ـ اكثر ما ظهرت فى حرب اكتوبر دعما لعدالة قضيتنا وحقوقنا بالسلاح والمؤازرة ، بل بالتحذير الحاسم الرائع الذى تصدى به « بريجنيف » لاية مؤامرات أو تلاعب بالتعهد السوفييتى الامريكى لوقف القتـال والتنفيذ الفورى لقرارات مجلس الامن ولانسحاب اسرائيل الى حدود ما قبل ٥ يونيو ٦٧ وكفالة حقوق شعب فلسطين ..

وبالطبع لم يلق ردى هذا ـ والذى يعكس المشاعر الحقيقية والمنتظرة من مصر والعرب ـ « استحسانا كبيرا » لدى رجال الاعلام الامريكيين ..

وقلت : وبودنا ـ والله ـ أن نقـول نفس الشىء عن أمريـكا وسياسة أمريكا .. فنحن من أكثر شعوب العالم حبا للانسانية بغير تفرقة ..

٧٣/١١/٤

من يضغط على من ؟!

الذى جرى ويجرى فى الساحة الدولية ، خلال وعقب حرب اكتوبر ، شيء هائل متدفق متغير . وآن ان يصبح هائلا متدفقا متغيرا ليقطع « رتابة » الموقف والصلف الاسرائيلى ، ولو تقطعت معه انفاس اسرائيل ذاتها التى تحدت العالم منذ ٥ يونيو ٦٧ حتى ٦ اكتوبر ٧٣ !

امراة واحدة بين الخلق جميعا « تحاول » الا تسلم بأن عوامل جديدة وحاسمة قد طرات وغيرت الموقف تماما !

ففى مؤتمرها الصحفى ليلة ٢ نوفمبر ٧٣ — ولعله كان احتفاء بذكرى وعد بلفور المأفون المسئول عن الجرثومة الاولى للكوارث — وقفت جولدا مائير تتحدث ، وكأنها لم تزل فى نفس المؤتمر الذى عقدته لدى زيارتها السابقة لواشنطون بعد اسقاط اسرائيل للطائرة الليبية المدنية فى سيناء ومصرع أكثر من مائة رجل وامراة وطفل أبرياء ، وتؤكد مائير — كما اكدت من قبل شهور وسنين — ان أمريكا لاتمارس على اسرائيل اى ضغط ولن تمارس !

وكأنها تلغى من حساب الزمن المتغيرات الجدية الأخيرة التى حققها المقاتل المصرى والسورى ، والتى لم يملك — آخر الأمر .. وآن الأوان — كل من الرئيسين نيكسون وبريجنيف الا ان يتقدما بمشروعهما — بل بتعهدهما — الى مجلس الامن لوقف

اطلاق النار والتنفيذ الفورى لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ القاضى بالانسحاب الكامل لاسرائيل المعتدية عن كل الأراضى العربية المحتلة بعد جريمة ٥ يونيو ٦٧ وكذلك احترام وضمان حقوق شعب فلسطين ..

أهى حرب نفسية مما برعت فيه اسرائيل للدعاية والبلبلة وتحقيق المكاسب أو على الأقل تقليل الخسائر ؟ !

أهى محاولة « لاستئناف » ما اعتادته اسرائيل من الضغط على أمريكا باسم « حماية » مصالحها فى المنطقة وباستغلال «بريق» النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة الامريكية بين مجالات المال والاعلام والانتخابات الخ ؟ !

من اذن يضغط على من ؟ !

على أن اعادة عقارب الساعة الى الوراء أمر مستحيل !

ان العالم اليوم مصاب بالضغط !

وتقول مائير فى مؤتمرها هذا انها ليست مستعدة للتضحية « بأمن اسرائيل » فى سبيل « سعادة العالم » ظنا منها انها جملة مفيدة او واحدة من « الحبات المهدئة » للضغط الذى ينفجر به العالم !

غير أن العالم غير مستعد لتناول الحبات المهدئة الاسرائيلية المزعومة التى هى فى واقعها « حبات مثيرة » ، كما أن العالم ــ بملايين ملايين من البشر ــ غير مستعد للتضحية بسعادته فى سبيل « أمن اسرائيل » الذى تخاله أو « تريده » لا يتحقق الا بالاحتفاظ بأرض عربية احتلتها بالعدوان وادانتها الامم المتحدة على عدوانها واحتلالها وطالبتها بالانسحاب . وقد وجب على الأمم المتحدة ان تفرض ارادتها المشروعة ــ وقسرا وحقا ــ لتحقيق السلام القائم على العدل .

ضغط ... ضغط ... ضغط عالمى من اجل السلام !

ان القوات المسلحة المصرية والسورية ـ ببسالة مشهودة ـ ضغطت بحرب اكتوبر على اسرائيل حتى تتحرر الارض العربية ، ويتحقق السلام الذى ننشده وينشده العالم .

ان الاتحاد السوفييتى الصديق قد ضغط ـ بحق وبمسئولية جليلة ـ على امريكا من أجل حل قضية الشرق الأوسط الحل العادل المستند الى قرار مجلس الامن ٢٤٢ ـ وعلى الفور ـ ورضيت امريكا أو « رضخت » .. المهم انها تعهدت .

ان الدول العربية ذات الموقف الموحد العظيم ، قد ضغطت بطاقتها البترولية على الدول التى تؤازر أو تهادن اسرائيل المعتدية حتى تضغط بدورها على اسرائيل التى تجلب للعالم ـ على ضآلتها ـ الصداع وضغط الدم !

ان الدول الافريقية ـ تباعا واجماعا ـ قد بادرت الى قطع علاقاتها باسرائيل ضغطا عليها وادانة وعقابا على تعنتها .

وتقف اسرائيل وحدها فى العالم معزولة مدانة ليس لديها الا « شبح أمل » فى أن تمارس الضغط على أمريكا حتى لا تضغط عليها هى الأخرى ولو « ضغطا وديا » كما تقول صحافة اسرائيل ؟ حتى ولو ساقت العالم الى اتون الحرب العالمية الثالثة .

والقول بأن أمريكا « لا تستطيع » ان تضغط على اسرائيل وتلزمها حدها « وحدودها » .. قول « ساذج » وبالأخص فى هذه المرحلة من تطور الموقف فى الشرق الأوسط وفى العالم ..

ان امريكا قادرة على ان تقول ـ فقط تقول ـ لاسرائيل «بخ !» وخاصة مع دقة الموقف الحالى ، فتستكين اسرائيل على الفور ! فهل تفعلها أمريكا أم تمضى فى المناورة ؟ !

لا نحن نرضى بالتجميد وبالمناورات وبالتسويف مرة اخرى ؟ ولا الاتحاد السوفييتى الصديق « صاحب التحذيرات الجادة الحاسمة » يرضى ، ولا العالم كله يرضى وخاصة ان الدول العربية

ماضية فى استخدام سلاح البترول - حقاً وعدالة وضغطا - الى آخر المدى .

لقد تحدث الرئيس أنور السادات الى العالم حديثا بالغ الاتزان والعقل والانسانية . حديث المحب للعدالة . حديث الذى لا يريد اراقة مزيد من الدماء . حديث الذى لا يريد ايذاء اى فرد فى أوروبا الغربية وفى أمريكا سواء فى الطاقة البترولية او فى اية نوايا أخرى . وفى كلمتين : حديث السلام . وأن كان فى نفس الوقت جاء حديثه -كما وصفته واثنت عليه الصحافة العالمية - من مركز القوة والقدرة على استئناف الحرب . بينما راحت مائير تتحدث حديث الحرب - وهى تعلم موقفها تماما - وتحاول أن تضغط على أمريكا وعلى العالم .

وشتان بين الحديثين .. شتان بين السلام والحرب ..

وعلى العالم - وعلى أمريكا بالذات - أن يختار ، ولن يختار العالم الا السلام - بطبيعة الحال - وتحقيق سعادته التى تتلخص فى تنفيذ ارادته وتعهداته وقراراته .

وتعود الأرض لاصحاب الارض .. ولو صرخت اسرائيل - هذا الصراخ الدعائى الكاذب - حتى النهاية !

٧٣/١١/٤

إلى الدكتور هنرى كيسنجر

لست ادرى هل من المناسب ــ والخطاب اليك .. وانت رجل السياسة والحسابات والموازين واعمال الفكر ــ ان افصح بكلماتى عن مشاعر القلب ، أم أن اوجه بها شعاعا من الفكر ؟!

واذا كانت « المشاعر » فى زماننا تبدو ساذجة ، فان « الافكار » قد تلوح اكثر سذاجة ، لان «القوة» ــ فى عالم لم يتحرر بعد مما يشبه شريعة الغاب ــ قد تعصف بالاولى والثانية !

على اننى أتصور ــ وارجو ــ كلماتى الصادرة من القلب مزيجا من المشاعر والافكار والقوة ! ذلك انها « حياة » .. وحياة بعد ٦ اكتوبر ! وليس اصدق ولا افعل من الحياة الخالصة مشاعر وافكارا وقوة !

اننى افتح لك قلبى ، فافتح لى فكرك !

ومن المؤكد أن ثمة أشياء عديدة « تستفزنى » ويغلى بها الصدر ويجمح القلم بينما اكتب اليك ! ولكنى أحاول أن أطرحها جانبا .. أو « أروضها » على الاقل !

ولقد « يتهمنى » البعض أحيانا بأننى « رجل مهذب » أكثر مما يجب ! غير اننى اجد نفسى فى موقف يدعونى أن اكون اكثر تهذيبا اذ أخاطبك وأنت تحل ضيفا على بلادى ..

واذا كانت الابسطة الحمراء قد « فرشت » لك بالفعل فى مطار تل ابيب على سلم الطائرة والى عشرات الامتار لدى وصولك من موسكو فى ٢٢ اكتوبر الماضى ، وقامت المظاهرات تهتف « يعيش اليهودى الالمانى » ، فاننى اعتقد انك اشد « حصافة » من ان تطير لبك او تفتنك مثل هذه المظاهرات والمظاهر التى تحاول التأثير عليك ! وذلك انك « امريكى » ومنذ صباك ، حريص على بلادك التى نمتك ورعتك واحتضنت «مواهبك» فأكبرتك وأتاحت لك من الفرص والرقى والكلمة النافذة ما أوصلك لتصبح الرجل الثانى فى الولايات المتحدة الامريكية ... وربما الاول !

هذه هى « التضاريس البشرية » لنشأة امريكا وطبيعة استمرارها وتجددها واتساعها للمهاجرين الذين يشكلون سكانها وابناءها أجيالا بعد أجيال .. ولكنها « تصهرهم » ـ كما نتصور وكما هو مفروض ـ فى ولاء واحد لهذا الكيان الضخم الذى برز ليصبح احدى القوتين العظميين فى عالمنا الحديث .

ولى .. كما لمئات او لآلاف الاسر المصرية والعربية ـ يا صاحب الفخامة والكياسة والالمعية ـ أقرباء عديدون هاجروا مثلك الى أمريكا واكتسبوا الجنسية الامريكية ، وأصبحوا مواطنين صالحين يشغلون مناصب مرموقة فى وطنهم الجديد .

وليست «الديانة» هى «الفيصل» فى تمييز «جنسية» خلق الله . لا تقول بذلك نصوص ميثاق الامم المتحدة فحسب ، بل انها من شريعة وروح الأديان ذاتها !

ثم ان الالحاح على «اليهودية» أمر غريب حقا وان كان غير غريب على «اسرائيل» حتى ولو بعد قادتها ـ وربما غالبية سكانها ـ كل البعد عن التمسك بأهداب الدين .. اى دين !

« اليهودية » عندهم وصدقنى ـ ولعلك أدرك منى ـ لا تعدو ان تأخذ أشكالا حادة متباينة من الاستضعاف والارهاب «

من المتاجرة « بعقدة » الاضطهاد والمزايدة بتسلط التفوق !
أو بالأحرى هى « العنصرية » ـ أو لعلها الصهيونية ـ تلبس
قناع « ضحايا العنصرية » !

ولو حدث ـ وقد حدث ـ ان جرائم ارتكبت ضد
« السامية » فمن المحقق ان هناك جرائم ابشع اقترفت باسم
« السامية » !

على ان آخر بقعة يمكن ان يؤخذ عليها ـ وفى تاريخها الطويل
ـ اضطهاد للسامية هي هذه المنطقة .. منطقة الشرق الاوسط
أو البلدان العربية .. وعلى وجه الخصوص «مصر » الكريمة
المضيافة .

لم يلق اليهود ـ أو السامية ـ صدرا رحبا مثلما وجدوا
هنا فى مصر وعبر قرون طويلة . هم انفسهم لا يستطيعون نكران
هذا التاريخ السمح معهم ، لانه ركن اصيل من ديننا السمح ،
ومن طبيعة شعبنا الطيبة .

لقد عاشوا بيننا اخوانا اعزاء لهم نفس حقوقنا وزيادة !
هم تولوا الوزارات والمناصب الحكومية الرفيعة . هم اداروا
شركات بل توسعوا فى انشائها وفى الاغتراف من المال وراس
المال . هم تملكوا العقارات .. « اطيانا » وعمارات . كانوا
ملوك « الصاغة » يبيعون الذهب ويشترونه ، بل يكادون يبيعون
ويشترون فى « بعضنا » ولم نحقد عليهم ، ولم ننفس عليهم
« شطارتهم » ! علمناهم وتعلمنا منهم !

ولكم اقاموا معابدهم وزاولوا طقوسهم ولم نر فى ذلك غرابة ،
بل لم «نمن » به او نتفضل ، فهو من حق « أهل الذمة » ولا
أكراه فى ديننا !

كم من مرات دخلت ـ شخصيا فى صباى الباكر ـ معابدهم
معزيا فى موت أو مهنئا بعرس !

وكان لى من بينهم زمـــلاء مرءوسون ورؤســـاء . واذكر بعضا منهم كانوا يعملون تحت رئاستى معززين مكرمين وهاجروا الى كنـدا فى ســنة ١٩٦١ ـ نعم بعد سنة ٤٨ وسنة ٥٦ ـ معتذرين بأنهم يبحثون ـ كما يبحث آخرون من المصريين مسلمين ومسيحيين ـ عن مجالات « بكر » تتســع لرزقهم ويتســع بها رزقهم . وودعتهم ونحن نتعانق والدموع فى أعيننا ..

الى هذا المدى من العلاقات الانسانية والاخـوية ـ والامثلة بالآلاف ـ « رغم اننى » مصرى عربى مسلم ارجو ان يكون قد حسن اسلامه وايمانه الخالص بشعائر الدين وممارسته لها ، بل أقول « لاننى » مصرى عربى مسلم .

لم يكن موضع اضطهـاد اليهـود اذن هنا فى مصر او الشرق العربى بأى حال من الاحوال ، ولم يحدث أن اقترفت بيننا جرائم ضد السامية بل كنا المظلة الحانية ـ يافخامة الوزير ـ كما اوضحت وكما يتضح من التاريخ . وانما الجرائم ارتكبت هناك فى الغرب ـ وفى أوربا كلها ـ وليس المانيا النازية وحـدها ـ ضـد اليهود وضد السامية . هذا الغرب الذى يتحيز الان ضد قضيتنا العربية العادلة ، ويتحامل علينا بصورة بالغـة الظلم والحمق والاثارة والاستفزاز !

لم تكن نحن الذين أوقـدنا « الافران » نطعم بهـا ونحـرق عشرات الآلاف من « اليهود » أحياء .

لم تكن نحن الذين طردناهم وشردناهم ، وحرمنا عليهـم ما حللنا لانفسنا .

لم تكن نحن الذين منعناهم أن يتلقوا العـلم فى مدارسنا ، أو أن يتناولوا الطعام فى مطاعمنا ، رافعين لافتات تقول« ممنوع دخول الكلاب واليهود » .. كان ذلك كله فى أوروبا حتى العصر الحديث ـ وفى بعض الولايات المتحدة الامريكية !

حدث اذن ـ وليس هنا ـ ان جرائم ارتكبت ضد السامية .

اما الذى جرى هنا فى البلدان العربية ، فجرائم بشعة اقترفت باسم السامية .

اى ان « الجناة » الغربيين ـ ببساطة ـ خرجوا « كالشعرة » من « عجين الدماء » التى اهرقوها وغلظوها ، ونحن الذين « دفعنا الثمن » !

دعنى الخص لك « مشاعرى » على ضوء ما تقدم :

اننى لا اكره اليهودية ـ علم الله ـ ولا اعادى اليهود ، بل ذاك هو تاريخى معهم وتاريخ بلادى . ولكنى « امقت » اسرائيل مقتا شديدا مبررا بقدر عدد الجرائم والاعتداءات والارهاب والوحشية التى جنتها على مواطنى العرب الابرياء .

ولقد عشت مأساة فلسطين وعذابات الدول العربية على يد هذه الدولة الاسرائيلية المقحمة التى ساندتها بلادك ـ والغرب كله ـ طوال خمسة وعشرين عاما او تزيد ، وكأن هذا الغرب لا يشبع من ان يرى دماء تسفك وبشرا يضطهدون !

عشت تلك المأساة على ارض فلسطين سنة ٤٨ كمراسل حربى او كضابط اعلامى بين زملائى المقاتلين من الضباط والجنود المصريين . ولم يكن لى شرف ان اقتل او اقتل . واقول ذلك بصدق ورضاء نفس ، فمثل القتال الذى نخوضه كان ولن يبرح موقف نضال حقيقى شريف ومشروع ، بصرف النظر عن نفورى المتاصل من اراقة الدماء .

عشت تلك المأساة الضارية الكئيبة على اعصابى ، بكل تمزق القلب وهو يتأمل على الجانب الآخر قلوبا متحجرة ، وبكل حيرة العقل الحاضر المنطقى يناشد ويناقش فى الغرب العديد من العقول الجامدة ملتوية او مغرضة .

عشت عمليا ونظريا فلسطين العرب ، والعرب فلسطين ، وهؤلاء الاسرائيليين المتداخلين المعتدين . عشتها بممارستى ، بما اديت وما قرأت وما نبضت وما كتبت وما نظمت .. حتى ان من بين دواوين شعرى الخمسة التى أصدرتها (وسادس آخر فى الطريق بمشيئة الله) اربعة تشغلها افكارنا ومعاركنا ونكبتنا ونكستنا وكفاحنا من الالف الى الياء ، وتدور فى دوامتها .

واعترف اننى ما تخليت أبدا عن كراهيتى الهادرة لاسرائيل ، ولا اخالنى سأتخلى عن تلك « الفريضة » أبدا التى تتعمق اغوارها أكثر وأكثر مع الأيام ما دامت اسرائيل هى اسرائيل هذه التى نعرفها ويعرفها العالم .

غير اننى ــ مع هذا الذى يمكن ان يوصف « بالتطرف » ــ لست من أنصار أو دعاة « القاء اسرائيل فى البحر » .. تلك العبارة التى « تاجرت » بها اسرائيل وبلغت ذروبها فى مايو ١٩٦٧ ثم عادت اليها بصورة اخرى ــ على لسان « فصحانها » ابتداء من ايبان الى تيكواه ــ فى معارك اكتوبر الاخيرة ..

اننى فقط اردد القول الذى « افلت » فى مقال نادر بجريدة التايمز البريطانية يوم ٢٤ أكتوبر ــ على وفرة طوفان الحقد المسموم والغل الاسود وبغض العرب وأى « قومة » لقوم العرب والذى تطفح به الصحافة البريطانية والغربية عامة ــ والذى يقول « ان على يهود فلسطين أن يقبلوا الآن ــ وبعد درس اكتوبر ــ التعايش مع الشعب الفلسطينى .. وقبل فوات الاوان » ..

واذا كنت أنت ــ يا فخامة الوزير اللماح ــ قد أعلنت فى مؤتمرك الصحفى يوم ١٢ أكتوبر « ان المخابرات الامريكية أساءت تقدير الحقائق التى جمعتها عن الجبهة المصرية لانها وضعت هذه الحقائق فى اطار تصورات مسبقة فلم تفهم منها الا ما كان مقررا لديها من قبل » ، فان « صحفيا مصريا » قد تنبه وتنبأ ــ

بلسانك .. وانصافا لذكائك وبعد نظرك ـ بما عجزت عنه المخابرات الامريكية !

ذلك انني « سجلت » أو « تخيلت » تسجيلات سرية للقاء ثلاثى بينك وبين نيكسون وجولدا مائير فيما يشبه « المسرحية » ونشرتها بجريدة مصرية مناضلة هى «الجمهورية» فى ٢ من اغسطس ١٩٧٣ اى قبل حسابات المخابرات الامريكية الدائبة بما يزيد عن الشهرين ..

وقلت على لسانك ما يلى :

كيسنجر : اننى اشير الى « امر » دلتنى عليه خبرتى فى فيتنام ، وهو اذا حدث ـ ولسوف يحدث ـ فانه يقلب الموقف الحالى راسا على عقب .

نيكسون : افصح !

كيسنجر : تحرك الارادة الشعبية العربية ، وبالاخص اذا اتحدت تلك الدول !

وما دمنا قد « عرجنا » على ما جرى بينك وبين نيكسون ومائير ـ خيالا مصريا ـ فلعله قد آن الوقت لاصارحك بأن « شيئا » مما اذاعته احدى وكالات الانباء الامريكية قد « صدمنى » ـ حقيقة لا خيالا ـ وأثار تساؤلاتى أو بالاحرى عديدا من علامات الاستفهام والتعجب ؟!!!

ففى ذلك اللقاء « المشهود » بينك وبين جولدا مائير فى تل ابيب والذى « اسهبت » الوكالات فى وصفه و « تضخيمه » بعد عودتك من موسكو يوم ٢٢ اكتوبر جاء فيما نقلته وكالة الانباء المذكورة العبارة التالية :

« وقد حمل كيسنجر الى جولدا مائير رسالة شفوية من الرئيس نيكسون يطمئنها فيها على « الأرض الجديدة » التى

« اكتسبتها » و « احتلتها » غرب القناة ، ويقول لها فيهـا : لا تخافى فانها لن تمس » !

ولقد كدت أصاب « بمس » من الجنون حينما قرات هـذه البرقية ، ولم أصدق عينى !

النبأ على صورته هذه ومجرد من اى شيء آخر .. نبأ مثير جدا الى أبعد حدود الغضب وما بعد الغضب !

فكيف اذا جاءت « روايته » هذه بعد رحلة « سـلامية » « حاسـمة » الى موسـكو اعرف انك لعبت فيهـا - بخبرتك وبمهارتك - دورا كبيرا وتعددت الاتصالات الهاتفيـة بين الرئيس نيكسون وبينك وبينه وبين الرئيس بريجنيف على الخط الساخن ، وعرف واعلن بعدها انه قد تم الاتفاق - بل التعهد - بين موسكو وواشنطون على وقف اطلاق النار والتنفيذ « الفورى » لقرار مجلس الامن ٢٤٢ الذى يحتم ضرورة انـسحاب اسرائيل من جميـع الاراضى العربية التى احتلتها - مع غفوة من الزمن - فى عدوان خسيس غريب جرى يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ؟!

فيم اذن كان الاتفاق والتعهد ، والمسألة جد جدا لا هزل فيها ولا مناورات ؟!

تعهد هناك على مستوى القمة وعلى حافة درء اخطار نشوب الحرب العالمية الثالثـة كى « ترغم » اسرائيـل على الجـلاء عن كافة الاراضى العربية المحتلة لاكثر من ٦ سنوات .

وفى نفس الوقت تعهد هنا - فى تل ابيب - من نيكسون الى مائير « بضمان » الاحتفـاظ بما يسمى « الارض المصرية الجديدة » التى « غزتها » اسرائيل غرب القناة ، وهى لا تعدو أن تكون مجرد جيب تسلل هش ؟!

وبعيدا عن ترسانة الاسلحة الامريكية الحديثة التى شحنت عبر الجسر الجوى الى أرض العمليات - وخلالها - فى الجانب

الاسرائيلى .. بالاضافة الى المتطوعين الامريكيين الذى حاربوا تحت راية المعتدين الاسرائيليين ، وبعيدا عن النصر الحقيقى الذى انجزته قواتنا المسلحة المصرية الباسلة فى العبور وفى تحطيم خط بارليف وفى التقدم بجسارة الى سيناء المصرية التى يجب ان تحرر وتعود لاصحابها بعد ان تطأ ـ وقد وطأت ـ اقدامهم واسنحتهم وفدائيتهم الصلافة الاسرائيلية والتعنت الوقح المتحدى العالم ، بعيدا عن ذلك كله وفى اطار تناقض الخط الساخن العالمى « المفهوم » بين موسكو وواشنطون ، والخط البارد « غير المفهوم » بين واشنطون وتل ابيب .. ساءلت نفسى :

ما معنى هذا ؟! ماذا تقصد الرسالة الشفوية التى يبلغها نيكسون الى مائير فى ذلك الوقت بالذات وفى تلك المرحلة ؟ « ورقة » للمناورة ولكسب أقصى ما يمكن كسبه ؟! .. هل «أمن» اسرائيل المزعوم يمثل امن امريكا ، حتى ولو كان هذا يعنى الاضرار بمصالح أمريكا فى المنطقة .. وفى العالم ، بل الاطاحة بها ؟!

وماذا تفعل أو تقول لو كنت مكانى ؟!

وبعد أسبوع واحد من هذا « الحادث » ، وفى لقاء طويل مع صحفى امريكى يزور مصر « لتغطية » المعارك ، وهو احد أصدقائك المقربين المتدلهين حبا واعجابا بك ، رويت له قصة البرقية المثيرة التى تحمل الرسالة الشفوية المذهلة ونفاها على الفور .. واتهم وكالة الانباء الامريكية بالكذب والتضليل وسوء القصد ..

وصدقته .. وخاصة ان الرسالة الشفوية المذكورة ـ لغرابتها البالغة ـ غير قابلة للتصديق !

وانما اعود بالذاكرة والرواية الى تلك البرقية لاكشف لك كيف ان بعضا من قومك يستهدفون الاساءة اليك والى الرئيس نيكسون ؟ !!

كذلك ارجع اليهـا ـ راجيـا الا يكون فى اثارتها اساءة أدب !
ـ لكى انتهى الى أنك ـ وانت قادر على النجاح اذا اردت وصممت ـ
تجتاز امتحانا صعبا ، وانك اذا كنت قد حصلت على جائزة نوبل
للسلام فانت مستطيع أن تحصل عليها ثانية ، وان كانت فى هـذه
المرة ـ وائذن لى أن اقول كل ما عندى ـ يشاركك فيها الرئيس
السادات الذى عرف متى يحارب ومتى يعرض السلام ، والرئيس
بريجنيف الذى وقف بصلابة وبشهامة الى جانب الحق والعـدل
والسلام الى حد الدفاع عنه بالتحذيرات والانذارات وجدية التأهب
« ولســوف يعـاود اذا اقتضى الامر والى آخـر الشـوط » .
والجندى المصرى الذى ثار وثأر لكرامته ولتحقيق السـلام القـائم
على العدل .

وليست مشكلة الشرق الاوسط معقدة على الاطلاق . غاية
ما فى الامر انه « أريد » لها ان تكون كذلك لحاجة فى نفس
يعقوب أو من يزعمون انهم أبناؤه !

ولـكنها « متفجرة » تماما ، ومن مهمتك ان تنـزع عنهـا
المتفجرات ، لتحل بالعدل ، لا لتهدأ أو تتسوف أو تستنيم ..
فلا سبيل الآن الى الهدوء والتسويف والاستنامة ، السبيل الوحيد
هو تنفيذ قرارات الامم المتحدة وفى مقدمتهـا قرار مجلس الامـن
٢٤٢ بانسحاب اسرائيل الى حدود ٤ يونيو ٦٧ وباحترام وضمان
حقوق الشعب الفلسطينى .

وليست القضية اذن هى العودة الى خطـوط وقف اطـلاق
النار يوم ٢٢ اكتوبر وتحديدها واشتراطاتها « والمتاهات المزعومة »
التى ناورت « السيدة » مائير و « تبجحت » بها ـ ومعذرة ...
ليس هناك أدق ولا اصدق من هذا الوصف ـ عندما قالت عن
تلك الخطوط انها « اعقد » وأصعب مهمة فى العالم ! وكأنـما
ليس مطلوبا منها ـ بالأمر .. وبالتعهد الدولى والنووى ! ـ أن
تنسحب « فورا » الى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ ؟!

وبعد .. يا رسول السلام « حتى هذه اللحظة »؟ قياساً على قول الرئيس السادات فى المؤتمر الصحفى العالمى « استطيع ان اقول ايضا ان الولايات المتحدة ـ رغم تدخلها بعد اليوم الـ ١١، وتزويدها لاسرائيل بما لم يستخدمه بعد الجيش الامريكى ـ استطيع ان اقول انه الى هذه اللحظة موقفها من اجل الوصول الى سلام موقف بناء الى هذه اللحظة » ..

وددت فى نهاية هذا الانفتاح القلبى العقلى ان اوجه اليك بضعة اسئلة ما احسبها خافية عليك ، ولكن لعلك تعيد تأملها والاجابة عليها وحلها وانت تسترخى للراحة على مقعدك الوثير ـ الذى تستحقه ـ فى طائرتك الخاصة بعد اقامتك القصيرة ومحادثاتك الطويلة فى القاهرة والتى اتوقع ان يذاع عنها ـ كالعادة ـ انها « كانت محادثات ودية للغاية ومفيدة وعظيمة تعرفت فيها على وجهات النظر العربية » !

اولا ـ هل « تؤمن » بقرار مجلس الامن ٢٤٢ لسنة ٦٧ الذى « ضحينا» بقبوله وطالبنا ـ وطالب العالم كله ـ بتنفيذه ، والذى فاق احلام اسرائيل سنة ٦٦ ثم تعالت عليه بعد عدوانها الاجرامى فى يونيو ٦٧ ولكنها « تظاهرت » بقبول القرار بعد صدوره فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ثم بثت « الالغام » لمنع تنفيذه بدعوى « امن اسرائيل » ، وكان امنها لا يتحقق الا باحتلال ارض الدول العربية المستقلة وبواد حقوق الشعب الفلسطينى ساخرة مستهينة بالعالم ومتحدية اممه المتحدة ومجلس الامن الذى يملك اجلاءها بالقوة المشروعة الكبيرة عن جميع الاراضى العربية المحتلة بالقوة العدوانية الحقيرة ؟!

ثانيا ـ هل تقدر قيمة وصدق وحسم التعهد المشترك المؤكد بين الرئيسين نيكسون وبريجنيف لتنفيذ قرار مجلس الامن المذكور ووجوب الانسحاب الفورى والكلى لاسرائيل من كافة الاراضى العربية المحتلة منذ ٦٧ وضمان حقوق شعب فلسطين من

خلال مؤتمر سلام ينبغي أن ينعقد عاجلا ، وان القضية وقد تحركت وسخنت لم يعد « هدو » فيها أو تلكؤ او مناورات ومكابرات و « تشنجات » اسرائيلية ؟ ..

ثالثا ـ هل تدرك ان الاتحاد السوفييتي لا يفهم « سياسة الوفاق » ـ ولك فيها باع مذكور ـ على انها تخاذل أو « تفويت » على حساب قضايا الشعوب المتحررة ، وانه « جاهز » لوضع قواته السوفيتية المسلحة الهائلة في حالة تأهب والى ما بعد التأهب اذا كان أحد ـ مهما كان هذا الأحد ـ يعرض السلام « الحقيقي » للخطر ، وقد كنت انت الذى عقبت على هذا الموقف بقولك « نحن على حافة الهاوية » .. ومن أجل اسرائيل .. فقط اسرائيل ؟!

رابعا ـ هل ترى « الذعر » الذى تعيشه اوروبا الغربية ـ بل الولايات المتحدة الامريكية ـ اذ اخذت الدول العربية الموحدة والشريفة تستخدم ـ حقا .. وجزاء وفاقا ـ سلاح البترول لا للاضرار المقصود « غير الانساني » بأحد وانما لانه قد حان الوقت لاستخدام هذا السلاح المشروع من اجل تحقيق السلام القائم على العدل ؟!

خامسا ـ هل تعلم ان « حكاية » صعوبة تحديد خطوط وقف اطلاق النار يوم ٢٢ اكتوبر التى تثير بها اسرائيل ضجة ودخان تعمية وكسب للوقت انما هى حكاية مخاتلة لا تستاهل ضجيجا ولا اكثر من التنفيذ الفورى مادام التنفيذ الفورى للانسحاب الى خطوط ٤ يونيو متفقا عليه ؟!

سادسا ـ هل تعرف حق المعرفة ان امريكا تستطيع الضغط على اسرائيل ـ وبالذات فى هذه المرحلة ـ ضغطا مباشرا وقاطعا كى تنسحب وتذعن للانسحاب الكلي ولتنفيذ قرارات الامم المتحدة وتعهدات امريكا والاتحاد السوفيتي وانقاذ السلام العالمى

مهما صرخت « صقور » اسرائيل وبكت « حمائمها » ومهما قامت « قيامة » بعض أعضاء الكونجرس الامريكى الذين قد يؤثرون مصلحة اسرائيل على مصلحة أمريكا والعالم بأسره ؟!

سابعا ــ هل قرات ــ وانت القارىء الدارس المثقف ــ تاريخ وحضارة هذه المنطقة العربية العظيمة المناضلة ، وهل تثق فى انها تستحق أن تعيش مستقلة عزيزة كريمة تعطى العالم السلام كما أعطته الحضارة منذ الازل ؟!

يا دكتور كيسنجر ..

اذا كانت اجابتك على هذه الاسئلة بالايجاب .. ب « نعم » فانت قادر على ان تضعها موضع التنفيذ ..

واقولها مخلصا : انك بذلك تكون موضع التقدير والاعزاز ...

واقولها مخلصا أيضا : أن هذه ــ مهما كانت هوايتك ــ ليست « كلمات متقاطعة » تحل ، ولا هى « قطع شطرنج » تنقل !

انها ليست « تسلية » أو « لعبا » أو « شطارة » «واستعراض مهارة» على حساب الحق والعدل .

ولكنها مصير امة عربية تفرض احترام حريتها ، ومصير عالم يفرض احترام أمنه وسلامه .

فأثبت أن « ذكاء المرء » ــ عند الاختيار .. وعند الاختبار ــ محسوب له .. لا عليه !

٧٣/١١/٨م

"المحاور الثلاثة" ضمان النصر

ليس فى مصر صقور وحمائم . نحن هنا بنو مصر فحسب وللبنوة واجبات لا احسب ان احدا فى بلادنا يمكن ان يتردد فيها او يتأول .. ولقد اثبتت « ساعة العمل العظيم » عندما دقت فى السادس من اكتوبر ان هذا البلد ـ جيشا وشعبا ـ ضمير واحد وتصميم واحد ونضال واحد وتضحيات واحدة . لا تستهدف ـ بالحرب ثم بالسلام ثم بالحرب مرة اخرى اذا اقتضى الامر ـ الا « التحرير » .. تحرير أرضنا واستعادة حقنا وتأكيد كرامتنا .

ولا اذكر ان مصر فى تاريخها المعاصر قد عبرت فترة نيرة وناضرة وجليلة ومتماسكة مثل هذه الفترة التى عبرتها منذ ان عبر مقاتلوها القناة وبدأوا فى تحرير سيناء الغالية .

لقد أثبتت هذه المرحلة ان مصر بخير بل ان مصر هى الخير . لقد داست أقدامنا دعايات خبيثة لعدونا الخبيث حاولت فى الآونة الاخيرة ان تزلزلنا فلم نهتز .. تماما مثلما داست اقدام مقاتلينا خط بارليف وصلافة جنوده ..

ولربما يظن ـ ويصح ـ أننا منفعلون ، ولكن ليس معنى « الانفعال » اننا نشك لحظة واحدة فى قدرتنا ، وانما نحن نستمد من « طاقة الحقد على العدوان » ومن « قوة الدفاع عن الشرف والوطن » ما يدفعنا الى مزيد من الاصرار والتضحيات والنصر ..

واذا كان موشيه ديان ـ أو غير ديان ـ يتصــور أنه يمـكن مهما تكلم ومهما تصرف أن يؤثر على روحنا المعنوية العالية وعلى تأهبنا وعلى اصرارنا فهو واهم تماما ..

لقد ذاقوا بأسنا ، وهم قبل غيرهم يعـرفون الان حقيقة المقاتل المصرى والشعب المصرى والامـــة العربية بأجمعها ، التى شهد لها العالم خلال معــارك اكتوبر ، وهــذا البأس باق وفى ازدياد .

واذا كنت قد اشرت فى البداية ـ ومتأسف ـ الى ديان على وجه التخصيص ، فانما لكونه بعد معـــارك أكتوبر « لعب » كثيرا على « الاستهلاك المحـلى » وعلى « الاستهـلاك الخــارجى » و « استعرض » وهدد ، ثم « استضعف » ودافع عن نفسـه ، ثم شارك فى المناورات والتعقيدات بقيادة « المايسترو » جولدا مائير ..

مثـلا . فى يوم الجمعة ٩ نوفمبر ١٩٧٣ وقف ديان خطيبـا معتليا منبر وقمة « الصلافة » الاسرائيلية « السابقة » بمناسبة تخريج دفعة جديدة للكلية الحربية بالمؤسسة العسكرية العدوانية، وقال ما يلى :

« ان القوات المسلحة الاسرائيليــة هى « وحــدها » ، وليست الامم المتحدة ومجلس الامن وقرارات هذه الهيئات ، التى تستطيع فرض ارادتها على منطقة الشرق الاوسط وعلى الحـرب والسلام (وكاد يقول وعلى الارض والسماء ..) . ان الجيش الاسرائيلى قد « انتصر » على الجيوش العربية للمرة الرابعة » !!

وبعد ٢٤ ســـاعة من هذا « الهيلمان » المتفـرد فى العـــالم « المتعوس » بأمثال هذه « الشـاكلة » من اغرب « الخلق » وابشعهم عدوانا ـ والحق ليس عليهم بالدرجة الاولى .. ـ بعد الانتهاء من الاستهلاك المحلى الذي عساه يصـد ويرد فى « نفسيتنا » ـ وهيهات ـ وقف « الجنرال » نفسه مساء السبت ١٠ نوفمبر

١٩٧٣ يصرح فى اجتماع حزب العمل الاسرائيلى « وينشج » قائلا :

« ان العالم الذى نعيش فيه هو عالم ١٩٧٣ وليس عالم ١٩٦٧ ! لقد خسرنا كثيرا جدا فى الحرب ! ان افريقيا واوروبا باعتنا اسرائيل بثمن بخس ! ان موسكو كانت جادة تماما فى تهديدها بالتدخل العسكرى ضدنا اذا لم ننسحب ، اما امريكا فانها متلهفة على الحل !! »

وانتهى الاستهلاك الخارجى

وفرغ لمعارك الجنرالات واتهامات « اليمين » و « اليسار » والاستعداد للحملات الانتخابية داخل اسرائيل التى لا تعرف من التيارات الا تيارين اثنين لا ثالث لهما ، هما : الاعتماد الكلى على امريكا (لنا صديق واحد هو امريكا . لنا اله واحد هو امريكا) ، والارهاب « ١٩٤٨ - ١٩٧٣ » !

ولربما شاءت المقادير - ولحكمة خافية - أن يحدث ما حدث فى « الدفرسوار » بعد سلسلة من الاعمال البطولية العظيمة الفدائية (موجات انتحارية بعد موجات) الخالدة التى لا ولن تنسى ، والتى عبرت بها قواتنا المسلحة الباسلة القناة وحطمت الحصون المنيعة والاستحكامات الباهظة التكاليف والاعداد ، وحررت وتقدمت عبر سيناء .

ولست ادعى لنفسى « فراسة » او « اسجل » رؤية مسبقة اذا قلت اننى منذ مساء ٦ اكتوبر المجيد وطوال الايام التالية كنت لا التقى باحد من المدنيين او العسكريين الا واضيف الى تقديرى البالغ واعتزازى بالكرامة التى اكدها مقاتلونا المصريون ورفعوا بها وبانتصاراتهم راسهم وراسنا ، كنت أضيف ما يشبه التنبيه أو التحذير من أن اسرائيل - على سبيل اليقين - ستحاول مهما كلفها الثمن ان تحدث ثغرة فى قواتنا وتنتقى اما هذا المكان او ذلك لتحشد اقصى ما تستطيع وتضحى باغلى ما تملك فى سبيل « شطر »

قواتنا والوصول الى « الضفة الغربية » آملة ان تحدث ما يسمى panic war أى ارباك خطوطنا الامامية والخلفية .

ولقد حدث بالفعل ما توقعته ، وجرى بترسانة أسلحة مستحدثة وأسطورية ـ بدون ادنى مبالغة أو رغبة فى تبرير النتائج ـ مستوردة فى لهفة وجنون وعجلة وسوء نية وتآمر مبيت مفيظ ولا أخلاقى من الولايات المتحدة الأمريكية .

وامتدت « الثغرة » الاسرائيلية الامريكية بين الضفة الشرقية عبر قواتنا فى سيناء ، وبين الضفة الغربية عبر الدفرسوار وما حولها .

وكنت ـ ولا زلت ـ اقول : روحى وروح ابنائى فداء سد هذه الثغرة ، والقضاء على هذا الجيب الذى اتسع لمدة ٣ أيام بعد قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار ، وفداء تحقيق انتصارنا المشروع بطرد اسرائيل من ارضنا .. كل ارضنا ..

وليس هذا القول « فرط » حماسة أو شجاعة ، ولست أخالنى فى هذا الا واحدا « ونموذجا عاديا » بين الملايين من ابناء مصر العظيمة الذين اكدوا استعدادهم لبذل ارواحهم فى سبيلها والتضحية بكل شىء من أجلها . وقد أثبتت طليعتهم العسكرية المجيدة ذلك بالفعل .

على ان هذه « الثغرة » اذا كانت قد « نجحت » بعض النجاح المادى « المحدود » ، وبالغت اسرائيل فى استخدامه دعائيا وللحرب النفسية « اليائسة » ، فانها قد فشلت تماما .. تماما فى تحقيق اى هدف من أهدافها المقصودة لاحداث ارتباك فى خطوطنا الامامية والخلفية .

كانت الخطة الاسرائيلية ـ فى أحلامها « اليونيوية » ـ تستهدف ان يدب الفزع والذعر بين صفوف قواتنا الامامية فى سيناء فتنسحب على غرار ما حدث فى حرب ١٩٦٧ ، ولكن جيوشنا وقفت ثابتة كالصخر .. كالفولاذ لا تهتز ، بل على

العكس مضت فى تقدمهـا بسيناء ـ بعد حدوث الثغرة ـ تكتسح أمامها الحشود الاسرائيلية الاخرى تدمر دباباتهم وتسقط طائراتهم وتزهـق أرواحهم حتى منيت اسرائيـل بأفدح خسـائر بشرية وعسكرية فىتاريخها الاسود .

كذلك الامر فى الضفة الغربية لم ترتبـك قواتنـا بل وصلت نسبة خسائرنا الى خسائرهم فى هـذا الاختراق الى الثلث اى اذا كنا خسرنا واحدا فهم خسروا ثلاثة (« ومسير » الحرب وسجلاتها سوف تذاع فى يوم قريب او بعيـد ويتأكد اننا لا نلقى الكلام على عواهنه)

ارادوا وخططوا لاتلاف واضاعة مجد ٦ اكتوبر وايامه الخالدة التى اوجعتهم فى الصميم ، فأتلفنـا نحن خططهم . « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفـواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نـوره ولو كره الكافرون » .

ولعله ليس بعيدا عن هذا القصد ـ الذى يحـاول مستميتا ومغيظا طمس والغاء النصر الشامخ واللامع والمشهود الذى انجزته قواتنا المسلحة الباسلة فى سيناء وحتى وقت وقف اطلاق النار ـ ليس بعيدا عن القصد المذكور ، هذا الذى ما فتئت تلح به جولدا مائير ـ عبثا ـ من اقتراح « انسحاب » القوات المسلحة المصرية الراسخة فى الضفة الشرقية الى الضفة الغربية للقناة .. «مقابل» ارجاع « الفلول » الاسرائيلية من جيب غرب القناة الى الضفة الشرقية !!

ولست اغالى اذا قلت فيما اتخيل ان اسرائيل مستعدة لأن تبذل « ٢٢٠٠ مليون دولار » ثمنا لتحقيق هـذا النـوع الخبيث « المستحيل » من الـ Disengagement

لا لسبب الا لأن معنى ذلك هو عودة الامر الى ما كان عليه ، وشطب النصر المصرى فى اكتوبر بجرة قلم ، وذهاب دم الشهداء المصريين الابرار هدرا ..»

ولسوف تجد من يدفع لها وعنها هذا «الثمن» الذى تحلم به .

لقد سبق ان اعتمد زعمـــاء « اليانكى » ـ وبسرعة البرق ـ لاسرائيل مثل هذا المبلغ ! «فالدافع» «الممول» «المتبرع» موجـود ومستعد !

ولكنها لن تجد من يقبـــل أو يتسلم ، حتى ولو كان الثمن ملء الارض ذهبا ، فالقضـية التى نحن مسـتعدون ـ بحق لا بتعبيرات انشائية أو بتشنجات فارغة ـ ان نبذل لها جميعـا آخر قطرة من دمائنا ـ لا بترولنا فحسب ـ قضية لا تقبل العبث أو الصغار أو المناورات او التاجيل .

غير ان مائير ـ بحكم العادة واصطناع ممارسة ضـغط من « مركز قوة .. غير صحيح » ـ اعلنت ان اسرائيل لن تنسحب الى خطوط ٢٢ أكتوبر واضافت أن هذه الخطوط « لا وجود لها» ـ تماما أو أشد مما سـبق ان اذاعت فى مؤتمرهـا الصـحفى بأمريكا « عبارة » كون تحديد خطوط وقف اطلاق النار فى رايهـا « اصعب شىء فى الدنيا » ـ ثم مضت جولدا مائير تهدد وتتوعـد امام الكنيست بقولها « ان الحرب لم تنته بعد ، وينبغى أن يحكم الوعى بهذه الحقيقة كل سلوكنا » ..

الذى أريد أن أنتهى اليه من كل ما تقدم ومن «تنبيهى» منذ بدء المعـارك ، وهو ما اشرت اليه آنفـا حول محـاولة القـوات الاسرائيلية فى معارك اكتوبر اختراق جيـوشنا والوصـول الى الضفة الغربية ، ولو بصورة « رمزية » :

انى مرة أخرى ـ وعلنا هـذه المرة ـ اقـول انه اقرب الى المؤكد ان اسرائيل سوف تحاول استئناف القتال بصورة واسعة ومن يعرف طبيعة اسرائيل ـ نشأتها . قوامها . اسـلوبها . « فكرها » . صراعاتهـا ـ لا يتردد فى الميـل الى الاخـذ بهـذا

الاحتمال القوى .. ثم أن ثمة عاملا جديدا بالاضافة الى طبيعة اسرائيل ، هو أن تل ابيب تعلم علم اليقين انها لم تنتصر فى حرب اكتوبر . وأكرر : لم تنتصر اسرائيل . بل على العكس اهتزت صورتها « العسكرية » فى الداخل وفى الخارج فضلا عن الخسائر الجسيمة الفادحة فى الافراد والاسلحة والطائرات .. وهذه مسألة « لا تحب » اسرائيل ان تكون هى « خاتمة المطاف » ومن هنا عوضت اسرائيل ما فقدته من معدات عسكرية و « زيادة » ..

ولم تخف مائير هذه « الجريمة المؤسفة » فهى قد اعربت عن شكرها « للموقف الشجاع » الذى وقفه نيكسون الى جانب اسرائيل خلال الحرب ، ثم اردفت قائلة « ان الجسر الجوى الامريكى الذى يقوم بنقل شحنات الاسلحة الامريكية الى اسرائيل لا يزل مستمرا » !

وهكذا ..

وانى ارجح - وقد اكون مخطئا - ان تختار اسرائيل لعدوانها الواسع الجديد « المتوقع » موعدا قريبا .

ومن ناحية اخرى ..

فاننا هنا لن نقبل ولن نتحمل - لا طويلا ولا قصيرا - ان يكون « مدار الحديث » هو خطوط وقف اطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر وصعوبة تنفيذها ، وامتناع اسرائيل عن كذا وكيت وتحطيم « كشك » قوات الطوارىء الدولية الذى أقامته عند الكيلو ١٠١ ، ونقاط التفتيش فى صميم صميم أرضنا ، ومعركة الاشتباك بالايدى بين افراد من الجيش الاسرائيلى الذى « نلنا » منه تماما وكدنا نقهره تماما ايضا .. وبين قوات الطوارىء الدولية ■

كل هذه مسائل غير مقبولة من « الكبرياء المصرى » .. ولقد عشنا وصمدنا طويلا بكبريائنا الوطنى ، ثم ارتفعت هاماتنا — ولا تزال بالتاكيد — الى عنان السماء بعد ٦ أكتوبر .

واذا كنا قد قبلنا اجراءات النقاط الست — رغم كل شيء — كخطوة عاجلة وفورية التنفيذ لا تستغرق أياما ويعقبها على الفور « مؤتمر السلام » والتطبيق الشامل لقرار مجلس الامن ٢٤٢، لانسحاب اسرائيل الكامل من جميع الاراضى العربية المحتلة بعد ٤ يونيو ٦٧ ولاحترام وضمان حقوق الشعب الفلسطينى ، فانما فعلنا ذلك من مركز القوة لا مركز الضعف او التلهف ، ولنؤكد للعالم كما اكدنا دائما اننا قوم نعشق السلام ونحرص على السلام العالمى بنفس القدر الذى نتعبد به فى محراب كل شبر من أراضينا العربية .

واذا كنا قد « تمشينا » مع « ظاهر » موقف امريكا « البناء » فى لحظة من اللحظات ، واستقبلنا وزير خارجيتها واتفقنا على ما اتفقنا عليه ومؤاده ان يتم الانسحاب الكامل والفورى عن كل الاراضى العربية المحتلة تنفيذا لقرارات مجلس الامن وللتعهد السوفيتى الامريكى ، فاننا لسنا ابدا مستعدين للدخول فى « متاهات » تفسيرات جديدة لاتفاق جديد مرحلى سريع ليس هو « مربط الفرس » بل انسحاب اسرائيل الكامل والفورى — واقولها للمرة المائة — هو الذى لا بد ان يتحقق .. رضيت اسرائيل ام تأبت .

ولقد ابلغ وزير خارجيتنا السفير هيرمان ايلتس المشرف على مصالح الرعايا الامريكيين فى القاهرة أن مصر لم تعد تستطيع الانتظار . وان استئناف المعارك سيصبح امرا لا مفر منه ان لم تتدخل امريكا لارغام اسرائيل على تطبيق وثيقة الامم المتحدة الخاصة بترتيبات وقف أطلاق النار »

وفى نفس الوقت الذى تم فيه هذا التبليغ كان وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة يمضى يومه بين مختلف وحدات القوات المسلحة بالجبهة ، ويمر على قيادة الجيش الثالث الميدانى ويشيد بالكفاءة القتالية والروح المعنوية لقواتنا المسلحة « واقسم انهما فوق كل اشادة ، وانهما حقيقتان رائعتان اثبتتا فعاليتهما وستثبتان من جديد ان مصر ولدت من جديد واستعادت نفسها واكدت أصالتها » ، ويتجاوب معهم فى ضرورة مضاعفة اليقظة والحذر والاستمرار فى الاعداد والاستعداد بمنتهى العزم والايجابية لمواجهة اية تطورات يمليها الموقف .

الموقف متوتر .. لا جدال حول توتره .

ولكن الموقف فى ايدينا ولن نبدده ابدا ولن يذهب مع الريح بعثنا وقتالنا وتضحياتنا وانتصارنا العظيم فى معارك اكتوبر المجيدة . ولن تستطيع اسرائيل ان تملى اهواءها ونزواتها وتطلعاتها « وتمطيطها » لكسب الوقت .

لقد دخلت مرحلة التطبيق والاثر البعيد الفعال ، « المحاور الثلاثة » التى ركز عليها الرئيس فى خطابه ليلة ٢٣ يولية سنة ١٩٧٣ :

- القدرة الذاتية لمصر .
- الامكانيات العربية الهائلة .
- الدعم السوفييتى السياسى والعسكرى .

ولربما اضيف اليها عاملا آخر هو « التعهد السوفييتى الامريكى » الذى حدا بالرئيس بريجنيف ـ مشكورا ـ ان يبعث بتحذيراته وانذاراته الى الاطرف « الاخرى » المعنية عندما لمس بداية التلاعب والمناورة ، وكاد السلام العالمى نتيجة لذلك تتهدده المخاطر .. وجزعت امريكا و « تراجعت » !

وعندما تصبح قضيتنا على هـذا القـدر من التحرك ومن « السخونة » فلن نمكن أحدا ان يلقى عليها ماء باردا ..

وعندما تغدو القضية ـ وأكثر من اى وقت مضى ـ قضية مصـير : تكون أو لا تكون ، فقـد برهنـا على اننـا نسـتحق أن « نكون » .

ولسوف تكون دائما وبمشيئة الله مرفوعى الرأس .

ولسوف يزهق باطل اسرائيل ، ويحيا حقنا كريما شامخا .

٧٣/١١/١٥

٦ سنين.. ومازال البحث جاريًا!

الفاعل ليس مجهولا . انه معروف جدا . مجرم « مشهور » تشير اليه كل الايدى . ولقد ظن العالم انه منذ ٦ سنين ـ اى فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ ـ توصل الى محاكمته وادانته ، وأصدر عليه «عقوبة» وان كانت « مخففة » غاية التخفيف باصدار مجلس الامن قراره ٢٤٢ .

ولكن منذ ذلك الحين لم ينفذ « الحكم » ، ولا زال البحث جاريا ! ولقد قيل فى تعليل ذلك ـ وهو للاسف صحيح ـ ان بين « القضاة » الذين اصدروا الحكم « عميلا » تسبب فى « عدم التنفيذ » لانه « شريك » للمجرم أو اعتى ! ووجه الغرابة فى القضية انه : كيف يعلو صوت هذا القاضى الفريد « الاسخربوطى » وتملى ارادته ـ بالغة ما بلغت قوته وقدرته ـ على ارادة الاربعة عشر قاضيا الآخرين ، الذين شاركوه فى الادانة « وشاركهم » ، بل « تعلو مشيئته » على مجلس الامن ، الذى هو المحكمة وعلى الجمعية العامة للامم المتحدة .. التى هى صاحبة التفويض والشرعية والتبريك . بل على الدنيا كلها ؟! وعلى الدنيا السلام !

وهذا الحديث ليس حديثا سياسيا ، ولا « ملحمة » طبعا ؟ فكم كتب من ملاحم بغير طائل حتى الآن . ولا تمثيلية .. فالذى « يمثل امامنا » كاف ! ولا هو « سيناريو » فيلم ، ولا مجرد

استعراض تاريخي تعاد كتابتـــه وصياغته ، كما أنه ليس من قبيل « الخلط » أو « التهويم » أو « المتاهات » فأصـحاب المتاهات معروفون جيدا ! ربما كانت هذه السطور ـ والتالية منها ـ هي بعض شحنات « انفعال بناء » .

ولعلى لا استبق « رواية » الموضوع . وهو بعـد ما برح فكرة تدور في ذهني بينما اخط هذه الكلمات ، اذا قلت انه مقسم الى لقطات او مشاهد في ستة « فصـول » بقدر عـدد السنين التي انسلخت وسلخت من عمرنا ، وان اهم هذه الفصول ـ والسـنوات ـ بغير منازع هو الفصـل السادس الاخير ، وان كانت : الرواية » لم تتم فصولا ، بل لعلها الان في « قمتهـا الدراميـة » التي تكمن فيها « عقــدة » الرواية ، والتي نتمنى ـ ونثق ـ اننا سوف نشد العقدة حول اعناق اعـدائنا لترتاح البشرية و « نفك » عقدتنـا ! واهمية الفصـل السـادس ـ أو السنة السادسة ـ انه يبزغ فيه نجم ـ بل مجد ـ ٦ اكتوبر المصرى ، أو بالاحـرى يعرف المقـاتل المصرى العظيم « المظلوم سابقا » كيف يأخذ المبادأة ويبهر الابصار ، ويتقدم بكل ما تحمل نفسه من اصالة و « كبت » وبسالة فيحقق الانتصار .

* الفصل الاول *

من نوفمبر ٦٧
الى نوفمبر ٦٨

مانشيتات الصحف المصرية تتناول كل يوم ـ وبالخط الاحمر العريض ـ جلسات مجلس الامن في اول اجتماع « حاسم » له بعد عدوان ٥ يونيو .

يبدو ان النية متجهة لايجاد حل نهائي لهذه الازمة «الطويلة» التي دامت خمسة اشهر !

أمريكا « جونسون » تضغط على اسنانها امام الضغط الدولى ـ والسوفييتى بالذات ـ عليها ليصدر مجلس الامن قرارا اجماعيا يلزم اسرائيل بالانسحاب من الاراضى العربية التى احتلتها .

واخيرا فى اليوم الثانى والعشرين يفوز المشروع البريطانى ويصدر بالاجماع ، ويصبح القرار الاشهر رقم ٢٤٢ !

توافق مصر ، ومع ذلك فرد فعلها و « شفافية » رؤيتها أنها فى أعقاب القرار تردد ـ لاول مرة ـ العبارة التى اشتهرت شهرة القرار : «ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » .

يوثانت يختار مبعوثه . يلمع اسم « يارنج » ويمشيها خطى كتبت عليه !

أشهر حدثين فى منطقة الشرق الاوسط طوال الفترة هما يارنج وجولاته و « الدفاع النشيط » فى الجبهة المصرية .

* الفصل الثانى *

من نوفمبر ٦٨
الى نوفمبر ٦٩

يارنج يبحث ويتحمل ويصمت . أخذ الدرس والعظة من سلفه « الشهيد » برنادوت الذى قتلته عصابات اسرائيل حين تجاسر و « أعلن » كلمة حق !

تحولت المرحلة المصرية من الصمود والدفاع النشيط الى مرحلة الاستنزاف بعد ان قطعت مصر شوطا بعيداً فى أعادة بناء قواتها المسلحة .

اقام العدو الاسرائيلى خط بارليف على الشاطىء الشرقى للقناة . بالغوا فى محاولة تضخيم مناعته وان كان كلفهم بالفعل الملايين ، وبنى على أحدث واقوى طراز « الكترونى » .

(الخط يدمره المصريون تماما فيما بعد .. ويجتازونه) !

تعوض اسرائيل حظر ديجول « النبيل » لتصدير طائرات الميراج والميستير الفرنسية للمعتدين بعقد صفقات اسطورية ومتجددة لطائرات الفانتوم الأمريكية « الرهيبة » وملايين الاطنان من أسلحة التدمير (تسقط جميع طائرات الفانتوم وبالمئات فيما بعد « بمعرفة » المصريين والسوريين وصواريخهم ومقاتلاتهم ! ..

* الفصل الثالث *

من نوفمبر ٦٩
الى نوفمبر ٧٠

مع حرب الاستنزاف التى شنها المصريون ومع عبور وحدات مصرية خاصة عبورا محدودا ومؤقتا لقناة السويس بهدف التدريب واقلاق العدو وتدمير بعض نقاطه واسر قليل من جنوده وضباطه واشعاره أنه يمكن قهره ، يبدأ العدو الاسرائيلي — مغيظا — الضرب فى العمق بطائراته ..يغير على المصانع المدنية وعلى القرى الامنة بل يقتل الاطفال فى مدارسهم ...

فى يوليو ٧٠ وبعد افشال امريكا لكافة المحادثات الثنائية بينها وبين الاتحاد السوفييتى والمحادثات الرباعية بينهما وبين بريطانيا وفرنسا بالاضافة الى جهود الجمعية العامة ومجلس الامن ، تحاول — أى أمريكا — أن تلعب لعبتها المفضلة والتى تكررها دائما لتوهمنا وتوهم العالم انه : لدى أمريكا وحدها الحل !

مبادرة روجرز .. أو الخدعة الامريكية (يسبق .. وربما « يتبع » !) ..

وقف اطلاق النار فى اغسطس ٧٠ .. ويمتد ..

❋ الفصل الرابع ❋

من نوفمبر ٧٠
الى نوفمبر ٧١

يستأنف يارنج نشاطه مكثفا بنية خالصة .

الاكثر كثافة .. تلك الاعتراضات و « التيئيسات » لمهمته من جانب اسرائيل بنوايا خبيثة ومن جانب امريكا « التى لديها وحدها الحل ، فهو ــ مرة أخرى ــ لابد أن يكون امريكيا لانها صاحبة الحول والطول والحل .. لاسرائيل طبعا » !

نعرض قضيتنا عرضا وافيا وهائلا امام الجمعية العامة للامم المتحدة فى نوفمبر ٧١ ونحصل على غالبية الاصوات .

النتيجة : كلام .. تلال من الكلام ، « وكان الله يحب المحسنين » !

❋ الفصل الخامس ❋

من نوفمبر ٧١
الى نوفمبر ٧٢

نيكسون الذى كان ــ بغفلة أو « طيبة » من بعضنا ــ مرجوا عند بدء انتخابه ، يفتح الخزانة الامريكية على مصراعيها لاسرائيل ، كما يفتح الترسانة الحربية على « جبروتها » لمدللته ومدللة أمريكا اسرائيل .

اكسب مبعوثونا جانبا ملحوظا من الرأى العام العالمى تأييدا لقضيتنا . حتى اوروبا الغربية بدت أكثر تفهما .. ولا نقول تعاطفا . اما اصدقاؤنا السوفييت والدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز فهم اصدقاؤنا دائما ومن الدقيقة الاولى لانهم يساندون

الحق والعدل والتحرر سياسيا واقتصاديا وعسكريا . هذه قضية مبادىء ..

غير ان مصر لم تبدأ بعد معركتها المشروعة لتحرير أراضيها .

السعادة تغمر اعداءنا ، « فالتجميد » يقرب امالهم فى سريان « الأمر الواقع » .

الرئيس السادات حاول كثيرا بصدق وأمانة أن يحل القضية سياسيا وسلميا ، وتقدم بمبادرات بناءة شريطة الا تكون على حساب تفريط فى شبر واحد من اراضينا المحتلة او فى حق واحد من حقوق العرب التى تعاهدوا عليها . غير ان السادات فى اعماقه وفى مبادئه « بصدق وامانة يفضل احترام العالم ولو بغير عطف .. على عطف العالم اذا كان بغير احترام » .

والعالم — للاسف ... او بغير اسف — لا يحترم سوى القوة ..

فلنصبر ...

* الفصل السادس *

من نوفمبر ٧٢
الى نوفمبر ٧٣

يئس يارنج وتوارى وعاد الى منصبه سفيرا فى موسكو .

وزير الخارجية المصرية ، وخلال شهرى يونيو ويوليو ٧٣ ، يجرى اتصالات ضخمة فى مقر الامم المتحدة بنيويورك — ويالنيويورك ! — مع الافارقة ومع العرب ومع الدول الاشتراكية ومع الاسيويين ومع أوروبا الغربية ومع امريكا اللاتينية ، وحتى مع الدوائر الحاكمة « المتحكمة » بالولايات المتحدة الأمريكية نفسها !

الهدف : الاعداد لعرض شامل وحاسم وأخير لقضية « المنكود » الذى هو « الشرق الاوسط » لأنه « نكب » بما يقرب

من الثلاثة الملايين الدخلاء تحت اسم « اسرائيل » الذين « عكروا » بحره المتلاطم بالملايين قصدا وطمعا وحقدا ! الذين « انتسبوا » لمن أقاموا « الصليب » واراقوا الدماء حوله ودنسوا الهيكل وحاربوا المسيح والمسيحية و«الصليبية» اصبحوا .. فى هذا القرن العشرين الغريب من الزمان هم « الحملة الصليبية » الجديدة ، ويأتوا رسلها ومبعوثيها وممثليها ، ليكشفوا ويؤكدوا ان الحروب الصليبية لم تكن ــ عندما كانت قبل صلاح الدين ، والى ان قطع دابرها هذا المقاتل البطل التاريخى الخالد ــ لم تكن حربا دينية ضد منطقة قدست كل الأديان السماوية واحترمت وجودها وشعائرها ، وانما كانت حربا استغلالية توسعية متحيزة ضد الشرق العربى .

وينعقد مجلس الامن ثم ينفض ويؤجل مؤقتا . وتدور الاتصالات الجانبية والثنائية والثلاثية .. الخ والمشاورات ومشروعات القرارات ــ كالمعتاد ــ والخلاف حولها بما تبثه أمريكا من ألغام متفجرة ومناورات وتمييعات !

وفى الخامس والعشرين من يوليو ٧٣ يختار المجلس واحدا من المشروعات التى توفق بين وجهات النظر المختلفة ، ولكنها فى نهاية الامر ــ ولا بد مما ليس منه بد ــ ليس امامها الا ان تطالب اسرائيل بالانسحاب الكامل من جميع الاراضى العربية المحتلة وتطبيق قرار مجلس الامن ٢٤٢ ــ نجم هذه الرواية وموحيها ــ الذى سبق ان اصدره المجلس فى ٢٢ من نوفمبر ٦٧ .

ويدخل مندوب امريكا الى الجلسة الختامية ــ جلسة التصويت ــ وقد اضمر اشياء فى نفسه أو « حفيظته » ، واخفى شيئا تحت سترته !

ويبدأ التصويت وتؤيد الدول كلها ــ غربية وشرقية ــ القرار وتدين العدوان وتطالب المعتدى بالانسحاب . غير أن « الحفيظة »

وبطريقة « اليكترونية » تخرج هـذا الشيء « المخفى » تحت الستره ، فاذا به « هراوة » يهوى بها منـدوب الولايات المتحـدة « الموقرة » فوق راس القرار والمجلس والاعضاء ليحدث صوتا كفحيح الافاعى وضراوة ودناءة الضباع يدوى : فيتو !

لماذا ؟ لانها امريكا .. و « المجد » لامريكا فى « الاعالى » .. أعالى البحار !

و « باظت » القضية ، او هكذا ظنت امريكا وتابعتها اسرائيل ! وفركتا ايديهما نشوة و « دفئـا » بان تربا « التجميـد » يزداد .. وتثبيت « الأمر الواقع » يقترب !

ويندد السادات بأمريكا .. حامية اسرائيل ، وبالفيتو الامريكى .. حامى امريكا !

وببراعة سياسية حاذقة يثير السادات مسألة « المتغيرات الدولية » ويأذن بفتح باب المناقشات الواسعة حولها حتى لتلوح وكأنما « تستغرقنا » ويكاد لا يشغلنا سواها ، فى الوقت الذى يعد فى الخفاء عدته ، ليضرب ـ بالحق والعـدل والمشروعية ـ ضربته !

وتحمـلّ .. تحمـلّ الكثير فى الداخـلّ وفى الخارج . ولكن عندما يتحمل انسان قدره ، ويحمل ـ بظروفه وهباته ـ صفات السياسى ورجل الدولة والمقاتل على السـواء ، فانه لا يعبأ كثيرا بالحملات الجانبية مغرضة او غير فاهمـة ما دام الهدف أمامه ـ ومع الصمت والصبر ـ واضحا وشريفا ومصيريا وواجبا !

كانت نصب عينيه مصر بكل جلالها وحضارتها ودورها فى الماضى والحاضر والمستقبل . وكان « يونيو » الـذى ظلمنا وعذبنا يعذبه ..

وكانت « الحسابات » تشغله وتؤرقه ..

في احدى المرات القليلة التي التقيت فيها بالرئيس السادات ووجهت اليه سؤالا « حماسيا » طويلا ـ استغرق ما يقرب من عشر دقائق ـ حول تحريك قضيتنا وكيف الاستنزاف ومتى العبور ـ وكان هذا في أواخر اغسطس ١٩٧٢ ـ اجابني بعبارة جامعة مانعة قاطعة : « انني من موقع المسئولية الكبرى أقول ان أحدا لا يمكنه ـ ولن يمكنه ـ أن يدفعني للبدء بما سوف أبدأ به قبل ان استكمل حساباتي » .

وصدق وعده .

وكان يوم ٦ اكتوبر المجيد الذي وافق « حساباته » وفاق حساباتنا .

ولقد كتبت الكثير حول معنى ٦ اكتوبر ، وصورة مصر بعده

ولست اريد ان اكرر معاني تناولتها ـ تفصيلا وصراحة ـ في الموضوع السابق عن « محاورنا الثلاثة التي لا تسمح لنا الا بالنصر » ، ولا أن اعرض ـ مرة اخرى وبصورة مباشرة كما فعلت ـ الى الموقف « الشاذ » « غير الشاذ » الذي تناور به اسرائيل وتحاول « التعنت » و « المكابرة » و « كسب الوقت » حول خطوط ٢٢ اكتوبر مستغلة « تسربها » الى بعض المواقع في الضفة الغربية للقناة بعد وقف اطلاق النار ، وكان الانسحاب الى خطوط ٢٢ اكتوبر هو « المشكلة » وليس التعهد السوفييتي الامريكي وقرار مجلس الامن و « الامر الواقع المصري الجديد بعد ٦ أكتوبر » هو الزام اسرائيل بالانسحاب الى مواقعها في ٤ يونيو ٦٧ والاذعان لقرار مجلس الامن ٢٤٢ وفورا . ولقد قلت واعيد ما قلت « اننا هنا لن نقبل ولن نحتمل ـ لا طويلا ولا قصيرا ـ ان يكون مدار الحديث هو خطوط وقف اطلاق النار في ٢٢ اكتوبر » .

وبينما تحدثني نفسي قائلة : الحرب المجددة الشاملة دون ذلك . الموت دون ذلك ، ولن يكون الموت لنا بل لاعدائنا ! لقد

سقط القناع عنهم ، كما أعطتنا التضحيات اصرارا وسيعطينا المزيد من التضحيات مزيدا من الاصرار . ولسنا فى مجال « ديوان الحماسة » بل فى « ميدان القتال » الذى خضناه فعلا وسنخوضه قطعا غير هيابين بل واثقين فى قدرتنا وقدسية قضيتنا ، مؤمنين بعدالة الله عز وجل » .

بينما تحدثنى نفسى بذلك فى « الفصل السادس » من « الرواية » أسمع أصواتا اخرى تتزاحم وتتداخل وتتحدث هى الاخرى وتقول كلمتها فى هذا الفصل « قبل الاخير » .. أو فى هذا « المنعطف الخطير » :

(اصوات من جنود قوات الطوارىء الدولية عند الكيلو ١٠١ السويس) :

لم نكن نتصور ان هؤلاء المجرمين يمكن ان يصل بهم الاستهتار والاعتداء على القيم وعلى الامم المتحدة الى هذا المدى ! يشتبكون معنا بأيديهم الملوثة بالدماء : من هم هؤلاء ؟! هل هم أقوى من مجلس الامن ومن الامم المتحدة ؟ أن ثمة « قوة ردع » نص عليها ميثاق الامم المتحدة لتأديب هؤلاء المتبجحين المتمردين الذين لا سند لهم فى بقاء او احتلال . انهم فعلا يهددون السلام العالمى والامن الدولى . ان المادة ٤٢ من الميثاق تطالب مجلس الامن فى مثل هذه الحالة المستفزة الشائنة « ان يتخذ بطريق القوات الجوية والبحرية والبرية من الاعمال ما يلزم لحفظ السلم والامن الدولى أو لاعادته الى نصابه .. »

على اننا نوجه النظر ونقول : لا تنسوا المادة ٥١ وهى مادة بديهية « ليس فى هذا الميثاق ما يضعف او ينتقص الحق الطبيعى للدول ــ فرادى أو جماعات ــ فى الدفاع عن انفسهم اذا اعتدت قوة مسلحة على احد أعضاء الامم المتحدة ... »

(أصوات من شهداء ((دير ياسين)) و ((كفر قاسم)) وحيفا ويافا وغزة وخان يوس الخ .. الخ) :

خذوا بثأرنا . الضمير العالمى ظل طويلا فى « غيبوبة » . المذابح التى اقترفت معنا لم تحركه كثيرا . الفظائع الوحشية التى حاولت بها اسرائيل « ارهابكم » و « ابهار » الغرب لم تكن « فيلما » من أقلام الخوف أو المغامرات . لم تكن كابوسا . كانت حقيقة بشعة تلطخ التاريخ الانسانى . ولكن حتى التاريخ مضى بطيئا .. بطيئا .. ردوا له اعتباره . وصححوا مساره . وعجلوا حتميته .

(أصــوات من ((اليهــود)) الذين حرقتهم ((النــازية)) فى الافران) :

نحن « أبرياء » من نسبة هؤلاء الينا ، ومن نسبتنا اليهم .. لا عليكم ! اطردوا هؤلاء المعتدين . أنهم أشبه بمن احرقونا ! انهم من فصيلة النازى والعنصريين ! انكم ايها العرب أنتم «الوحيدون» الذين أمنونا واكرمونا .. فكيف ؟ نحن الآن « فى ذمة الله » فلسنا نكذب أو نداهن أو نخادع . صدقونا ، أن هؤلاء « المردة » ليسوا منــا ! افعلوا بهم ما شئتم ، فلســنا نحب أن « يتاجر » احد باسمنا .

(اصوات ديان ـ شارون ـ بارليف أهارون ـ هرتزوج .. الخ) :

هــذه هى اسرائيل ! وبغير الارهاب « والحرب الوقائية » والحدود الآمنة الطويلة واليد الطويلة .. لن تستطيع اسرائيل أن تعيش أو تكون !

(الاصوات التى سبقتها والاصوات التى تلحقها) :

اخرسوا ! اخساوا شلت ايديكم ولا كنتم ! ما استحق ان يعيش أو يدوم من اتخــذ العــدوان والارهاب شريعة وضــمانا للاستمرار !

(اصوات من زعماء الشباب الامريكى) :

اين انتم ايهـا العرب .. ايها المصريون ؟ لماذا لا تسـمعوننا اصـواتكم ؟ انتم احيـانا تعلنون انكم لا تكنون عـداء للشـعب الامريكى .. ونحن نصدقكم ، لان النقاء ـ والصدق ـ ارسـال واستقبال ! ولكنا ـ معشر الشباب الطليعى ـ قلة ، ومن الممكن ان نتكاثر ونتكاثر ، ونصبح اغلبية ضاغطة وذات اثر حاسم للحق وللعدل .. ولنتحرر انتم ونحن !

هل تذكرون مظاهراتنا الصاخبة المتوالية ضد حكومتنا وحربها الانتحارية التعسة غير المبررة فى فيتنام ؟

الم تروا كيف عجلت مظاهراتنا واجماعنا واحتجاجاتنا بانهاء الحرب فى فيتنام وبوقف التدخـل الامريكى وبعـودة الحق الى اصحابه ، وان كان الاثر الاكبر يرجع الى بسالة الشعب الفيتنامى المقاتل ؟ صـحيح كانت لنا مصـلحة مباشرة فى وقف القتـال وفى الانسحاب حتى لا تراق دماؤنا عبثا وهباء وظلما فى ارض فيتنام ، غير اننا ايضا ـ لو عرف شبابنا وشعبنا الوجه الصحيح لقضيتكم ـ اصحاب مصلحة مباشرة فى ان يشيع السلام القائم على العـدل بمنطقتكم ، وفى ان ينسحب العدوان الاسرائيلى ! الم تروا كيف بدانا نتاثر بازمة الطاقة وانتم باعثوها ، ولسوف يتضاعف تأثرنا وشللنا وبردنا وبطالتنا بهذه الازمة التى كان يمكن ان تجنبنا اياها حكومتنا لو لم تعاد العرب ـ اصحاب البترول ـ العداء السافر المتعنت .. ولقد تفتحت عيوننا على قوتكم وارادتكم وبسالتكم فى استعادة اراضيكم منذ معارك اكتوبر . اثبتم انكم مثل شعب فيتنام لا يرضى بالقهر والهوان بل يستبسل فى سبيل حريته . فلماذا لا تضربون والحديد حام ؟ لماذا لا تتصلون بنا ؟ ولماذا لا تكتبون الى ابنائكم العرب فى امريكا وهم كثيرون ليخاطبونا مباشرة ويوضـحوا ؟ فلا تعجبوا ـ اذا احسنتم دعايتكم وحركتكم ـ ان تقوم المظاهـرات الشبابية الامريكية وان يتسـع نطاقهـا وان تضـغط بالسخط

وبالاحتجاج على الحكومة الامريكية ـ كما فعلت فى حرب فيتنام ـ لتعدل .. وتعدل عن موقفها المتراخى المتلاعب الحالى .

(أصوات من شهدائنا فى حرب ٦٧) :

بارك الله شهداءنا فى معارك أكتوبر ٧٣ لقد انتقموا لعزتنا وكرامتنا .

(أصوات من شهدائنا فى معارك اكتوبر ٧٣) :

بارك الله فى قواتنا المسلحة وفى شعبنا .. نحن نقسم ان سعادتنا بالجنات تفوقها سعادتنا باننا تركنا ـ نحن الطليعة الشهيدة ـ من ورائنا جيشا سليما مقاتلا مرتفع المستوى والقدرة والمعنويات ، ومصمما على استئناف القتال لدى أول اشارة ، وواثقا فى النصر النهائى بمشيئة الله .

(صوت من خالد بن الوليد) :

اقول لكم عن خبرة معارك غير محدودة خضتها ـ واكرمنى الله .. فلم اهزم فى اية واحدة منها ابدا ـ اقول لكم ان معارككم التى بدأت فى العاشر من رمضان قد حققتم فيها الكثير الطيب من الانجازات الرفيعة فى تقديرى الجهادى القتالى . وان السر وراء تلك الانجازات الناجحة ينحصر فى أمرين : الاول ـ الاصرار الذى يتمثل فى الكفاءة القتالية والتصميم على النصر مهما كلفكم من تضحيات ، و « لا نامت أعين الجبناء » ! . والثانى ـ العقل المفكر الذى خطط ونفذ . ولقد يتساءل بعضكم كيف ينسى ابن الوليد عامل « توفيق الله » ؟! انه عامل لا ينسى بل هو فوق كل امر واعتبار لانه ـ سبحانه ـ له الامر من قبل ومن بعد .

على اننى اضيف ان معرككتم التالية قادمة اراها راى العين لا لبس فيها ، وليكن توفيق الله معكم .

غير انها معركة ذات لون خاص . فاذا كان النجــاح فى الاولى قد استند الى أمرين : الاصرار وحسن اعــداد الخطة وتنفيذها ، فالنجاح فى الثانية محتاج الى كثير من الذكاء والدهاء والنبوغ والعبقرية والمعية الخطة والتنفيذ والمتابعة والمواجهــة والتطويق والخدعة وعثرات من فنون الفكر الصائب اليقظ المناور الموهوب .. وكلهــا ملــكات تحوزونها فى أعمــاقكم وفى رؤوســـكم وفى عروبتكم . ولا تحسبوا اننى أغفل الجسارة والاصرار والهجــوم تلو الهجوم والمبادىء الاساسية للحروب فانهــا كلهــا لازمة لزوم العقول المخططة التى تحسن التنفيذ ، وأنتم على هذه وتلك قادرون . انما « أركز » على « العقــل » فى المعركة القــادمة لاننى ابصر ما ترون وما قد لا ترون ، وأن كنت لا أرتاب أبــدا فى انكم بعون الله منتصرون .

(صوت من صلاح الدين الايوبى) :

لى كلمة واحدة .. وقصيرة .

فى مرحلة من المراحل ساورتنى الشكوك فى اننى يمكن أن انتصر .. غير اننى ــ بحمد الله ــ انتصرت !

وانتم ــ أيها العرب جميعا ــ خلفائى . انتم اكثر عــددا ، اقوى عدة . اعظم وحدة . فلتبقوا كذلك .

ولو كنت أملك ان ابعث من جديد لحاربت كمجرد جندى فى صفوفكم ، ولشهدت النصر العربى مرة أخرى ــ بفضل الله ــ دون أن يساورنى اى شك ؟

***

وبعــد ...

فما زالت « الاصوات » تتداخل كأنها هواتف وارهاصــات ونداءات « الحداة » ! انهم لا يســتصرخون استصراخ « اثارة عفوية » غير واعية أو محسوبة ، ولا يحذرون تحذير «التثبيط» ، ولا يثنون ثناء « التخدير » ، المحصــلة هى ان نثق ونطمئن فى

معركتنا القادمة ، اذا لم يكن هناك سبيل الا لمعركة قادمة .. والثقة والاطمئنان تعنيان ـ فى المقام الاول ـ التأهب والحذر والتصميم على النصر مهما قابلتنا العقبات أو المحن ، فالنصر لا يجىء سهلا . ولقد تعلمنا الكثير من دروس أكتوبر .

ما زالت الرواية ـ أذن ـ لم تتم فصولا ، لان البحث ـ بعد ٦ سنين على قرار مجلس الامن ٢٤٢ ـ لا يزال جاريا !

ولكن لا احد من المحللين ومستقرئى معانى الاحداث ، بل لا أحد على الاطلاق الا ويدرك أن ٦ أكتوبر كان « بداية النهاية » للعدوان الاسرائيلى القائم والمستمر . اسرائيل نفسها ـ وقبل غيرها ـ تعرف ذلك وتهتز وتفزع وتجرى التحقيقات ، ثم « تتشنج » وتناور وتزايد وتحشد وتتأهب لمغامرة اخيرة ـ على الارجح ـ لتثبت للعدوان انها ربيبته ـ أو ربته ـ لا تخذله حتى لا يصيبها هى الخذلان فتأتى نهاية النهاية !

التحدى اذن حاسم ودموى ومصيرى فعلا .

واسلحتنا مشرعة .. وقواتنا المسلحة ـ التى هى فخر مصر وامل مصر ـ متاهفة .

ولسنا نهوى اراقة الدماء ، ولكنا لسنا نقبل اقل من التنفيذ الفورى للانسحاب الكامل من جميع الاراضى العربية المحتلة مع ضمان واحترام حقوق شعب فلسطين .

وفى السكون الذى يسبق العاصفة .. قد تتجمع الرياح والانواء المؤكدة ، وقد يرى « البحث » الذى ظل جاريا ست سنوات « عصا سحرية » سوفيتية أمريكية عالمية تبدد الرياح والعواصف ، وتطبق ـ لصالح السلام العالمى والامن وهيبة مجلس الامن ـ القرار ٢٤٢ الذى تريد ان تذروه الرياح الاسرائيلية الحمقاء ، والذى ارتضى ان ينفذه الصفاء المصرى النقى القوى .. ابن اكتوبر !

٧٣/١١/٢٢

عـــودة الأســـير

بيت مصرى صميم . لا يهم أين مكانه .. فى القاهرة أو فى الاسكندرية أم فى أعماق الريف . انه قطعة من مصر .. وكل قطعة وكل انسان وكل ذرة من حبة رمل أو هبة نسيم فى هذا البلد العظيم هى مصر !

الاجتماع عائلى ، ولكنه بدأ أشبه بندوة سياسية عسكرية .. ما أبعد التغيير وما اعمق التحول الذى حدث فى مصر ــ كل مصر ــ منذ ٦ اكتوبر ! ومع هذا ، فهل هو تغير وتحول أم واقع الأمر وجد الجد اننا اكتشفنا انفسنا ؟ ! وجدناها . تجلى ــ مع اول طلقة مدفع واول بيانات عسكرية ــ هذا المعدن المصرى الاصيل العريق النفيس ، فـاذا به يجمع أجمـل واروع ما فى البسـاطة والصلابة والتماسك . شعلة وعى وذكاء . طاقة صبر واصرار ووطنية أقوى من كل ما يلوح ــ أو يلوح به ــ من طاقة ذرية أو هيدروجينية .هذه ليست عبارات حماسية انشائية . هذه حضارة وفرض ارادة سبعة آلاف سنة . هذه هى مصر !

البيت الذى كانت اهتماماته ــ فى مرحلة سابقة من المراحل ــ تبدو صغيرة « تافهة » ، أصبح يعيش اهتمامات كبيرة ، ويحتفل فى تلك الليلة بحدث جليل . كان يمكن ان يدور الحديث فى نفس هذا البيت منذ شهرين ــ فقط شهرين ــ عن أطيب أصناف الطعام .. عن أحدث الموضات ... عن آخر الفضائح ! كان يمكن ان

يكون هذا وغيره من « أحاديث الفراغ » محور الحياة والاهتمام .
ربما كان بعض منهم فى سبتمبر ١٩٧٣ يدير نقاشا حول بعض الافلام المصرية الهابطة ويقارن بينها وبين براعة الافلام الامريكية . ربما تذكر هؤلاء « مجد » هوليود القديم واخذ يستعرض « روائعها » . ربما وقفوا طويلا من قبل أمام قصة « عودة الأسير » التى « بهرتهم » فى الاربعينات واعجبوا ببطلها الممثل العاشق البارع « رونالد كولمان » .

غير ان البيت المصرى الجديد كان فى شغل شاغل عن المأكل والملبس وافلام امريكا القديمة والجديدة على السواء . كانوا يحتفلون فعلا « بعودة الأسير » .. وكان هذا الاسير البطل العائد هو نجم الليلة وقائد الندوة السياسية العسكرية ! ولقد كان هو الآخر « عاشقا » .. ولكنه « عاشق مصر » !

وفى الحق أن تعبير « عودة الأسير » غير دقيق على اطلاقه .

ليس ثمة عودة لمن لم يبرح القلب والخاطر . من شارك فى صنع مجد معارك أكتوبر كان « هنا » دائما . وليس يهم اسمه . اننا كنا نقرؤه بين سطور البيان العسكرى رقم ورقم ورقم . كنا معه وكان معنا . كان الشعب مع الجيش وكان الجيش مع الشعب وقد ثبت ان الجيش والشعب على مستوى الموقف استعدادا وتضحيات واقداما وروحا .

ثم انه ليس أسيرا . ذلك هو نفس تعبيره وهو صادق .

سألوه فى راديو تل ابيب : كيف اسرت ؟

واجاب بثبات وثقة وتحد : اننى لم أسر . الأسير يقع فى يد العدو أثناء الحرب . اما أنا فقد « أخذت » غدرا بعد الموعد الرسمى المحدد لوقف أطلاق النار بثمان وأربعين ساعة . لقد « هجمتم » على مواقعنا ظهر يوم ٢٣ اكتوبر وكان مجلس الامن

قد اصدر امره بوقف اطلاق النار قبل ذلك بساعات طويلة وكنتم قد قبلتم الأمر قبل أن نقبله نحن . ولكنا نفذناه ولم تفعلوا .

وقالوا له : ولكنك قاتلت مع زملائك ــ وبشراسة ــ حتى مساء ٢٤ اكتوبر الى أن أحاطت القوات الاسرائيلية تماما بموقعك .

قال : أصحح ! الغارات الجوية المكثفة المتلاحقة علينا ابتداء من صباح ٢١ اكتوبر وبازدياد حتى بعد ظهر ٢٤ منه كانت « غارات أمريكية » وليست « بطائرات امريكية » مستحدثة قادمة فورا ورأسا فحسب ! أنتم تعلمون ذلك ونحن نعلم ، والأمريكان ــ طبعا ــ يعلمون ! والدبابات الامريكية الجديدة المتطورة التى أحاطت كما تقولون بمواقعنا كانت تدوس ــ كالعادة ــ على قرارات « طازجة » لمجلس الأمن شارك فيها الامريكان بنفس الحماس الذى شاركوا به فى امداد الجسر الجوى الامريكى الاسرائيلى بالاسلحة وحاملى الأسلحة ! الفارق «الوحيد» بين «الحماسين الامريكيين» ان الثانى الذى ساندكم كان « مستر هايد » الحقيقى بينما الأول فى مجلس الامن كان يلبس قناع « دكتور جيكل » !

وانقطع الحوار .. فهو لم يكن ليحقق ــ أمام جسارة المقاتل المصرى « الاسير » ــ فائدة ترفع معنويات الاسرائيليين المنهارة ! واكتفى مذيع تل ابيب بالتعليق والسباب !

ثم « لقطة » توضح وتجسم الفرق بين يونيو ٦٧ واكتوبر ٧٣ .

فى ٧ يونيــو ٦٧ كانت العريش قد وقعت فى يد القــوات الاسرائيلية الغادرة . وكانت « القيادة المصرية » منهارة ــ للاسف الشــديد ــ فور تحطيم الطــائرات المصرية على الأرض قبل بدء المعارك .. أى فى صباح الخامس من يونيو .. ارتبكت القيــادة فأربكت الجيش المصرى بأوامر الانسحاب وبالاضطراب . ليت تلك القيادة ظلمت نفسها فحسب بالتصدى للقيادة ، ولكن « الطامة الكبرى » انها ظلمت القوات المسلحة المصرية فلم تمكنها من القتال .

وفى الثامن من يونيو ٦٧ كان طيار مصرى ممن فقدوا طائراتهم — قبل ان يطلعوا بها طلعة واحده — يجلس مختبئا فى احد منازل العريش المصرية بينما تقوم الدوريات الاسرائيليــة بالتفتيش فى كل حى وكل شارع وكل منزل عن الضبــاط والجنــود المصريين المختبئين انتظارا لفرصة نجاة بملابس البدو عبر الصحراء .
ودخل جندى اسرائيلى الى المنزل الذى كان الطيار المصرى يختبىء فيــه ، وفتش تفتيشا دقيقــا وعثر على « صاحبنا » . فاذا به « صاحبه » ! نعم .. صاحبه وصديق سابق ، فقد كان الجندى الاسرائيلى « يهوديا مصريا » من ابناء « الخرنفش » وزميل طفولة ودراسة الطيار المصرى ! وعرفه على الفور وقبل أن يصافحه بادره قائلا :

ياه ! يخرب عقلك ! يخرب عقلكم ! ما هذا الذى فعلتموه ؟ ماذا دهاكم ؟ ما هذا الانهيار السريع الذى فاق كل تصــوراتنا واحلامنا ؟ ! لقد كنا « نرتجف » ونحن نبــدأ الهجوم فاذا بكم فريسة سهلة . كانما كانت « مصطادة » قبل ان تصطاد !

والحق — ونحن أهل حق ولا نكتم الشهادة — فقد يسر هذا الجندى الاسرائيلى سبيل الفرار لصديقه القديم المصرى . ضرب مثلا نادرا لا أحسبه تكرر لا كثيرا ولا قليلا ، فان صحراء سيناء قد شهدت مآسى لا تنسى . لقد قتل فيها السفاحون الاسرائيليون ضباطا وجنودا مصريين كانوا بغير أسلحتهم . كان هؤلاء المصريون — بكل قوانين الحرب وبأبسط مقاييس القواعد الانسانية — أسرى فعليين . وبدلا من ان يأسروهم .. فانهم وجهوا الى هؤلاء «العزل» من الســلاح نيران رشــاشاتهم وقتلوا من قتلوا وبالمئــات .
وأمثلة اخرى فوق رمال سيناء المسكينة المتعوسة « بغفلة يونيو ٦٧ » كانت تتعقب فيها الدبابات الاسرائيليــة وتدوس الجنود المصريين بالمئات وهم متوقفون عن القتال . وهكذا قتل الحقــد الاسرائيلى الاجرامى آلافا من الجنود المصريين « المستسلمين »

بدلا من أن يأسروهم . ومثل هذه التصرفات التى عرفها العــالم فى حينها وتافت الضمير العالمى هى ذاتها التى تمتع أصحابها بتأييد وتدليل العالم الغربى ، وكأن شيئا لم يكن ، وكأن ابرياء لم يقتلوا ، وكأن أرضا حرة لم تحتل !

ودارت الايام والسنوات ..

وجاء ٦ أكتوبر ٧٣ (ظلت تصريحات المسئولين الاسرائيليين لمدة اسبوع كامل منذ بدء معارك اكتوبر تذكر الاسرائيليين والعالم الغربى وتبرر هزيمة الجيش « الذى لا يقهر » بقولها : لا تنسوا ان هــذه هى اول مرة نحارب فيها دون ان نــكون قد دمرنا ــ مقدما ــ جميع طائرات أعدائنا على الأرض ! وكأنها من « تقاليد » و « حتميات » الحروب العربية الاسرائيلية ان يواجه العرب اسرائيل وهم فاقدون لطائراتهم جميعا !) .

ومعذرة للاستطراد الذى قطع « لقطة المقارنة » التى أركز عليها بين ٦٧ و ٧٣ ، فلعلى اوردت الفقرات « الاعتراضية المستطردة » حتى لا ننسى « نوع » هذا العدو الذى نواجهه . ونحن لن ننسى !

كانت العبارة التى استشهدت بها آنفا والتقطتها من فجيعــة يونيو ٦٧ هى قول قائلهم :

ما هذا الذى فعلتموه ايها المصريون ؟ ما هذا الانهيار السريع ؟

أما العبارة التى قيلت هناك لهذا الأسير المصرى العائد ــ كما سمعها كل أسير مصرى وقع فى يد العدو خلال معارك اكتوبر ٧٣ .. وغالبية أسرانا اسروا بعد ٢٢ اكتوبر ٧٣ ــ فهى قول ضباط المخابرات الاسرائيلية فى غيظ محموم لهؤلاء الأسرى المصريين :

ما هذا الذى فعلتموه ايها المصريون ؟ ما هذا الهجوم الساحق المتلاحق ؟ كيف عبرتم هكذا مثل هذا المانع المائى على طول القناة ؟

كيف اقتحمتم بجـراة عجيبـة خط بارليف كيف ؟ هـل كنتم « تتعاطون » « حبوب الشجاعة » ؟ !

« حبوب الشجاعة » ؟ .. يا للكلاب !! ..

المهم .. وفى كلمة واحدة هذا هو الفارق والـ Contrast بين ٦٧ و ٧٣ .

قواتنا المسلحة لم تمكن من الحـرب سنة ٦٧ ، ثم حاربت سنة ٧٣ ..

ولنعد الى بطلنا الاسير العائد ..

عندما وجهوا اليه سؤال « حبوب الشجاعة » اكتفى بأن وجه اليهم نظرات السخرية !

وعادوا يسألونه : ماذا اذن ؟ هل هو التوجيه المعنوى العالى الذى دفعكم هذه الدفعة للعبور والاقتحام ؟

والتفت اليهم ابن مصر وقال : هل تريدون أن تعرفوا السر الحقيقى وراء هذا الذى صنعناه وانجزناه ؟

ولمعت عيونهم « بأمل » استكشاف السر ، ونطقوا فى نفس واحد : نعم .. نعم !

قال : انتم !!

ـ كيف ؟ نحن ؟

قال : انتم . كم أثرنا ! كم صبرنا ! واحتللتم أرضنا عدوا ورحتم « تصلبون » الشاطىء الشرقى والمصرى و « المظلوم » بالأعلام « عورا » ! وابيتم ان تصيخوا للقرارات وللدنيا جميعا ! فى غرور وصلفه ! واستثرنا وصبرنا وعملنا ! والسنون السود مرت فى مرارة ! تستفز الجيش تستعدى الكرامة ! غير أن المر

فوق المر قد اوقد فى مصر « الشرارة » ! أى « عيد » .. اى « غفران » رجوتم ؟ ! بينما انتم جعلتم كل عيد للملايين حدادا ! واقترفتم كل اثم !

قالوا : اهكذا تفعل بكم « الارض » ؟ !

قال : هل تحدثوننا عن الارض ولم تكن لكم أرض ، ونحن ــ بنى مصر ــ ومن آلاف السنين الارض ارضنا ، وغالبيتنا فلاحون طيبون نعم . سمحاء نعم . ولكن اذا اعتدى أحد على ارضهم فهو الثأر ، ولن يهدأ لهم بال قبل ان يأخذوا بثأرهم ويستعيدوا أرضهم .

وانتهى التحقيق . وفرغوا من الاستجوابات بغير طائل .

وبدات « الزنزانات » وما بعد الزنزانات وبأساليب أكدت انهم ليسوا « تلامذة » النازى والجستابو .. بل هم « الاساتذة » !

وتحمل البطل الأسير الشامخ كل الوان العذابات . تحمل بنفس الشجاعة التى قاتل بها . تحمل وكأن شيئا لا ينال منه . وكأن لسان حاله ــ بل واقع احساسه الملهم والمكرم ــ هو قول الله عز وجل : « يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم » !

كان عزاؤه أن الاعلام المصرية ارتفعت مكان الاعلام الاسرائيلية الوقحة الغاصبة ، وان هذه الأعلام المصرية العزيزة سوف تخضر بها ــ ولا محالة ــ صحراء سيناء وكل أراضينا المحتلة .

وفى اليوم السابق لعودته ــ وحين تقرر تبادل الاسرى ــ ارادوا أن يستعرضوا « حضارتهم » فحملوه من « أسدود » السليبة الى مكان آخر سليب فى الارض العربية اقاموا فيه أحدث « كابوتز اسرائيلى » وسألوه : هل لديكم فى مصر مثل هذه « المزرعة النموذجية » بكل ما تضمه من آلات ومن « رعاية اجتماعية » ؟!

قال : لدينا منها كثير ..

قالوا : هكذا بلا فارق ؟ !

قال : بفارق ظاهر وحيوى وانسانى : هو ان ارضنا يزرعها أصحابها ومواطنوها ، اما انتم فتزرعونها فوق دماء وجماجم وحقوق أصحابها المهدرة !

وحين «أخذوه» الى القدس وشهد المسجد الأقصى فى قبضة وسيطرة اسرائيل دمعت عيناه لأول مرة ..

وكادوا « يتشفون » اذ راوا دموعه ، ولكنه تماسك ولم يشرق بها ! قالوا : تبكى مجدكم الضائع ! قال : ان الحق لن يضيع مهما طال الأمد ! قالوا : أظنكم ترددون لنا ما قاله قرآنكم « فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تتبيرا » !

قال : مع ايمانى المطلق « بوعد » قرآننا ، فلست أخاطبكم به . أنتم — وليس هذا سرا — لا تؤمنون بالسماء ولا بأى دين سماوى رغم ان « لعبتكم » هى الدين اليهودى ! انتم مجرد « عنصريين » و « غزاة متسلطين » فرحين بما أوتيتم بالقهر فى غفلة من الزمن . على اننى أقول لكم ما يقوله « العلمانيون » عن « حتمية التاريخ » ولعلكم تعرفون حتميته ! هل تذكرون « هتلر » وكيف كان يمر — مزهوا — تحت قوس النصر فى باريس وتكاد تحية يده النازية ترتفع الى ما فوق برج ايفل ؟ ! ولكن الاغتصاب — مهما علا وتجبر — لا يدوم ! ولم يبق هتلر لا فى باريس ولا فى أى ارض احتلها ولا حتى فى برلين !

وعاد البطل الأسير المصرى الصامد العظيم الى مصر الصامدة العظيمة ..

وعندما قبلت وجنتيه محييا ومودعا كنت أشعر اننى اطبع قبلات الامتنان والولاء على يد مصر الكريمة ■

٧٣/١٢/١

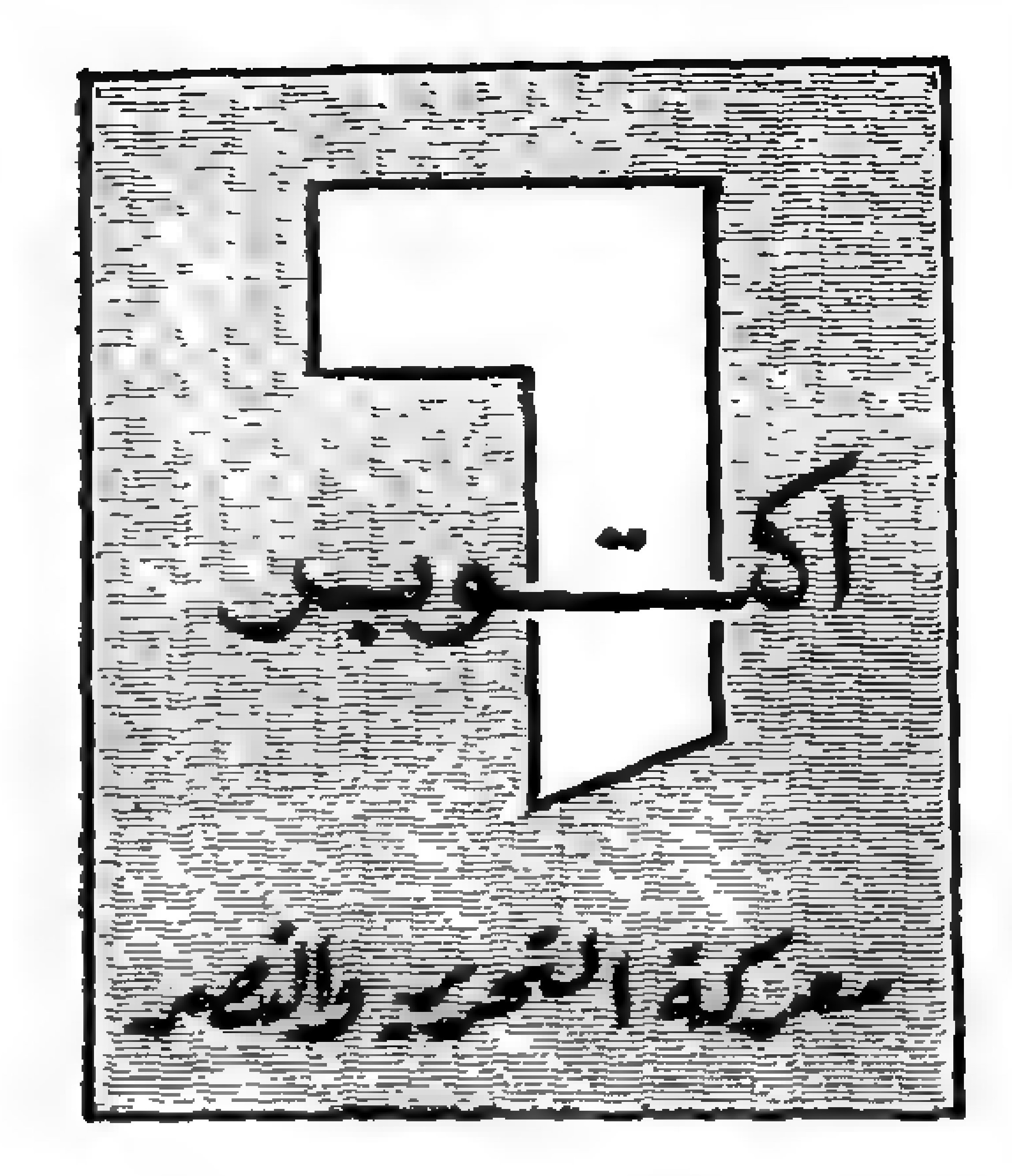
فهـــرس

صفحة

صفحة

مطابع شركة الاعلانات الشرقية

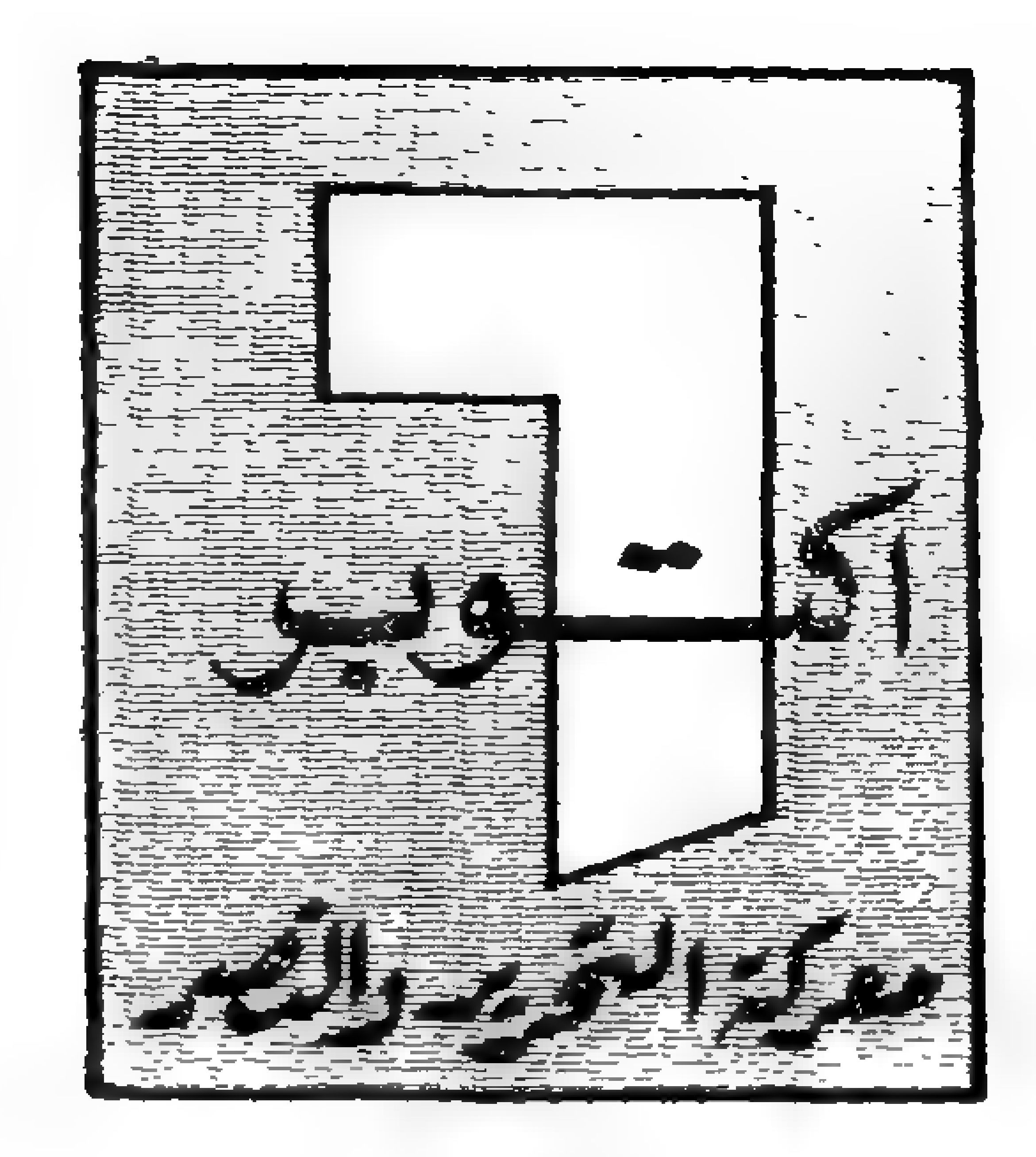
رقم الايداع ٥٦٢٦/١٩٧٣



سَنَداتْ الجهَاد

لتدعيم اقتصاد المعركة

- فائدتها ٤½٪ سنويًا
- معفاة من جميع الضرائب
- مدتها ١٠ سنوات
- يمكن الاقتراض بضمانها
- لا يجوز الحجز عليها
- فئاتها من ٥٠ قرشا إلى ١٠٠ جنيه
- الاكتتاب بالبنك المركزى وجميع البنوك التجارية



كلنا فى المعركة
من أجل السلام

شركة أسكندرية للأدوية





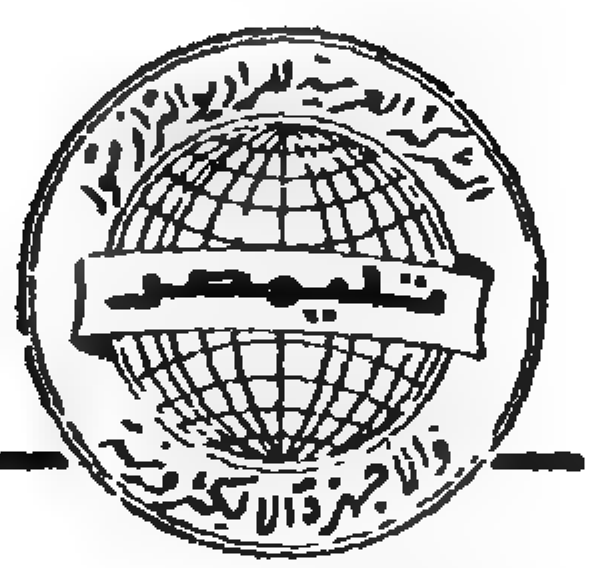


كبرى شركات التأمين فى الشرق

المركز الرئيسى : ٧ شارع طلعت حرب - القاهرة ت ٣٣٩٩٩



كلنا في المعركة حتى النصر



الشركة العربية للراديو والترانزستور



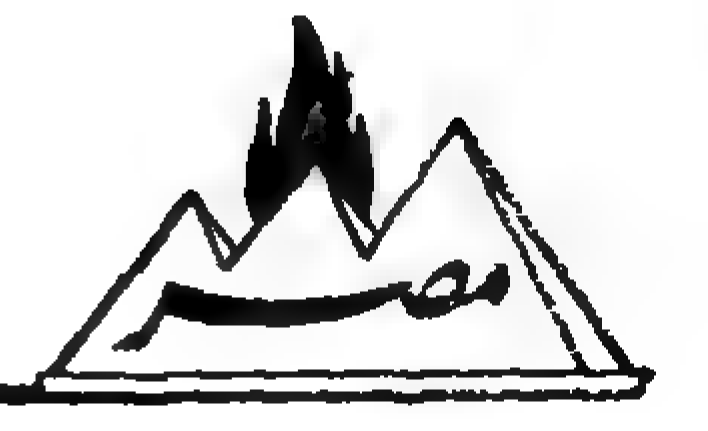
نحارب من أجل السلام

شركة النيل للزيوت والصابون

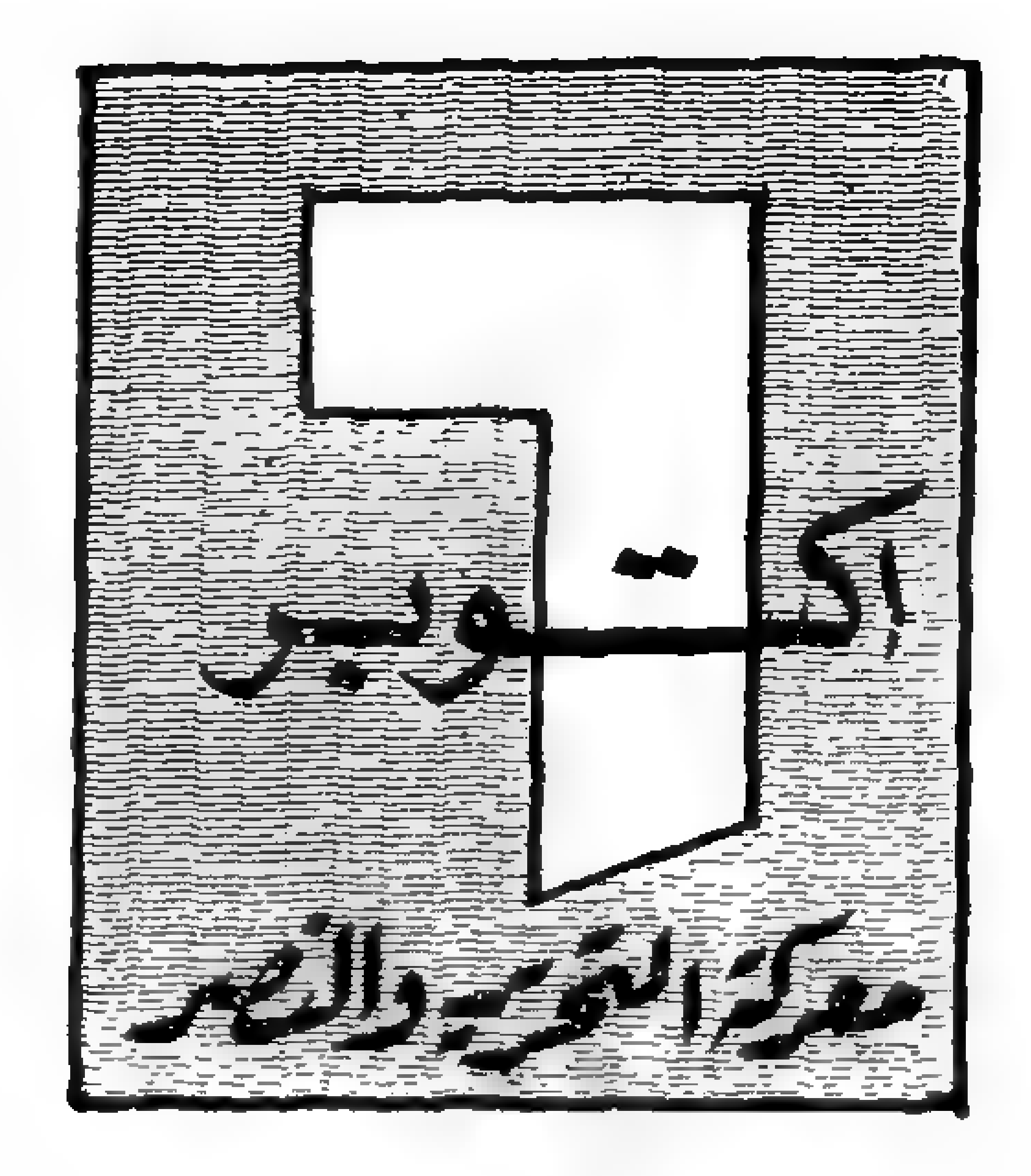
سافو



نسهم
فى ركاب النصر
بكل إمكانياتنا
فى
تعمير سيناء
ومدن القناة



شركة مصر للبترول



• تجارب من أجل السلام

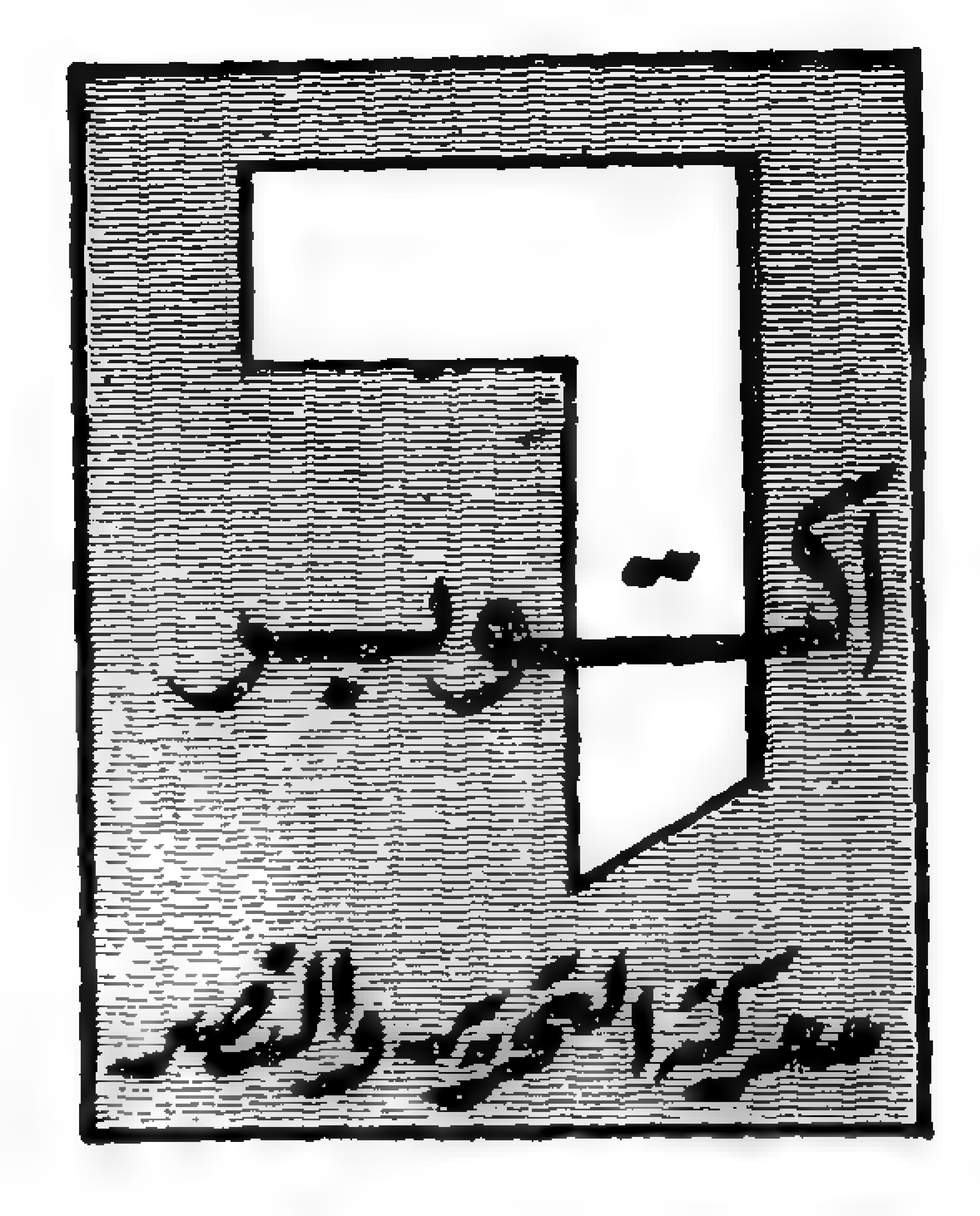
الشركة المصرية للنشا والخميرة رابسو





قوة انتصاراتنا مرتبطة بزيادة صادراتنا
وصناعاتنا الهندسية والكهربائية والالكترونية
دعامة اقتصادنا.. وفى خدمة القوات المسلحة

المؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية
والكهربائية والأليكترونية



تحرير الأرض هدف معركتنا المقدسة

المقاولون العرب

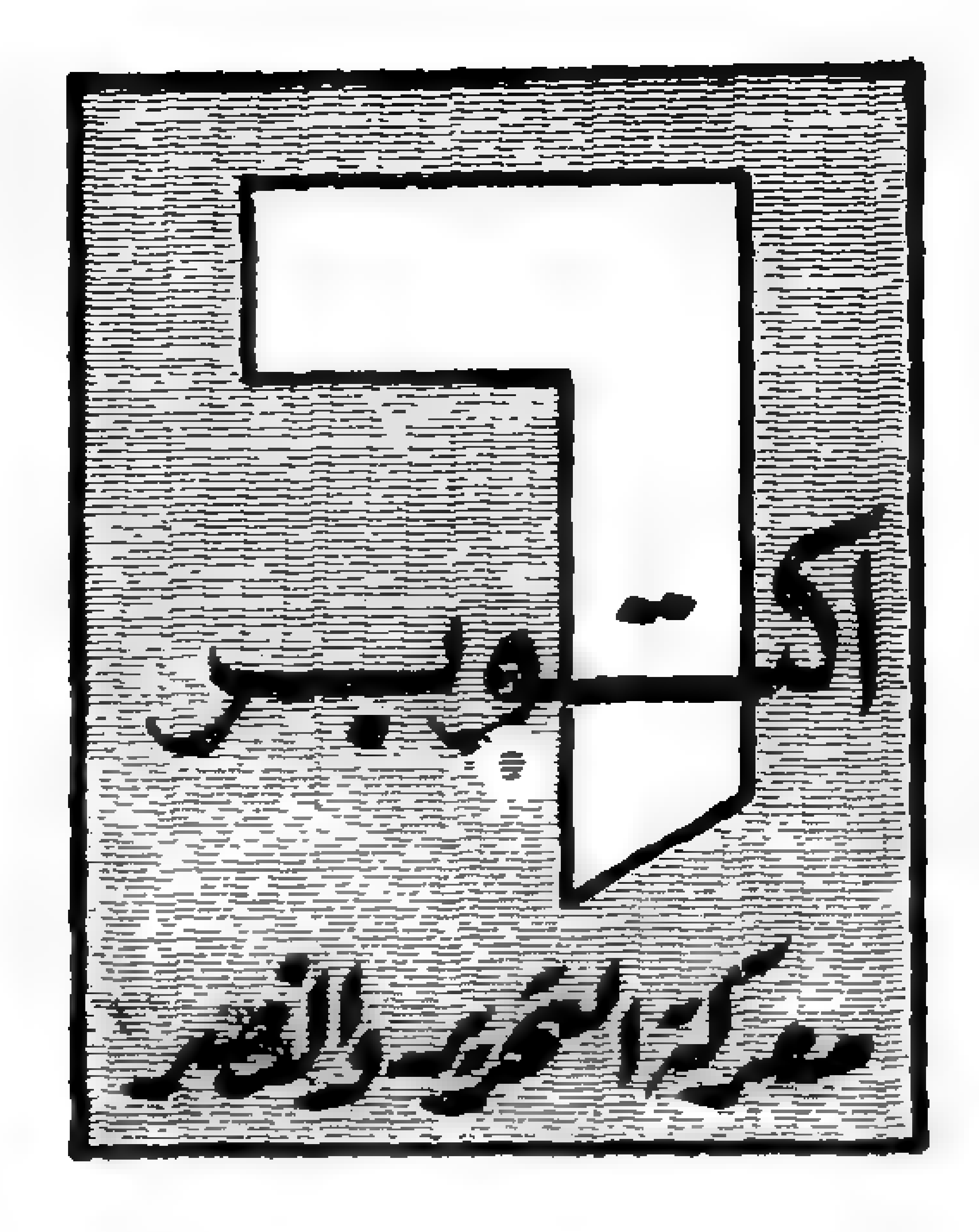
عثمان أحمد عثمان وشركاه



حربنا من أجل السلام



شركة النصر لصناعة السيارات



حرية .. عدل .. سلام

مبادئ نحارب من أجل تحقيقها

الشركة المصرية للورق والأدوات الكتابية "رومني"



لن تفرض إسرائيل إرادتها على العرب
رغم الدعم والتشجيع

شركة التمساح لبناء السفن
احدى شركات هيئة قناة السويس

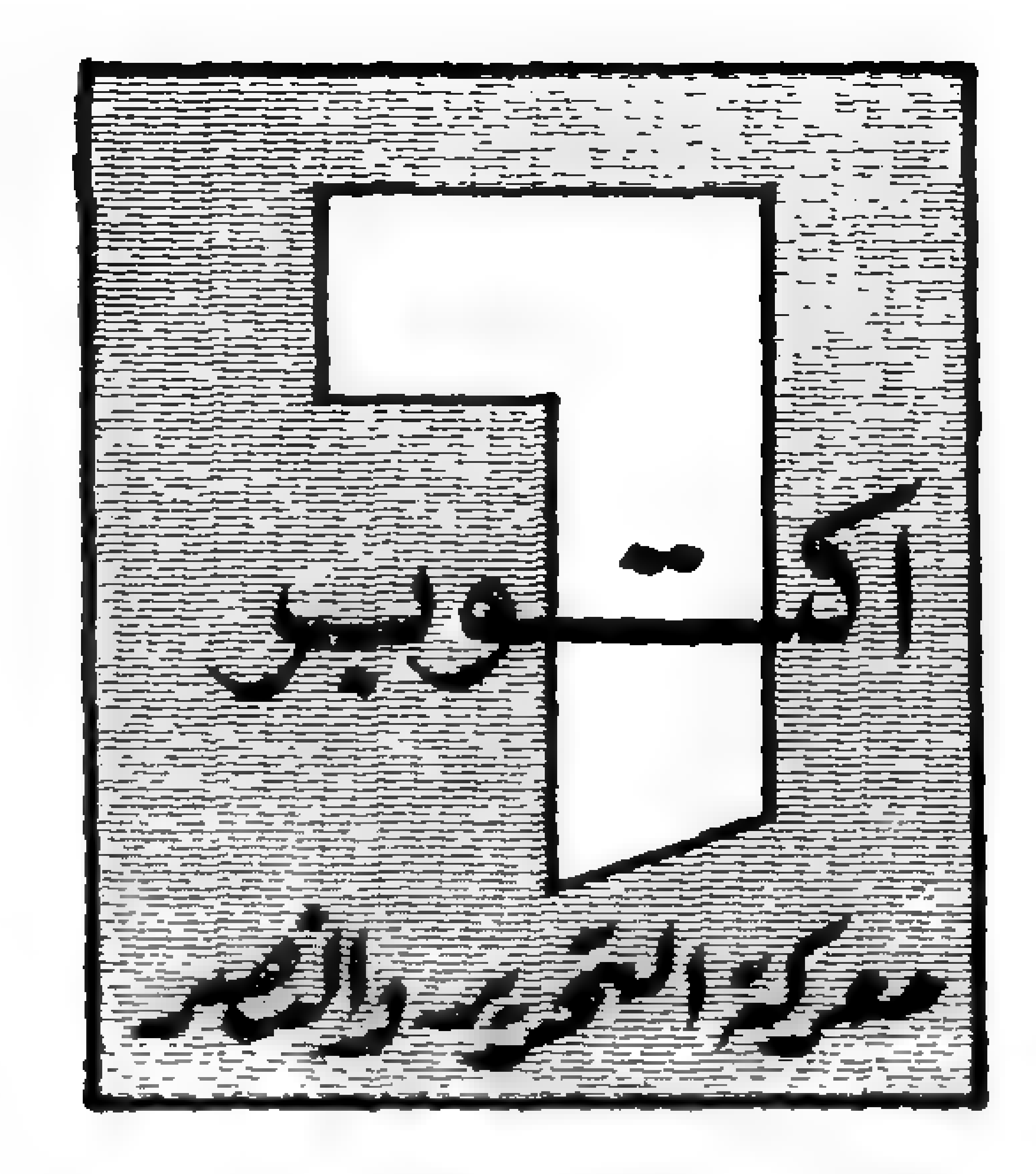


ايدينا على السلاح

لتحقيق المزيد من الانتصارات .. فى معاركنا القادمة

شركة القناة للحبال

احدى شركات هيئة قناة السويس



السلاح صاحى .. من اجل تحرير الارض
واستكمال النصر

شركة القناة للرباط والأنوار
احدى شركات هيئة قناة السويس



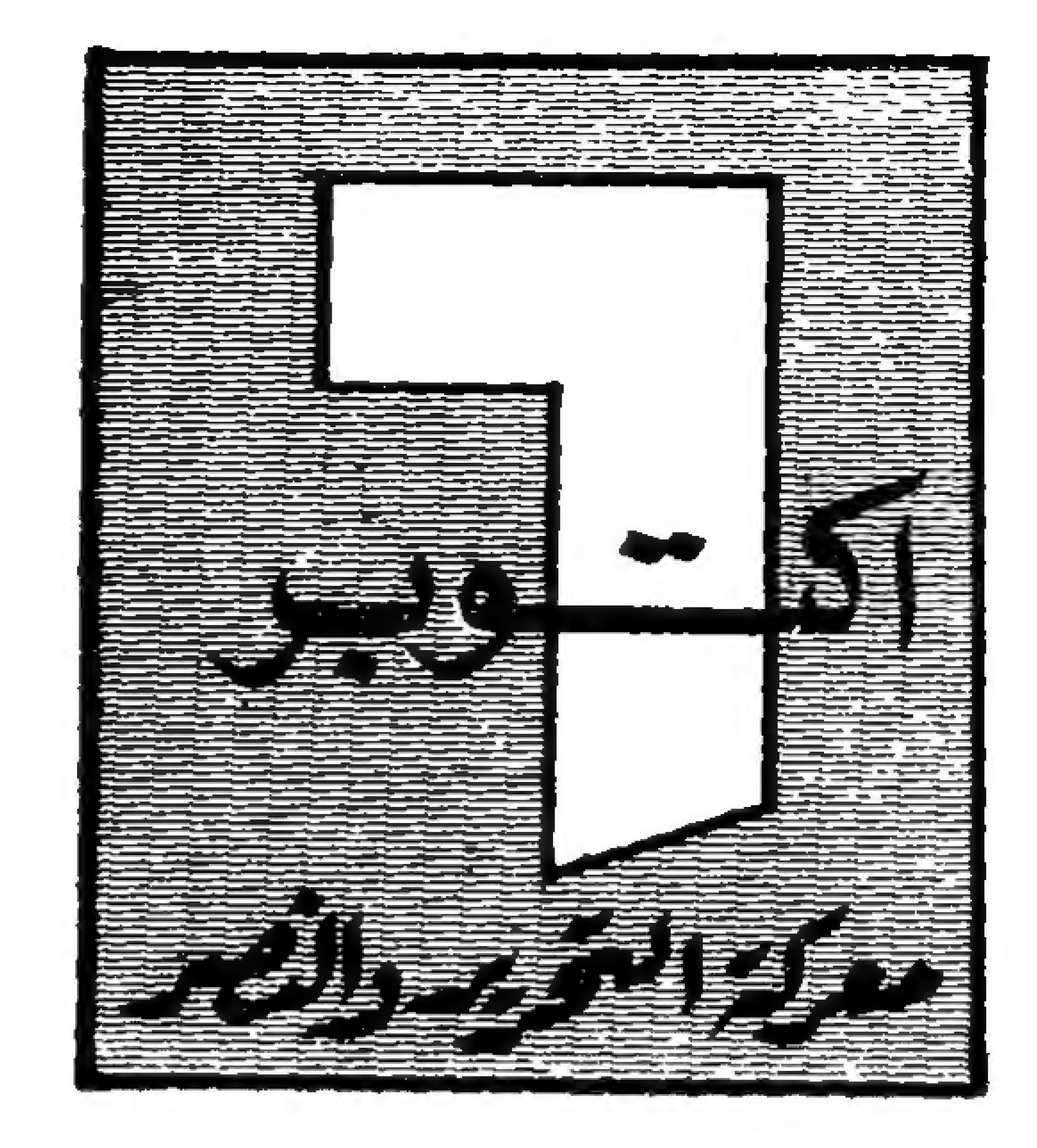
عبرنا الهزيمة
وحققنا انتصارات

شركة القناة للإنشاءات البحرية
احدى شركات هيئة قناة السويس



سننتصر باذن الله
كما انتصرنا فى معارك رمضان

شركة القناة لأعمال الموانى
احدى شركات هيئة قناة السويس



كلنا جنود فى معركة التحرير والنصر
ولدعم احتياجات المعركـة

شركة ترسانة السويس البحرية
احدى شركات هيئة قناة السويس



كل الجهود لتدعيم انتصاراتنا
والسير فى طريق التنمية

شركة الأعمال البورسعيدية

احدى شركات هيئة قناة السويس

من ٥ يونيه إلى ٦ أكتوبر

ان ما كتب عن « ٥ يونيو ٦٧ » كثير كثير .. ومن وجهات نظر مختلفة .. ولعلى أن أكون واحدا ممن مثلوا وجهة نظر الرفض ، والنقد الذاتى ، والمرارة ، والحفز ..

ثم دخل « ٦ أكتوبر » ٧٣ التاريخ ليدوس تحت أقدامه ـ بل ليطرد من تاريخنا ـ ٥ يونيو وهزيمته المنكودة .

دخل وكأنه « المسيح المنتظر » يقتل « المسيخ الدجال » !

ولربما كان ما كتب عن ٦ أكتوبر هو ـ بقصر زمانه ـ الجزء الاقل ، مع كونه ـ بطبيعته وبمتغيراته وبمعانيه الجليلة ـ الجانب الأهم .

غير أن « فصول » ٦ أكتوبر لم تكتمل ـ رغم كونها « كمالا » فى ذاتها ـ ولم تصدر فيها بعد « الكلمة الاخيرة » مع ثقتنا الاكيدة فى أنها كلمة عربية ، تمثل ارادة أمة عربية ، وتنتزع نصرا عربيا بمشيئة الله .


Bibliotheca Alexandrina
0696448

٢٥ م